

٩٦

تاريخ المصريين

عبد الناصر والحرب العربيّة الباردة

١٩٥٨ - ١٩٧٠

تأليف

مالكولم كير
ترجمة

د. عبدالرؤف أحمد عمرو



الهيئة المصرية العامة للكتاب



Bibliotheca Alexandrina

0093298

(٩٦)

تاريخ المصريين

تاريخ المصريين

رئيس مجلس الإدارة

د. سمير سرحان

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

صدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الاخراج الفني :

مراد نسيم



عبد الناصر والحرب العربيّة الباردة ١٩٥٨ - ١٩٧٠

تأليف
مالك كولم كبير

ترجمة
د. عبدالرؤف أحمد عمرو



الهيئة المصرية العامة للكتاب

فروع الصحافة

١٩٩٧

هذه ترجمة كتاب :

THE ARAB COLD WAR
GAMAL ABD AL-NASIR AND HIS RIVALS,
1958 — 1970

Third Edition
MALCOLM H. KERR

Published for
The Royal Institute of
International Affairs
by :

OXFORD UNIVERSITY PRESS
London Oxford New York 1971

تقديم

كنت قد قرأت هذا الكتاب ، الذى قام بترجمته الدكتور عبد الرؤوف عمرو ، عندما كنت أستاذا زائرا بكلية الدراسات الأفريقية والآسيوية عام ١٩٨٠/١٩٨١ ، وشعرت بأهميته ، وتقت الى ترجمته الى العربية ليطلع عليه جمهور العربية المهتم بتاريخ العالم العربى فى تلك الفترة الزاخرة بالأحداث التى عالجهما الكتاب وهى الفترة من ١٩٥٨ الى ١٩٧٠ ، أو من قيام الوحدة المصرية السورية حتى وفاة عبد الناصر .

وكان مما شددنى الى الكتاب أنه كتاب موثق يعتمد على مجموعة من الوثائق العربية والغربية ، وأيضا على المصادر الخام فى الصحف وما أذيع فى الاذاعات الغربية ، كما أجرى مؤلفه عددا كبيرا من اللقاءات بالشخصيات العربية والسورية التى لعبت دورا فى صنع الأحداث . كما أن مؤلفه من المهتمين بالشئون العربية ، وقد عاش فترة فى مسرح الأحداث فى العالم العربى ، وقد قابلته فى القاهرة وهو يجرى لقاءاته بحثا عن مادته التاريخية .

وفضلا عن ذلك فالمؤلف ، وهو مالكولم كير . أستاذ العلوم السياسية فى جامعة كاليفورنيا ، لوس انجلوس ، وقد ولد فى

بيروت ، وتلقى تعليمه في الجامعة الأميركية في بيروت ، وعمل في مصر وتونس ، وكذب عن التاريخ اللبناني ، والفكر الاجتماعي الاسلامي ، والسياسة العربية المعاصرة .

والكتاب سيعرض علاقات مصر العربية في عصر عبد الناصر منذ قيام الوحدة المصرية السورية في عام ١٩٥٨ حتى وفاة عبد الناصر عام ١٩٧٠ ، ويتتبع أحداث تلك الفترة الخطيرة بدقة وتحليل ، وقد اختار عام ١٩٥٨ ليس فقط لأنه عام الوحدة المصرية السورية ، وإنما لأنه شهد أحداثا هائلة تملط في الثورة العراقية ، والحرب الأهلية في لبنان ، ثم شهدت السنوات التالية أحداثا لا نقل أهمية ، تتمثل في الانفصال السوري عن مصر ، والحرب الأهلية في اليمن ، وهي التي نورطت فيها مصر ، ومباحثات الوحدة العربية بين مصر وسوريا والعراق في عام ١٩٦٣ ، وهي التي انتهت بالفشل ، ومؤتمرات القمة العربية الثلاثة التي انعقدت في عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥ ، ومحاولات الانقلاب العديدة في سوريا والعراق ، والصراع العربي الاسرائيلي الذي قاد الى حرب يونيو ١٩٦٧ ، وبلاد المقاومة الفلسطينية ، وصدامها مع السلطة الأردنية ، ثم وفاة عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .

والكتاب على هذا النحو يسد ركنا كبيرا في المكتبة العربية ، فضلا عن أنه يصحح خطأ تاريخيا يزعم أن عصر عبد الناصر كان عصر الوحدة العربية ، في حين أنه كان — في الحقيقة — عصر الحرب العربية الباردة !

رئيس التحرير

د . عبد العظيم رمضان

مقدمة المترجم

يتناول هذا البحث فترة مهمة من تاريخ مصر المعاصر ١٩٥٨ - ١٩٧٠ اذ كانت البداية هي قيام وحدة مدنية من دولتي مصر وسوريا ، في وقت كانت فيه سياسة عبد الناصر قد بلغت ذروتها عقب الثألق السياسى الذى أحرزه عقب العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ وخروج مصر مندصرة سياسيا فى الداخل والخارج وان كان ذلك راجعا الى عدة ظروف دولية أحاطت بهذا العدوان ونتائجه .

وتصدى عبد الناصر لمشروع ابنزهاور عام ١٩٥٧ بحجة إلاء الفراغ فى منطقة الشرق الأوسط ، وبدأ عبد الناصر يسعى الى بث سياسته وافكاره النورية فى كل أرجاء الوطن العربى لدرجة أنه هز بعنف وقوة عروش الملوك وكراسى الحكم الرؤساء والأمراء فى المنطقة .

واشتدت حملة مصر الاعلامية ضد الغرب وسياسته فى المنطقة العربية، وتردد صدى خطب عبد الناصر الحماسية فى أرجاء

الوطن العربى الذى كان حلقة من حلقات الحرب الباردة بين الشرق والغرب ، وحاول الغرب الضغط على دوله بهدف تكوين حلف دفاعى ضد تسرب الخطر الشيوعى اليه ، واشتدت حملة عبد الناصر الاعلامية ضد حلف بغداد ومؤيديه ، وتجاوبت معه الشعوب العربية ، الى أن أمكنه وأد حلف بغداد فى المنطقة .

وآثر عبد الناصر أن يسعى الى تحرير العالم العربى من بقايا الاستعمار الأوروبى الذى مازال متمكنا فى بلاد المغرب العربى وله قواعد وجيوب فى المشرق العربى .

وازاء المد الثورى الناصرى ، وتردد صداه فى أرجاء الوطن العربى ، جاءت سوريا - على استحياء - تطرق أبواب مصر لتحتفى بها من تلك الأخطار التى تحدق بها من ناحية العراق وتركيا واسرائيل ، وعرض الرئيس « شكركى القوتلى » قيام وحدة فيدرالية بين مصر وسوريا فوراً ودون ارجاء .

وتلقف عبد الناصر هذا العرض الذى يتفق مع منهجه وهدفه وأيديولوجيته الثورية . وقبل العرض دون تمحيص كاف ودراسة مستفيضة ، اذ قفزت الى ذهنه سياسة صلاح الدين الأيوبى محرر بيت المقدس من يد الصليبيين عام ١١٨٧ .

وحقيقة الأمر ان المؤلف لا يسعى الى كتابة تاريخ هذه الفترة الزاخرة بالأحداث ، انما هدفه هو نشر الثقافة التاريخية بين القراء والمثقفين عن فترة « عبد الناصر والحرب العربية الباردة » منذ قيام الوحدة بين مصر وسوريا حتى رحيل عبد الناصر فى عام ١٩٧٠ الذى يعد محور الأحداث وحركها فى المنطقة .

ولم يهدأ بال الغرب ، اذ سرعان ما دبر حادث الانفصال علم ١٩٦١ ، واشتد أوار الحملة الاعلامية التى شنها عبد الناصر على الغرب وأعوانه فى المنطقة ، اذ كان الغرب ينظر الى شخص عبدالناصر على أنه «هتلر الشرق» وأنه لا منجاة من أعماله وشروره الا بالقضاء عليه شخصيا ، وراحت أمريكا تحاول انهاء مصر من الداخل ، وذلك بتأليب العرب عليه ، وخلق المشاكل فى دول العالم العربى ، وراح عبد الناصر يلته وراء ملاحقة الاحداث مما انهك الاقتصاد القومى ، وبدد قوى شعبه وحمل قواته المسلحة فوق طاقتها ، وأرسلها هنا وهناك لتدافع عن مبادئه وطموحاته .

وفى غيض—ون عام ١٩٦٣ حدثت عدة انقلابات فى كل من سوريا والعراق ، وتقاطرت الوفود تطرق أبواب مصر مرة ثانية تحاول التكفير عن غلطتها الاولى بالانفصال ، وتطلب قيام وحدة عربية ثلاثية مرة ثانية دون ارجاء ، وراح عيد الناصر يحاسب زعماء سوريا السابقين على طعنهم الدامية له من الخلف — على حين غفلة — بانفصالهم عام ١٩٦١ .

وخلاصة القول انه لم تتم الوحدة بين الدول الثلاث ، اذ كانت سياسة عبد الناصر فى هذه الفترة : هى وحدة الهدف .. قبل وحدة الصف ..

وقال عبد الناصر لهذه الوفود : « انى لست فى عجلة من أمرى ، ومن الواجب عليكم أن تترثشوا قليلا حتى أحصل على اجابة تامة .. وتصفبة الموقف عن الماضى .. » .

وعاش العالم العربى فى خلخلة داخلية نتيجة تدمير الشعوب من حكايها ، وسناراع الحرب — وسط غموض دولى — بتفجير المنطقة

العربية صبيحة يوم ٥ بونية عام ١٩٦٧ ، وحدثت المواجهة العسكرية بين مصر واسرائيل على حين غفلة ، ونتيجة تأخر دولي واسع النطاق مازال محل بحث المؤرخين ونحسب انهم ، وكانت النتيجة هزيمة عسكرية ماحقة لمصر ودول الجوار لاسرائيل .

وبرغم هذا بقي عبد الناصر — فى موقعه — صامدا ومعلنا العمل على ازالة آثار العدوان وأنه « لا صلح ولا تفاوض ولا سلام مع اسرائيل » ثم بدأت مرحلة حرب ساخنة على الجبهة المصرية ، وهى المعروفة بحرب الاستنزاف ، وشهد العالم العربى كذلك أحداث الأردن فى سبتمبر ١٩٧٠ ضد الفلسطينيين وفى هذه الأثناء رحل عبد الناصر فى ٢٨/٩/١٩٧٠ ، وخمدت الأحداث لحين من الزمن فى الوطن العربى .

ومن سخریات القدر أن عبد الناصر بسبب حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وما تمخض عنها ، سعى الى تشكيل تنظيم الضمابط الأحرار ، وقام بالثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وبسبب ما تعرض له الشعب الفلسطينى من مذبحه وروعة على يد الملك حسين فى سبتمبر ١٩٧٠ دعا الى عقد المؤتمر العربى ، برغم تحذير الأطباء له بالراحة والابتعاد عن المشاكل التى تؤدى الى الانفعال النفسى والضغط العصبى مما أدى الى تعرضه — عبد الناصر — عقب انتهاء أعمال هذا المؤتمر لأزمة قلبية راح ضحيتها ، ومن ثم يمكن القول بأن عبد الناصر بدأ حياته بقضية فلسطين وأنهى حياته بها .

والكتاب فى جملته يتعرض لمرحلة تزخر بالأحداث والمواقف الساخنة ، نتيجة للهد السورى الناصرى فى أرجاء الوطن العربى ، وهذه الفترة برغم ما كتب عنها فانها تحتاج الى بحث متأن بعيد عن العواطف وبشكل محايد تماما .

ونظرا للفائدة الكبيرة التي يضيفها هذا البحث للمكتبة العربية،
ولتاريخ مصر المعاصر خاصة ، رأى الأستاذ الدكتور عبد العظيم
رمضان أن أقوم بترجمة هذا البحث لتزويد سلسلة تاريخ
المصريين به ، التي يشرف عليها .

ولا يسهني الا أن أقدم جزيل شكرى الى الصديقين : الدكتور
حسنى مبارك والأستاذ أحمد الشوربجي ، لما قدماه من مساعدة
وعون فى نقل هذا البحث الى اللغة العربية .

والله ولى التوفيق ،

د . عبد الرؤوف أحمد عمرو

مقدمة المؤلف

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٦٥ ، تضم
الفصول الخمسة الأولى بعنوان « عبد الناصر والحرب العربية
الباردة ١٩٥٨/١٩٦٤ » : « دراسة فى الأيديولوجية السياسية » .

وفى الطبعة الثانية أضفت الفصل السادس الذى يتناول
الفترة الى ١٩٦٧ مع اضافة تذييل بسيط يوضح للقارئ جانباً مهماً
يتعلق بالأوضاع فى سلاح الطيران المصرى .

أما فى الطبعة الثالثة التى صدرت فى عام ١٩٧١ فقد أضفت
الفصل السابع متضمناً الفترة من حرب يونية ١٩٦٧ ، حتى وفاة
عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠ ، وقد أزال اختفاء
عبد الناصر — كشخصية رئيسية فى صنع الأحداث وتحريكها —
العنصر الرئيسى فى هذا البحث الذى كان هو محوره الأساسى .

وما يثير الدهشة والغربة ، أن السياسة العربية منذ حرب
يونية ١٩٦٧ كانت مثار السخرية ، وجدير بالذكر أن غالبية العرب
فى الماضى كانوا يرفضون اتخاذ المواقف الخطيرة والحادة ، ومن

ثم فقد كانت نفوسهم تتسم بالهدوء والاستقرار والرضا ، أما في الوقت الحاضر فان كل مواقفهم تتسم بالتعصب الشديد حتى في أبسط المواقف كما نلاحظه الآن في لعبة الكرة بين الأهلى والزمالك (*) .

ومن ثم فان حرب يونية كانت أشبه بمباراة الكرة التي كانت ضد غريفي نونردام Notre Dame ، وحقيقة هذه ملاحظة يجب ان يعيها المشتغلون بالسباسة . وعلى الرغم من السنوات الطويلة التي عشتها في العالم العربي ، وكثرة أصدقائي به ، بالإضافة الى ذكرى الحافلة عن هذا العالم ، فاني لا أسنحى من هذا التشبيه السالف الذكر .

ولم يكن هدفي من تأليف هذا الكتاب هو كتابة « تاريخ هذه الفترة الزمنية الزاخرة بالأحداث » انما كان الهدف هو نشر الثقافة العامة بين القراء عن الأيدولوجيات والتبارات السياسية في العالم العربي ، وكذلك عن سياسة عبد الناصر التي تركزت حول القومية السرية خلال هذه الفترة الزمنية ، فكثير من الأحداث قد اتضح هدئه ومخزاه ، وأن كان بعضها مازال يدعو الى الفكر والتأمل .

والكتاب يعتمد بالدرجة الأولى على مجموعة من الوثائق العربية والتربية . هذا بالإضافة الى ما تم نشره في الصحف ، وما أذيع في برامج الاذاعات الغربية أيضا، بجانب اجراء العديد من اللقاءات مع بعض الشخصيات ، وكذلك مناقشات سياسية مع بعض المسئولين .

(★) طرح جمال عبد الناصر بعد شهود من حرب يونية ١٩٦٧ بقوله :
« اننا نسعى الى صرف اهتمام الشباب الى الحماسة والتعصب للكرة وسماح
أغاني أم كلثوم » .

والكتاب يعتمد أساسا على السياسة السلمية التي كانت تجرى
فى كل من : واشنطن ولندن وموسكو والقاهرة وتل أبيب .

وسوف يلمس القراء بأنفسهم الإشارة الى مصدر الخبر فى
الهامش سواء فيما يتعلق بالسياسة العربية أو الاسرائيلية فى كل
فصول الكتاب .

ولكى نفهم كنه السياسة العربية يجب أن نعترف صراحة أن
العرب يواجهون الأزمات والمشاكل التى تمس حياتهم بمقدرة
ديناميكية فائقة حتى أن سياستهم الخارجية وكل ما يحيط بالعالم
العربى من آراء وأفكار نرى عالمهم وفيما يتعلق برؤية مستقبلهم
أصبح أمرا ضروريا .

وفكرت فى عمل دراسة عن بعض الدول الأخرى ، وطبقا
لهذه الرؤية فإنها تنقسم الى : الدول الثورية ، والدول المحافظة على
طابعها دون تغيير ، وأيضا الدول المناهضة للهد الثورى الذى
يجتاح العالم العربى ، ولكن هذه وجهة نظر جانبية ، خاصة أننى
أسوقها لوقت كان فيه العالم العربى يرحح القول على العمل .

وقد حاولت فى هذا الكتاب توضيح علاقة عبد الناصر
بزملائه الثوريين ، وهى علاقة يشوبها الغموض ، ولكن سوف
يلاحظ القارئ فى تناولنا لهذا الموضوع اهتماما خاصا .

ولقد استقيت المادة العلمية الوثائقية التى جاءت بالكتاب من
بعض الشخصيات السياسية التى أجريت معها أحاديث مطولة ،
ومن هؤلاء : الجنرال لوى الأتاسى ، والكولونيل قاسم علوان ، وكذلك
أكرم الديرى ، وصالح الدين البيطار ، ونزيه الحكيم ، وهانى
الهندي ، ومحسن ابراهيم والشيخ محمد ، وعلى الجابرى وأنور

الخطيب وجبران ماجدلاني وكامل المروى وموسى نظير وأنور
نسيبة ونهاد القاسم ، وطالب الحسيني وطالب حسين شبيب
وقدري طوقان .

بالإضافة الى هذا غائى فضلت أن أناقش المسائل السياسية
مع بعض أصدقائى المظمين على كثير من دقائق الأمور بما لا يتسع
المجال لذكره فى هذا المقام .

المؤلف

مالكولم كير

الفصل الأول

التجربة والخطأ - الجمهورية العربية المتحدة ١٩٥٨ - ١٩٧٠

- ١ - مناهضة الاستعمار
- ٢ - التحول الاجتماعي
- ٣ - حزب البعث السوري والشيوعية
- ٤ - وحدة مصر وسوريا
- ٥ - مصر والعالم العربي
- ٦ - تغيير في الخطط
- ٧ - الانفصال السوري
- ٨ - الأسباب الضمنية

من المعروف أن يقبل أى انسان فكرة انفصال لبنان عن
دمشق ، إذن فما وجه الغرابة فى حادث انفصال دمشق عن
القاهرة ؟

احمد بهاء الدين — أخبار اليوم فى ١٦/٥/١٩٦٢

منذ اعلان الحرب العالمية الثانية ، فإن الراى السياسى العلم
السائد فى العالم العربى ، أن ثمة جريمة ارتكبت فى حق الوحدة
العربية ، وفى الوقت الذى اشتد فيه التنافس والتسلط بين
الأحزاب السياسية ، كانت فكرة الوحدة العربية ، فكرة جيدة
يتحمس لها العرب بشعور قوى ، يفوق وحدة دول أمريكا اللاتينية ،
واتحاد الكومنولث . ومن ثم فلا الدول العربية ولا الدول الغربية
عندهم الاقتناع الكافى لشرح وجهات نظرهم ازاء هذا الموضوع .

ولكنى أحب أن أوضح أن الهدف والمنهج هو دراسة بعض
الوقائع والأحداث ، خلال السنوات المحدودة ، منذ اعلان الوحدة
بين مصر وسوريا تحت اسم « الجمهورية العربية المتحدة » فى
فبراير ١٩٥٨ حتى وفاة الرئيس عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠ ،
علما بأن محور الدراسة يدور حول التنافس بين الزعماء والقادة
العرب ، مثل زعماء حزبى البعث السورى والعراقى باعتبارهم من
القيادات الثورية زللاء عبد الناصر ، أو قيادات المنظمات
الفلسطينية ،

وتقوم فكرة هذه الوحدة على محورين أساسيين :

- الأولي : مناخضة الاستعمار والنصدي له .
 - الثاني : الثورة الاجتماعية ، والنحول الاجتماعي .
- ولكل من المحورين نصيب وافر من الدراسة .

* * *

١ - مناخضة الاستعمار :

ان عداء الشرق للغرب شعور جوهري وأساسى ، يرجع فى جوهره الى تصدى الغرب للقومية العربية حتى عام ١٩٥٨ ، فمن المعروف ان القوى الأوربية والانجليزية كانت تناهض بشدة أى قوى سياسية فى العالم العربى تعجل لتحقيق القومية العربية ، ويتضح هذا من تدمير أو بمعنى أدق وأد الوحدة العربية : المصرية السورية ، ثم بلى ذلك التدخل فى شئون ثورة العراق ، وأخيرا الحرب الأهلية اللبنانية .

ومنذ عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٨ بدأ (أولا انجلترا وفرنسا ثم فى مرحلة تالية كانت انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية) التدخل فى شئون مصر وسوريا والعراق والأردن ولبنان والعربية السعودية .

ان القومية العربية لم يصادفها التوفيق والنجاح فى كثير من المواقف ، وفى بعض الأحيان كانت سياساتهم تأتى بنتيجة عكسية خاصة أن العرب كان يعترکہم الشعور بالذنب مؤخرا .

أما عن موقف الاتحاد السوفيتى فمنذ عام ١٩٥٥ حتى عام ١٩٥٨ كان موقفه يتسم بالنشاط والحيوية ، ولقى بكل ثقله الى جانب حكومتى مصر وسوريا ، وأخيرا مساندة الثورة فى العراق ،

ويحاول تدعيم موقفه مع هذه الدول في كل المجالات ويحاول أن يتصدى لسياسة انجلترا وأمريكا في هذه المنطقة من العالم ، ولاشك أن مناهضة أمريكا وانجلترا للوحدة العربية بصفة عامة ، ولقيام الجمهورية العربية المتحدة بصفة خاصة ، موضوع خارج عن نطاق البحث هنا .

ويكفي أن نشير هنا إلى أن سوريا كانت محور الأحداث في منطقة العالم العربي قبل إعلان الوحدة مع مصر ، وفي نفس الوقت كانت مصر والعراق أبطال الموقف في العالم العربي أيضا .

وجدير بالذكر أن فكرة الوحدة العربية كانت مصر تسعى إليها قبل إعلان ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وان جاءت مبادئ الثورة — في بادئ الأمر — خالية تماما من أي مضمون عن الوحدة العربية ، إنما كانت فكرة الوحدة العربية تضرب جذورها في أعماق الماضي حينما كان حكام وادي النيل ، وكذلك حكام منطقة الهلال الخصيب يفرضون آراءهم وأفكارهم على وجدان العالم العربي ، وكانت آخر مراحل القومية العربية تلك التي ظهرت إلى حيز الوجود أثناء الحرب العالمية الثانية في وقت كانت فيه فرنسا تفرض نفوذها على منطقة الشام ، ومن ثم اشتدت حماسة سوريا لذلك عقب حصولها على الاستقلال عام ١٩٤٦ ، وحذت حذوها بقية الدول العربية التي نالت استقلالها بعد ذلك ، وان كانت أولى مراحل القومية العربية قد بدأت أثناء الحرب العالمية الثانية ، وكانت الفكرة تنبع من العراق متمثلة في حماسة قياداتها السياسية وولى العهد ، وكذلك الوصي على العرش عبد الله ، بالإضافة إلى حماسة رئيس الوزراء نوري السعيد ، وهؤلاء كانوا يؤكدون بين حين وآخر بحتمية اتحاد سوريا مع العراق تحت التاج الهاشمي أو تحت أي شعار من شعارات الوحدة ، في حين كانت مصر تناهض بشدة

مثل هذا الاتحاد ، وتشاركها السعودية هذا الاتجاه ، إذ مثل هذا الاتحاد سبغ فرض حصارا على الحدود الشمالية للسعودية .

ومما لا شك فيه أن علاقات دول المنطقة في الشرق الأوسط ببريطانيا كانت سيئة ، في وقت سمعت فيه مصر لإنهاء علاقة التحالف مع بريطانيا ، الأمر الذي دعا بريطانيا إلى زياده ارتباطها بالعراق والعمل على تنمية مصالحها به ، وفي نفس الوقت كانت بريطانيا ترى أن مستقبلها مرتين بزيادة ارتباطها بسوريا ، في الوقت نفسه كانت مصر تقاوم السياسة العراقية في المنطقة ، وكذلك تغفل النفوذ الفرنسي حتى عام ١٩٥٦ في وقت كانت فيه المصالح الفرنسية في مجالات الزراعة والسياسة باتزال قائمة في سوريا حتى بعد حصولها على الاستقلال ، وأن العرب لا ينسبون لبريطانيا أنما السبب في تمزيق وحدة العرب أثناء الحرب العالمية الأولى .

وبرغم هذا فإن سوريا ترتبط بفرنسا من خلال العديد من المصالح المشتركة ، بينها كانت انجلترا ترتبط مع كل من مصر والعربية السعودية والعراق من خلال العديد من المصالح المشتركة والتيارات السياسية التي موج بها هذه الدول .

ومنذ عام ١٩٥٥ بدأت التوازنات الدولية في المنطقة تتغير ، إذ أصبح التنافس في المنطقة مقصورا على كل من : الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت العراق تناهض السياسة السورية وتخلق معها الكثير من المشاكل والقضايا ، وقد كان الفكر الجمهوري في سوريا قويا في ذلك الوقت . وكثير من العرب مقتنعون (خاصة الجيل الجديد الذي تأثر بالنيارات والأفكار السداسية التي سادت المنطقة عقب الحرب

العالمية الثانية) بأن السياسة الانجليزية لا تقل عن السياسة الفرنسية كرها وبغضا ، وقد تذكروا أن عبد الله ونوري السعيد ومعاونيه قد ظهروا في أفق السياسة العراقية ابان أحداث الحرب العالمية الثانية ١٩٤١ وكل ما فعلوه أنهم وجهوا اللوم الى صديقتهم بريطانيا نتجة لما احق بالعرب على يدها في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، تلك الحرب التي تركت أثرا عميقا في نفوسهم .

وكان جل الخوف من حدوث اتحاد بين العراق وسوريا ، اذ في هذه الحالة سوف ترتبط سوريا بالقوى الامبريالية ، الأمر الذي سيترك بصماته بشكل جذري على الوحدة العربية لدى غير نصير ، ومنذ حدث تعاون بين بريطانيا والبيت الهاشمي الملكي على قيام اتحاد هاشمي والساعي تبذل من أجل ضم كل من : العراق وسوريا والأردن .

ولكن مصر -- أقوى وأكبر الدول العربية -- كانت تمنع بشدة قيام مثل هذا الاتحاد في وقت لم يكن هناك تنسيق تام فيه بين كل من مصر وسوريا ، وظل الوضع في هذا الاطار حتى عام ١٩٥٥ حينما برز الى أفق السياسة العربية عبد الناصر كزعيم للقومية العربية في وقت كان قد تمكن فيه من اجبار القوات البريطانية المحتلة لمصر أن تأخذ عمساها وترحل الى غير رجعة .

ومنذ عام ١٩٦٩ الى عام ١٩٥٧ احاطت بسوريا عدة أخطار كانت سوف تدفع بها الى أحد خيارين :

— استـتـرار سلسـلة الانقلابات العسكرية حيث كانت هذه الانقلابات هي السمة التي اتسمت بها هذه الفترة بدءا بانقلاب عام ١٩٤٩ ثم انقلاب عام ١٩٥٤ .

— والاخير الثاني هو حدوث صراع حضاري (انجليزي في العراق وفرنسي في سوريا) الى أن تتفوق كفة على أخرى . وفي

جانب الدول العربية في الوقت الذي كانت فيه العراق وانجلترا
تسعيان الى ضم كل من سوريا والأردن لهذا التحالف ، ولكن مصر
تصدت بعنف لهذه المحاولة أيضا .

ولكن جماعة الانقلاب العسكري في سوريا عام ١٩٥٤ بقيادة
« أدبب الشبثيكيلى » لم يتمكنوا من الصمود أمام القوى المدنية
الثورية ، ومرة أخرى ظهرت في الأفق فكرة الاتحاد الهاشمى بهدف
ضم سوريا اليه . ولكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل الذريع . .
كان حلف بغداد يواجه معارضة شديدة من القاهرة وتوجه تحذيرات
الى كل من الأردن ولبنان وسوريا .

وقد حاولت جبهة مصر والسعودية انفاذ سوريا من هذا
المأزق بتأييد من الاتحاد السوفيتى ، حتى ان سوريا قد وقعت مع
مصر على معاهدة دفاع مشترك قبل نهاية عام ١٩٥٥ .

وكان موقف الأحزاب السياسية في سوريا الموالية لسياسة
العراق وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ، قد قضى
عليه بنشوب أزمة السويس ، ومن ثم فقد ظهر في أفق السياسة
العالمية وجه جديد هو الرئيس الأمريكى دوايت ايزنهاور
D. Eisenhower وهو من روع قراره بملء الفراغ في منطقة
الشرق الأوسط ١٩٥٧ ، حيث أعلنت الولايات المتحدة عن نظام
جديد لدفع الخطر الشيوعى المشوقع حدوثه عن منطقة الشرق
الأوسط .

وكان من أهم أحداث الساعة في منطقة الشرق الأوسط
التصدى لخطر الشيوعية العالمية ، وقد أبدت حكومات كل من :
إيران والأردن والعربية السعودية رغبتها في التحالف مع الاتحاد
الذى تم بين القاهرة ودومني باعتبار أن باب العضوية ترك مفتوحا

إن بشاء الاشتراك في مناقضة الشيوعية العالمية بمنطقة الشرق الأوسط ، وكانت هذه الدول — في واقع الأمر — مرتبطة بالتسليح الأمريكي ، وكذلك بالدولار الأمريكي أيضا . كما أن أنظمة حكم هذه الدول تدفع الثمن غالبا . ولاشك أن هذا مهد الطريق للحملة العسكرية التي قامت بالتدخل في شؤون لبنان في بداية شهر مايو ١٩٥٨ ، وكذلك حدوث انقلاب عسكري بعد ذلك بشهرين في العراق في وقت كانت فيه سوريا ضحية لهذا التطويق الذي أحاط بها .

ففي شهر سبتمبر عام ١٩٥٧ رأت الدوائر الأمريكية الرسمية أن سوريا تنزلت نحو الشيوعية بل تشجع تركيا على توحيد الجيشين في البلدين ، ووضعه على حدود سوريا الشمالية ، وانتهزت مصر وروسيا هذه الفرصة لكسب هذه الجولة لصالحهما وكانت خربة في الصمم للغرب ومصالحه الاقتصادية والاستراتيجية في المنطقة . ولكن سوريا كانت كبش الفداء لكل من مصر والاتحاد السوفيتي لكسر قيود العزلة المفروضة من قبل الغرب .

وبهذا يهت سوريا وجهها ناحية الشرق — ما في ذلك شك — وذلك باتحادها مع مصر في فبراير عام ١٩٥٨ ، وبهذه الخطوة أنهت سوريا الضغوط التي كانت ماثلة من قبل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والعراق (وأطراف أخرى) وكذلك الاتحاد السوفيتي ، كما أنهت سوريا مشاكلها الداخلية .

ولاشك أن الثورة العراقية في يوليو عام ١٩٥٨ هزت مركز بريطانيا بعنف في منطقة الشرق الأوسط ، وأن نزول القوات الأمريكية والبريطانية في لبنان والأردن كان بهدف حماية النظام

الحاكمة من الاطاحة بها . وهذا أقصى جهد كان بإمكان الغرب أن يبذله من أجل المحافظة على الأوضاع الداخلية وجعلها هادئة مستقرة ، ومنذ عام ١٩٥٩ فصاعداً فإن السنون الخارجية للدول العربية — باستثناء الأحوال الداخلية — أصبحت أسيرة العالم الغربى .



٢ — التحول الاجتماعى :

تزايدت الحماسة العربية للوحدة العربية عقب اعلانها فى عام ١٩٥٨ ، ومن ثم أصبح الشعور بجمعية التحول الاجتماعى أمراً ضرورياً لمناهضة الاستعمار ، فقد كانت هذه هى السمة السائدة فى السياسة العربية ، وفى تصريحات المسؤولين . ولم يكن هناك ثمة تفريق بين مناهضة الاستعمار الذى ارتفعت حدته منذ عام ١٩٥٨ ، وما كان سائداً قبل هذا التاريخ بوقت قصير . وهذه المعارضة الحادة كانت واضحة فى برامج تلك الأحزاب الرادكالية، وأصبح يسود العالم العربى تأييد منقطع النظر للوحدة العربية فى عام ١٩٥٨ ، وثورة العراق التى أعقبت ذلك .

وفى المقابل ارتفعت حدة المعارضة للشعور القومى كرد فعل من قبل القوى الشائنة منذ زمن بعيد والمتملة فى تلك الحكومات التى تسيطر عليها قلة من الاقطاعيين والرأسماليين ، وتلك الأحزاب التى تخدم هذه القلّة ، وقد وجدت هذه القوى أن من الأفضل الابتقاء على العالم العربى منقسماً على نفسه ، وذلك باستمرار تحالفها مع القوى الاستعمارية ، وهو الأمر الذى كان مؤداه انتكاساً خطراً للتضامن فيما بعد .

ونفى ظل هذا الاتحاد الجديد الذى تم بين مصر وسوريا كأنه أفكار التحول الاجتماعى مسمدة من شخصية الرئيس جمال عبد الناصر ، وكذلك حزب البعث العربى السورى ، ولكن أيديولوجية هذه القوى لم تكن واضحة تماماً فى رؤيتها لضرورة التخلص من الاستعمار الذى كان بمثابة قوى أجنبية تتحكم فى مقدرات العالم العربى أو فى سياسته الخارجية . هذا الى جانب وجود انجم بين القوى الكبرى والعالم العربى بصلة عامة من الناحية الاجتماعية والسياسية ، وكذلك النظم الاقتصادية . فلكل دولة سياستها الاقتصادية الخاصة بها إذ أن كلتا القوتين تعتقد أن ثمة توافقاً بين القوتين المؤثرتين : شخصية جمال عبد الناصر وحزب البعث السورى ، وأن هناك شبه تطابق تام بين وجهتى نظريهما ، وذلك على الرغم من أن كليهما قد نظر الى حادث الاتحاد بين مصر وسوريا من منظور مختلف عن الآخر .

لقد حرص جمال عبد الناصر على رفع شأن القوى العسكرية ، هو ورفاقه من الضباط العاملين فى الجيش المصرى منذ أواخر الثلاثينات ، وقد أتاح لهم هذا التعرف على مشاكل مصر عن قرب ، كما تزايد لديهم الشعور بالمسئولية بحتمية التخلص من كل هذه المشاكل الداخلية بروح وطنية مفرطة ، نتيجة لمبادئهم المتأصلة فى نفوسهم ، منذ زمن بعيد ، لذا فإنهم كانوا ضد تنشئ الرثوة ، والعمل على رفع الظلم الاجتماعى ، هذا بالإضافة الى مناهضة الاستعمار ، ومن ثم فقد كانوا يرون ضرورة تطهير الدولة من الفساد وتقوية الجيش المصرى ، وتدعيم الاقتصاد الوطنى المنهار ، والعمل على رفع مستوى المعيشة للشعب ، وفى وقت لاحق كان الضباط الأحرار يرون ضرورة إقامة حياة ديمقراطية إذ أنهم لا يثقون فى تلك الأحزاب السياسية القائمة فى مصر ، وهذه الاجراءات ليست لى اعتبار آخر ، الا بسبب غسساد هذه

الأحزاب السياسية القائمة من قبل اعلان الثورة ، والتي كانت أداة فى يد حكومات الأقلية ، والعبوة فى أيديهم ، وعلى هذا فقد رأوا حتمية حل هذه الأحزاب واثاحة الفرصة أمام قوى الشعب لبناء تنظيم سياسى جديد ممثل فى « هيئة التحرير » كما أنهم رأوا ضرورة تغيير هذا التنظيم السياسى بعد عام ١٩٥٦ ، اذا كانوا يرون ضرورة حكم الدولة بأسلوب ديكتاتورى ومن خلال مجلس قيادة الثورة الذى يضم اثنى عشر ضابطا ومجموعة أخرى من ضباط الجيش .

وعندما تمت الوحدة مع سوريا تكونت مجموعة عمل من القيادات المصرية لبدء تجربة الحياة النيابية الدستورية ، ومن ثم فقد تم تشكيل برلمان نيابى بدقة بالغة من خلال انتخابات تشريف عليها الحكومة ، وكانت الخطوة الاولى التى تم اتخاذها لخلق ما تعارفوا على تسميته « بالاتحاد القومى » والممثل فيه كل قوى الشعب العاملة التى وجدت بمصر فى نهاية فترة الخمسينات ، وقد اتخذت قرارات ارتجالية غاية فى الخطورة ، كذلك رأت قيادة الضباط اصدار قرار بتكوين الاتحاد القومى من الفلاحين والعمال والمتقنين وقوى أخرى وضمت فى الاعتبار ، كل هذا من أجل كسب القاعدة العريضة من الفلاحين والعمال لتأييد سياساتهم .

كما أناح العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ الفرصة لتمصير الشركات التجارية الأجنبية العاملة فى مصر ، اذ وجد النظام المصرى نفسه مضطرا لتمصير العديد من الشركات التجارية والصناعية المملوكة لاندجترا وفرنسا ، واعتبرت هذه الخطوة الاولى من قرارات التأميم التى اتخذت فى يوليو عام ١٩٦١ .

باختصار كانت نظرية عبد الناصر عن عملية انفصال سوريا عام ١٩٦١ — التى من أجلها أنشأ « الاتحاد الاشتراكى » — بعيدة

عن الواقع ، في وقت كان فيه الاتحاد القومي مايزال قائما . وهذا الفشل يرجع بالدرجة الاولى الى نخطب الضباط الأحرار وعدم خبرتهم خلال السنوات الخمس السابقة لنشأة الاتحاد القومي ، هذا بالإضافة الى الصعوبات التي صادفتهم في التطبيق ، وقد أدركوا يقينا عدم تحقيق الأهداف المرجوة منه ، هذا بالإضافة الى اتحام وجهة النظر الشخصية في تفسير الأمور بالدولة واتخاذ القرارات الارتجالية بغض النظر عن النتائج التي سوف تتمخض عنها .

* * *

٣ - حزب البعث السورى والشيوعية :

ان حزب البعث هو الذى دفع سوريا الى اقامة اتحاد اندماجي مع مصر ، في شهر ديسمبر عام ١٩٥٢ تم اندماج الحزبين (البعث والشيوعي) بشكل متميز ، أحدهما هو حزب البعث الذى كان قد تأسس في وقت مبكر على يد طالبين سوريين كانا يتعلمان في باريس وهما : صلاح الدين البيطار ، وميشيل عفلق .

والشخصية الثابتة هي التي أضفت على الحزب سمة التميز والانتشار سواء كان هذا من خلال مطبوعاته أو مقالاته أو محاضراته ومؤلفاته ، ومما يلفت النظر أن ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار كانت لهما علاقة من بعيد بالمنظمة الشيوعية في باريس ، تم انكراها قبل تحولهما الى القومية العربية ، وان كانت الأفكار الشيوعية قد علقت بأرائهما ليس فقط فيها يتعلق بالمبادئ الشيوعية ، ولكن في ميلها الى النظريات الكلاسيكية ، وان كان هذا الميل بمثابة مؤثر لمبادئ جديدة في عالم السياسة .

ومن أجل تحقيق القومية العربية يتطلب الأمر تحقيق : الحرية والوحدة والاستراتيجية . وهذه المبادئ يجب أن تنال كل تقدير

وأهتمام ، وفى واقع الأمر ان تحقيق القومية العربية لا يتوقف على تحقيق هذه المبادئ فقط ، انما أكثر من هذا القيام بنهضة خلاقة على أسس سليمة ، ومن ثم فان حزب البعث هو باعث النهضة ، وربما يكون ميثيل علق — المسيحى الأصل — لعب دورا غامضا فى الخفاء لنشر هذه الأفكار .

والفكرة الأخرى لحزب الوحدة هى أن الحزب الاجتماعى الخاص بأكرم الحورانى يسند قى تدعيم أفكاره هذه على الجزء الشمالى من سوريا خاصة مدينة حماه . حيث ان علق كان مشهورا فضلا عن أنه يتبع بشعبية كبيرة وحب وتقدير لدى محبيه باعتباره أستاذا لهم فى حين كان أكرم الحورانى بمنابة مندوب سرى بل يعتبر الديمو المحرك للأحداث ، ورجل المواقف ، فقد سبق له أن عمل كثيرا مع قادة الأحزاب السياسية ، وذلك على الرغم من أنه لم ينل حظا كافيا من التعليم ، ولم يكن لديه أفكار ومبادئ ثابتة منظمة ، ومن ثم فقد كان أقل الأعضاء مشاركة مع علق والبيطار وأقلهم ثورية وان كان لا يقل عن الأعضاء مشاركة شعبية فى مدينة حماه . ومن هنا كان يقف موقف العداء من تلك الأسر ذات الأصول العربية فى حماه .

وكان أكرم الحورانى — بعد عام ١٩٥٢ — بعد حزب البعث بكل العناصر الثورية فى القوات المسلحة . وهو الذى كان يبعث فى نفوسهم الأفكار والمبادئ الراديكالية والثورية خاصة أنهم كانوا من صغار الضباط . وبعد ان كان تعاوننا مع أديب الشيشكلى لفترة من الزمن ، اذا به يختلف معه فى عام ١٩٥٢ ويلجأ الى لبنان وهناك يعلن تأييده لميثيل علق والبيطار وبعض الضباط الذين تمكنوا من الاطاحة بأديب الشيشكلى فى عام ١٩٥٤ وكانوا أصدقاء لأكرم الحورانى خاصة الضابط مصطفى حمدون . فهذا الضابط

وغيره تمكنوا من التعاون مع الجناح المدنى لحزب البعث ، ومن ثم لعبوا دورا خطبرا فى يناير عام ١٩٥٨ عندما سافروا الى القاهرة والتفتوا مع جمال عبد الناصر باسم الجيش السورى طالبين اعلان الوحدة مع مصر فورا وذلك انقاذا لسوريا من الضياع الذى يطبق عليها من كل جانب .

وعلى هذا فان حزب البعث يعتبر مسئولا مسئوليّة مزدوجة : مرة عن قيام الوحدة ، والاخرى عن حركة الانفصال فى عام ١٩٦١ ، وعلى أية حال فان هذه الشخصيات السورية — التى طلبت الوحدة مع مصر — مختلفة بشكل جوهري عن فكر ونظام عبد الناصر فى ذلك الوقت ، وبرغم هذا فان أقل ما يقال كلمات شكر وتقدير لشخصيتى وبشيل علق والبيطار وللروح التى يتمتع بها أكرم الحوراني ، وان كان يعتبر غير متورط فى مثل هذا الموقف ، فهو يتزعم الجناح الاجتماعى الثورى الداعى للوحدة العربية ، وبالرغم من أنه عضو فى الحزب فهو فى نفس الوقت يعد عسكريا قبل كل شىء ، فهو لهذا شخص منظم ومثقف ثقافة عالية . وبالإضافة الى هذا لم يكن هذا الحزب مقصورا على سوريا فقط ، فقد كان لزعمائيه فى سوريا قيادات سياسية فى لبنان والأردن والعراق وكان أعضاء حزب البعث ذوو الخبرة السياسية العميقة كانوا أعضاء فى البرلمان . حيث ان أكرم الحوراني كان عضوا برلمانيا منذ عام ١٩٤٣ ، وحيث حصل الحزب على ٢٢ مقعدا من ١٤٢ مقعدا فى انتخابات عام ١٩٥٤ ، ومن ثم أصبح كل من أكرم الحوراني ، وبشيل علق وزيرين فى وزارة ١٩٤٩/١٩٥٠ . وكان البيطار وزيرا للخارجية منذ عام ١٩٥٦ حتى قيام الوحدة مع مصر ، وفى عام ١٩٥٧ أصبح الحوراني المتحدث الرسمى باسم البرلمان باعتباره منسقا بين جميع الأحزاب البرلمانية خلال فترة الخمسينات . ومن هنا أصبح حزب البعث هو المهيمن على كل التيارات السياسية التى كانت تموج بها سوريا فى ذلك الوقت .

وعلى الرغم من تأثر حزب البعث خلال العامين الأخيرين نان عطلق والبيطار — جناحي البعث — كانا الملاذ والمجأ للقوات المسلحة اذا ما خالجهما الارتياح وسوء الظن في السياسة الخارجية للدولة ، ومما يدعو للسخرية أن كل هذه التيارات لم تكن واضحة لهما لدى أعضاء مجلس قيادة الثورة في مصر ، حيث أن حزب البعث كان مستغرقا في تياراته السياسية ، ومشتتا في أفكاره ومبادئه الاجتماعية طوال العامين الأخيرين قبل اعلان الوحدة مع مصر في عام ١٩٥٨ وكذلك الاغراق في ردود الأعمال المترتبة على ذلك . ومنذ عام ١٩٥٥ ، كانت السياسة الخارجية لسوريا متطابقة تماما مع السياسة المصرية كحليفين للاتحاد السوفيتي ، وفي نفس الوقت فان كثيرا من القيادات السياسية في الوزارة السورية بما في ذلك الرئيس شكرى القوتلى ، ورئيس الوزراء صبرى العسلى وأيضا خالد العظم نائب رئيس الوزراء كانوا جميعا من المدرسة السياسية القديمة ، وقد حضر جلسة البرلمان عن الحزب الشيوعى خالد بكداش في وقت استمر فيه النظام الاقتصادى لسوريا يمثل في الاقتصاد الحر ، وهو نفس النظام الذى ظل سائدا منذ الحرب العالمية الثانية ، ولكن يشذ عن هذه القاعدة رجل مثل خالد العظم ، فهو ينتمى الى أعرق وأقدم العائلات المشهورة في دمشق ، وهو يمتلك مساحات شاسعة من الأراضى لدرجة أنه يعرف بلقب « الباشا الأحمر » من قبل أصدقائه في الاتحاد السوفيتي ، وهو لذلك مشهور بمفاوضاته مع السلطات السوفيتية فيما يتعلق بطلب المساعدات الاقتصادية ، وبالرغم من هذا فإنه مفاوض عنيد اذ يتمتع بشخصية قوية ، ولهذا فلم يستمد قوته وشخصيته هذه بانتمائه الى حزب البعث الشيوعى ، وما يتسم به من مناورات سياسية خاصة في أوساط القوات المسلحة بقدر ما يستمدّها من مساحاته الشاسعة من أراضى دمشق .

وفى سبتمبر عام ١٩٥٧ انضم كذلك بعض الضباط مثل
عفيف البرزى - الضابط الشيوعي - وأصبح رئيساً للقوات
المسلحة ، هذا بالإضافة الى بعض الضباط المهيمنين ، الأعضاء فى
الحزب الشيوعي البعثى أمثال الضابط عبد الحميد السراج الذى
يتسم بالذكاء ، وهو يرأس جناح الثورية بالجناح الراديكالى .
كما أنه يتفق معه كثيراً فى وجهات نظره ، ومن هنا يعتبر صديقاً
للحزب من خلال هذه الزاوية .

ومن المعروف أن منهج السياسة التقليدى فى الوزارة كان
يتزايد باستمرار نتيجة ضغوط وممارسات الضباط من الناحية
الأيديولوجية ، ولاشك أن التيارات السياسية التى تموج بها سوريا
منذ عام ١٩٥٤ ولدة أربع سنوات تالية كان أهم سمات هذه الفترة
هى آراء وأفكار جماعة الإخوان المسلمين وكذلك الحزب القومى
السورى بجانب الحزب القديم المحافظ . كل هذه الأحزاب كانت
ترفض هذا الاتجاه لاعتبارات عديدة ، والحزب القومى الذى به مثله
شكري القوتلى ، وكذلك رئيس الوزراء صبرى العسلى كانوا
يتفقون بل يعتمدون كثيراً على خالد العظم ، وبعضهم وخاصة
شكري القوتلى مازالوا يستفيدون من الوضع الاستراتيجى من
معارضتهم لغرسنا قبل الحصول على الاستقلال وكذلك رفضهم
التدبد لحلف بغداد ، وبختمية التعاون مع مصر ، ومن ثم فقد
أصبحوا من الشخصيات البارزة التى تتسم بالثورية وذلك باعتبار
أنهم من قدامى الشخصيات السياسية والسرغوازية ، وأيضاً
باعتبارهم يتمتعون بعلاقات طيبة مع كل الأطراف مع مرونة سياسية
لدرجة أنهم أصبحوا هدفاً لرساى الكاربتاير الساخرين .

ويبدو أن الحكومة والجيش كانا يتحكمان فى شؤون
سوريا من خلال الحزب الشيوعي ، إذ أنها لا يستطيعان التحكم

بعد ذلك في حزب البعث الذي سعى الى الاتحاد مع عبد الناصر من أجل أن يحول دون سيطرة الشيوعيين على زمام الموقف الحرج، ومن المستحيل أن يخشى حزب البعث ومن والأهم من الشيوعيين من ضغط المناهضين للغرب من تلك الدول المجاورة سواء في الوقت الحاضر أو فيما بعد ، فان الشيوعيين سوف يتصدرون بكل عنف من أجل المشاركة أو الاستيلاء على السلطة ، ومن ثم فمن المستحيل مقاومة مثل هذا الاتجاه الذي يدعو الى التعاون مع القوى الغربية وأعوانهم في منطقة الشرق الأوسط .

وعلى أية حال يبدو أن هذا الأمر في نظر القاهرة — بالنسبة للوحدة مع سوريا — لابد أن يتم بالتفاهم والحوار وليس باستخدام العنف والضغط ، وهذا ما كانوا ينشدونه منذ سنوات مضت فاذا لم يتم قيام وحدة قوية ، فان المبادئ الثورية هذه سوف تتأثر بها كثر من الدول العربية (٢) .



٤ — اتحاد مصر وسوريا :

اتسمت فترة قيام الوحدة بين مصر وسوريا بشيء من الغموض والتداخل وقد نبه لذلك عبد الناصر في المحادثات التمهيدية لقيام الوحدة المصرية السورية عام ١٩٥٨ وكان عبد الناصر يرى أنه كان لابد من إيجاد قاعدة تقوم عليها هذه الوحدة ، وهذا الأمر يستغرق خمسة أعوام على الأقل أما اذا كان لابد فمن الضروري

(٢) وامتنعت المناقشات عن الملابس والظروف التي يمكن أن تتم فيها الوحدة . سوف يرد تفصيل ذلك تحت عنوان « صراع في سوريا » فصل ١١ للمؤلف جورجانت توري ، والكتاب الآخر له بعنوان « السياسة السورية والجيش » ١٩٤٥ - ١٩٥٨ الصادر في عام ١٩٦٤ .

وضع ذوابط وشروط على ألا تكون وحدة غيرالية كما يريد بعضها بعض السوريين ، بل نريدها وحدة مركزية تحل معها جميع الأحزاب السياسية ، وقد وافق الوفد السوري على كل هذه الشروط .

ولم يكن لشكري القوتلى وصبرى العسلى رئيس الوزراء دور فعال فى المحادثات . حيث أن حزب البعث وأنصاره فى القوات المسلحة ننوا خالد العظم وكذلك أنصاره من الشيوعيين ، إذ كانوا يعارضون مسألة الوحدة مع مصر بانفعال شديد ، وبطريقة مهذبة ، ولكن كانت معارضتهم ليس لها أدنى تأثير فى مجرى الأحداث .

وبعد أن تم التصديق على قيام الوحدة فى ٢٢ فبراير عام ١٩٥٨ (*) منح شكري القوتلى لقباً شرفياً « المواطن الأول » من « الجمهورية العربية المتحدة » وأصبح صبرى العسلى نائب الرئيس — جمال عبد الناصر — فى القاهرة ، فى حين تراجع خالد العظم عن السياسة بصفة عامة ، كما اختفى الشيوعيون من الساحة السياسية العربية .

وأصبحت السلطة كلها مركزة فى يد عبد الناصر لدرجة أن أعضاء الحكومة السورية أصيبوا بإحباط نفسى شديد ، وشعروا بأنهم وقعوا فى مأزق طوال سنوات الاتحاد . فى وقت كانت فيه وجهات نظر عبد الناصر هذه فى محلها . ولكن أمام الأمر

(*) انظر خطب وتصريحات جمال عبد الناصر ج ٢ إذ أعلن بمناسبة اتفاقية الوحدة قوله : « .. دولة تحمى ولا تهدد .. تصون ولا تهدد .. تقوى ولا تضعف .. توحد ولا تفرق .. تالم ولا تفرط .. تشد أزر الصديق .. وترد كيد العدو .. لا تتحزب ولا تنعصب .. لا تتحرف ولا تنحاز .. تؤكد العدل .. وتدعم السلام » .

(المترجم)

الواقع كان مطلوباً من الجميع أن يسلموا لهذا الأمر ، وأقدم عبد الناصر على اتخاذ قراره بتجميد كل المحادثات السورية السابقة ، وإزاء هذه الظروف وتلك التطورات المتلاحقة كان حزب البعث يبدو كأنه توأم لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر ولكن من خلال مبادئ وأفكار سياسة جمال عبد الناصر .

وفي هذا السياق يجب علينا أن ندرك ما حدث من لبس نتيجة لموقف حزب البعث الذي اتسم بالغوض أثناء أحداث الوحدة المتلاحقة . فعلى أي أساس يمكن لهم مشاركة زملائهم المصريين في السلطة ؟ وفي الوقت الذي تمت فيه الوحدة بين مصر وسوريا كانت هـشاعر القنوط واليأس تسيطر على الزعماء السوريين ، ومن جانب آخر كان يخامر الزعماء المصريين شعور بأنه ليس في إمكانهم فرض النفوذ على سوريا في وقت كان فيه الزعماء السوريون مدركين أنهم لن يتمكنوا من تحقيق أهدافهم وأمنهم من خلال سياسة عبد الناصر وأيديولوجيته ، بل من المحتمل أن يقفوا حجر عثرة أمامه . . . وسوف تكون هذه مجرد خواطر وذكريات تداعب خيالهم تماماً كما يؤكد المثل القائل : ذلك الرجل الفرنسي الذي يتنى أن يسيطر على ألمانيا بأن يكون لديه جيش أكثر عدداً من الجيش الروسي ولكن أقل من الجيش الفرنسي .

وهذا بالتالي يدعونا إلى الحديث عن الصعوبات التي اكتنفت محادثات الوحدة بين مصر وسوريا ، واتضح ذلك بعد عدة سنوات أثناء محادثات ١٩٦٣ حينما بذلت جهود غير موفقة لقيام وحدة بين البلدين مرة ثانية حيث كان حزب البعث في ذلك الوقت له هدف أيديولوجي ، وأصبح قادته يعانون من تمسكهم بأيديولوجيتهم ، حيث هي رؤيتهم الوحيدة والحقيقة النابتة لديهم ، والتي كانوا يرون أنه لا مفر من التمسك والتشدد بها إزاء تطورات الأحداث السياسية

التي كانوا يعتقدون — واهمين — أنها توصلهم الى السلطة الحقيقية .

ولكن عبد الناصر ومبادئه الثورية الرائعة ، وكذلك ميشيل عفلق ذلك السياسي المحنك ، قد صرح للصحف بعد محادثات الوحدة هذه بقوله :

« انه في احتياج الى غيلسوف ينطق له هذه الأحداث المتلاحمة وهذا ما يهدف اليه حزب البعث ، انهم يودون أن يروا مراحل سياستهم الداعية الى الحرية والوحدة والاشتراكية قد ذات في مبادئ الثورة المصرية ومبادئ عبد الناصر الشخصية » .

وكانت قيادات حزب البعث بغلب عليها طابع الخبال والبعد عن الواقع وهذه القيادات لا تقدر تطور الأحداث ، وأي أنكار ثورية لا يمكن تحقيقا بدون عقيدة راسخة لديها . قبل أن تستفيد بخبرات عبد الناصر وسياسته الراسخة لكي يغيروا بها أفكار وسياسة حزب البعث (وسوف نرى ذلك خلال محادثات الوحدة في عام ١٩٦٣ حيث واجه عبد الناصر كلا من ميشيل عفلق وصلاح الدين البطار بمثل هذه المناقشات في آرائهم) .

وبناء على هذه المبادئ فان حزب البعث توقع أن يقدم خدمات جليلة الى القادة المصريين ويكونوا أنقاداً لهم في تسيير دفة الأمور ليس فقط في سوريا إنما أيضاً في داخل شئون الوحدة المصرية السورية التي كانوا يأملون أن تكون مبادئهم ذات أثر عميق في كل من مصر وسوريا على مدى بعيد ، وعلى أية حال كان يخامرهم الأمل بتنفيذ سياستهم هذه على أقل تقدير في سوريا أي في الاقليم الشمالي السوري في ظل هذه الوحدة .

وبالرغم من كل هذا فان الفوز في الانتخابات من ناحية مع التمسك بالناحية الأيديولوجية من ناحية أخرى (بالإضافة الى تنظيم

حزب البعث وخبراته الشخصية ، هذا بجانب مقدرته على الاستقرار في التلاحم بالجماهير الشعبية) ، جعل قادة الحزب يعتقدون أن عبد الناصر لا يجرؤ على حل جميع الأحزاب السياسية في سوريا بما في ذلك حزب البعث نفسه ، و يرون تشكيل لجنة تنسيق بين مصر وسوريا بهدف قيام حزب مشترك بين الدولتين يعرف باسم « الاتحاد القومي » ومن ثم فمتروك لهؤلاء القادة السوريين إعادة تشكيلاتهم بهدف الاندماج في هذا التنظيم الجديد ، وقد صرح ميشيل غنلق بقوله : سوف نكون موظفين لا أهمية لنا ، وسوف نكون مجرد أشخاص في حزب الوحدة المعروف بالاتحاد القومي بمجرد مواد الوحدة بين الدولتين مصر وسوريا .

وبالنظر الى أحداث الماضي فإنه يبدو أن عبد الناصر سوف يقبل مثل هذا التنظيم فقد تم انشاء ما عرف حينئذ « بالاتحاد القومي » على وجه السرعة معتمدين في ذلك على مالدبهم من نشاط وخبرة ، وما يتمتعون به من سمعة طيبة ، وتلاحم قوى بين أعضاء القيادة ، وفي نفس الوقت فإن حزب البعث والحزب الشيوعي هما الثوتان العظيمان بين الأحزاب السياسية السورية بالإضافة الى وجود قوى سياسية عديدة في سوريا منها : التنظيمات العسكرية والمدنية لدرجة أن هاتين القوتين امتد تأثيرهما الى داخل الحزبين الكبيرين في سوريا (حزب البعث والحزب الشيوعي) حتى أن الكولونيل عبد الحميد السراج يكون القوى السياسية الوحيدة في سوريا التي لا تنتمي الى أى تنظيم سياسى ، ولا يعتمد على القوى الأخرى باعتباره القائد العام للقوات المسلحة .

وفي محادثات الوحدة عام ١٩٦٣ هاجم عبد الناصر حزب البعث والبعثيين وألقى عليهم التبعة واللوم ، وقال عبد الناصر : « ان حل الأحزاب السياسية كان خطأ فادحا ، اذ ترك أثره

بوضوح على تنظيم « الاتحاد القومى » ولهذا فمن الأفضل إعادة تشكيل الاتحاد القومى من تلك القوى النورية ، وليس بالشكل الذى يريد أن يفرضه حزب البعث » .

وبطبيعة الحال لم يتمكن عبد الناصر من تطبيق هذا الفكر ، خصوصا بعد أن مضى وقت طويل على حل هذه الأحزاب ، والأمر يتطلب سعة من الوقت ، ومن الصعب جدا تنفيذ هذه الفكرة بالنسبة للأحزاب السياسية فى سوريا ، فبالنسبة لأيدولوجية حزب البعث يحتاج الى نفس الوقت وربما يكون لحزب البعث نفس الماضى ، ولكنه فى نفس الوقت يفتقر الى العقول المفكرة ، كما أنه لم يستفد من قبادات حزب البعث القديمة وان كان أكرم الحورانى قد عين نائب الرئيس ورئيس الجناح السورى . وقد عين كل من وزير الاقتصاد والسئون الاجتماعية مساعدين له ، وتم استدعاء صلاح الدين البطار الى القاهرة وصدر قرار بتعيينه وزيرا للدولة ، وأخبرا تم تعيينه وزيرا للثقافة وعضوا باللجنة المركزية العليا ، ولكن يتبادر الى الذهن بمجرد أن تم اعلان « الجمهورية العربية المتحدة » أن حزب البعث أصبح يتمتع بحرية أكثر .

وجدير بالذكر ان حزب البعث كان يفتقر الى الخبرة فى هذا الجانب وخاصة بعد تلك القيود التى فرضت على قياداته بعد قيام تلك الوحدة فى عام ١٩٥٨ ، ومن خلال هذا التصور يمكن أن نؤكد أن عبد الحميد السراج كان وزيرا للحربية فى الاقليم السورى ، وبرغم هذا كان قليل التعاون مع حزب البعث سواء كان ذلك قبل الوحدة أو بعدها ، وفى الحقيقة كان هذا الأمر أكبر دليل على مدى سلبية قيادات حزب البعث فى القاهرة .

وكان من هذا الوضع المتدننى لقيادات حزب البعث هو فشلهم فى الانتخابات التى جرت بشأن قيام هذه الوحدة ، وكان من الصعب

اكتشاف مثل هذا الوضع قبل إجراء انتخابات هذه الوحدة ، هذا بالقياس الى تلك الانتخابات البرلمانية التي جرت في مصر عام ١٩٥٧ ، ومما لاشك فيه أن هذه مسألة حيوية ومهمة بالنسبة لمعالجة سلبيات حزب البعث ، وبدون الالتزام والتمسك بمثل هذه الأسس ، فإن حزب البعث لن يجد قبولاً هنا أو هناك ، بدون اتخاذ هذه الخطوات من الآن وقبل إجراء الاستفتاء العام على الوحدة في ٨ يوليو ١٩٥٩ ، أي بعد مضي ١٧ أسبوعاً من قيام « الجمهورية العربية المتحدة » والا فسوف يجد أعضاء حزب البعث — المرشحون في الاقليم — أنفسهم وقد فشلوا في هذه الانتخابات في حين نجح في الاقليم السوري ٢٥٠ عضواً غير بعثي من عدد المقاعد .

واللافت للنظر أن كثيراً من المرشحين كانوا يواجهون معارضة ونالوا هزيمة ساحقة من قبل ائتلاف الأحزاب المحافظة التي هيمنت وفرضت وجودها على حزب البعث طوال مراحل المفاوضات مع مصر بشأن قيام هذه الوحدة العربية ، وبالرغم من كل هذا فإن حزب البعث هو الذي كان بيده زمام مسائل الاتحاد مع مصر .

ومن الأمور التي تدعو الى الأسى ، أن عبد الناصر — الناصر الديكتاتوري — هو الذي كان منحازاً بحماسة شديدة لأعضاء حزب البعث ، وهو الذي اختارهم بمساعدة عناصر رجعية ، ولكن على أسس ديمقراطية وبناتخابات حرة تماماً ، ولاشك أن مثل هذا أمر محير جداً ، وخاصة إذا علمنا أن بعض البعثيين شعروا بالرضا التام عقب حدوث الانفصال السوري عام ١٩٦١ وفي مطالب عبد الناصر التي فيه اليوم — لحدوث كارثة الانفصال — استل بعض العناصر الرجعية الى أعضاء الاتحاد القومي .

ومما لاشك فيه أن حزب البعث سقط في أول انتخابات جرت لوحدة ، ومن ثم بدا في التراجع والانهيار بشكل سريع ، وكانت

الخطوة الأولى له في أغسطس ١٩٥٩ ، فقد حدث انشقاق في الحزب ، وظهر هذا واضحا في ذلك الاجتماع المثير الذي جرى في لبنان حيث انشق اثنان من قياداته هما : عبد الله الريماوى ، وبهجت أبو غريبة (٣) وقد ذهب الاثنان الى القاهرة وشسكلا حزبا على طريقتهما الخاصة .

وفي الشهر التالي أصدر عبد الناصر قراره باعفاء رياض المالكي من منصبه كوزير في لجنة الاتحاد القومي ، وقد ترك هذا القرار رد فعل عنيئا في قيادات حزب البعث خاصة لدى : الحوراني ، والبيطار ، ومصطفى حمدون ، وعبد الغنى كانوت ، حدث ذلك في غضون نهاية شهر ديسمبر ، وبهذا كان فصل الختام في الاشتراك مع القيادات المصرية . وبعد مضي عدة سنوات أخبر ميشيل عفلق بشيء من التفصيل عبد الناصر بأن هذا القرار اتخذ في وقت كان الحزب يمر فيه بأزمة سياسية وأردف قائلا : انه لم يتمكن من اقناع العديد من الوزراء السوريين بترك الحكومة في نفس الوقت ، في حين كان عبد الناصر يعتقد أن مثل هذه الاستقالات تعد خيانة للمبادئ واهانة له في نفس الوقت (٤) في حين أن حزب البعث كان يعتبر أن مثل هذه الاستقالات تدل على الغشل الذريع في أيديولوجية الحزب وأسلوب الحوار فيه .

» ان مسألة الاتحاد كان يجب أن تتم بناء على رغبة الجماهير الشعبية في سوريا على أن يوضع في الاعتبار الاستفادة من كل

(٣) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع - انظر المرجع السابق ذكره - ص ٣٣ وما بعدها .

(٤) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر الفصل الثالث (التالي) .

التجارب السابقة لكي تتم الوحدة مع مصر بكل يسر وسهولة ، حيث الالتحام مع الثورة الأم ، وتجارب الشعب المصري العميقة الجذور في هذا المجال . والحقيقة أن الجماهير الشعبية في مصر كانت محكومة قبل الثورة من قبل أحزابها المنتمية إليها ، ولكن بعد الثورة لم يكن في إمكانها التعبير عن رغبتها الحقيقية مع رغبات أحزابها « (٥) » .

ان الاستقالات تمت بشكل غير طبيعي مما أحدث رد فعل سيئاً لدى قيادات عبد الناصر وكذلك حزب البعث ، وهما المسئولان عن قيام الوحدة بين مصر وسوريا ، ومن جهة أخرى ، فأنشاء هذه الألفة كانت هناك وجهة نظر بأن تترك سوريا الى حيث تشاء . . ومن جهة أخرى كان هناك رأى آخر ، يرى أن تترك سوريا في حالة انعزال تام ، في حين أن حزب البعث اعتقد خطأ أن عبد الناصر في حاجة شديدة الى مساعدة حزب البعث له ، وسواء كان هذا الرأى صحيحاً أو خطأ فإن من الثابت أن عبد الناصر لم يطلب ذلك ، فكان كلا الفريقين يقفان على أرض مشتركة ، وكلا الفريقين كان مقتدرا له الاختفاء من الساحة السياسية على أكثر تقدير في عام ١٩٦٣ ، فإن أحداث عامي ١٩٥٨ و ١٩٥٩ برهنت على أن أيديولوجية الثورة المصرية تخالف وتناقض مبادئ الأحزاب الأخرى العربية لمواجهة رغبة القوى الأخرى في اتجاهاتها وأهدافها التي تسعى الى تحقيقها .



(٥) المحرق في صحف بيروت البعثية - الصحافة في ٢٢ فبراير ١٩٦٠ وهذه الفقرة نقلت من مؤلف فرنسي (الشرق) ORIENT (١٩٦٠) ص ١٢٤ - ١٢٦ .

٥ - مصر والعالم العربي :

وحول هذه الظروف والملابسات التي كشفت فيها كثير من النوايا ، وتباعدت وجهات النظر بين غالبية الأحزاب في الأيديولوجية والفكر أسفر عنه تفاؤل حزب البعث بل تجاهله من قبل كافة المنظمات والأحزاب العربية كلها . الأمر الذي أحدث تباعدا كبيرا بين عبد الناصر والبعثيين بعد أن تأكدت شكوكه ومخاوفه وتوقعاته التي كانت تراوده طوال فترة الوحدة ومن قبلها ، وساعت علاقة الدول العربية التي تربطها بالغرب مصالح مشتركة أو بمعنى أكثر صراحة تقع تحت تأثيرها الفعال مثل العراق والأردن والسعودية ولبنان وتركيا ، كل هؤلاء العرب ليس لهم أى هدف سوى سحب سوريا من هذه الوحدة مع مصر ، وقد شغلهم هذا الأمر وقتا طويلا وكان واجب هؤلاء بالدرجة الأولى هو مناصرة القضية الفلسطينية ضد إسرائيل والكيان الصهيوني باعتباره الخطر الزاحف الذي يضرب التجمع والتومية العربية في المنطقة .

حقبة ان الوحدة بين مصر وسوريا لم تتم بالشكل القانوني المطلوب ، وان كانت هذه الوحدة - بهذا الشكل - هي الخطوة الأولى لقيام الوحدة العربية الشاملة ، ولذلك فقد أعلن رئيس الوزراء في الأردن ، وكذلك النظام الحاكم في العراق بعد أيام قليلة من الوحدة المصرية السورية ، أعلننا قيام وحدة فيدرالية فيما بينهما لتكون مناهضة لهذه الوحدة مع مصر .

وشهدت لبنان قيام مظاهرات شعبية عارمة ضد حكومة الرئيس شمعون التي كانت نولت مهامها في شهر مايو من نفس العام ، وفي ١٤ يوليو حدثت ثورة في العراق لتضع حدا لهذه الوحدة الفاشلة مع الأردن ، وكان الناريخ يعيد نفسه ، أو بمعنى آخر نان التاريخ عاد القهقري مرة أخرى حينما ساد العراق يأس

تأم ، اذ ظهرت صورة عبد الناصر على واجهة المحال التجارية في شوارع بغداد ، في ١٤ يوليو ، ثم اختفت بعد ذلك بنفس السرعة التي ظهرت بها .

وثورة العراق لم تكن ثورة قومية عربية انما كانت بمثابة انفجار هائل لغضب الشعب وعدم الرضا عن العديد من المسائل والموضوعات الاجتماعية والسياسية لمجتمع العراق الممزق : الاقلية القديمة الحاكمة ، والاكرد ، والسنة ، والشيعة ، والعرب ، والشيوعيون ، و القوميون ، والائتلاف الحاكم الذي انحدر سريعا الى صراع داخلي ضاع فيه القوميون العرب بما في ذلك حزب البعث العراقي ، ووجدوا أن نفوذهم في البلاد قد استبدل به الشيوعيون وأنصارهم . وفي هذا الجو كانت الشخصية القومية القيادية تتمثل في عبد السلام عارف الذي وقف مع عبد الناصر في الشرفة بدمشق ليتلقى هتافات الجماهير ، ولكن بعد ذلك بثلاثة أشهر كان مصيره السجن ببغداد محكوما عليه بالاعدام . وفي نهاية هذا العام كانت العلاقات بين العراق والجمهورية العربية المتحدة أسوأ مما كانت عليه قبل قيام هذه الثورة في العهد القديم ، وذلك حينما بدأت محكمة الشعب التي شكلت لمحاكمة أعضاء الحكومة السابقة ورئيسها والمتعاطفة مع نظام الحكم القديم ، و كان رئيس هذه المحكمة الكولونيل مهدي الذي حول اجراء المحاكمات الى مهزلة كبرى بأقواله الجانبية الساخرة ضد الرئيس عبد الناصر وخطبه وكذلك ضد رئيس الوزراء العراقي الجنرال عبد الكريم قاسم كخائن للقومية العربية ، وكاداة للشبوعية العالمية ، وقد وصلت العلاقات الى أدنى وضع في شهر مارس ١٩٥٩ عند قامت انتفاضة في الموصل يقودها الضباط القوميون العرب لدعم ومساندة الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن هذه الثورة تم قمعها بشكل دموي عنيف .

وفى الخريف التالى كانت هناك محاولة فاشلة على حياة عبد الكريم قاسم بهدف اغتياله ، ويعزى قيام هذه المحاولة الى عملاء الجمهورية العربية المتحدة ، وساد المناخ العربى توتر شديد حتى شهر فبراير ١٩٦٣ وتبدلت الاهانات بين القاهرة وبغداد .

وفى داخل العراق ترأس عبد الكريم قاسم حكما غريبا وصل الى درجة الانحطاط بين الشيوعية والراديكالية الفوضوية ولا يعتمد على أى مبادئ يستند إليها فى حركته .

وكانت المشكلة بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة أن قاسم كان ثائرا ولكنه — برغم هذا — فشل فى التعاون مع الوحدة العربية ، أو حتى اظهار أى نوع من الاحترام تجاه الرئيس عبد الناصر كما فعل القادة الثوريون الآخرون ، بل أكثر من هذا ، ألقى بالآلاف المعجبين لعبد الناصر فى السجن ، ونصب نفسه عدوا صريحا لعبد الناصر وأنصاره ولذلك كان لابد من مواجهته بشكل ما ، ولو كان رجعيا مثلا كالملك حسين أو نوري السعيد ، كما شكل هذا الافتراض تهديدا خطيرا فى ذلك الوقت لعبد الناصر ، بل كانت سياسته ومواقفه نعد أمرا مألوفا وهو بالطبع لم يكن رجعيا ، بل كان بطالا راديكاليا يعبر عن وجهة نظر سكان الأحياء الشعبية فى بغداد ، ولهذا فهو يعد عدوا للأعداء الامبرياليين المفترضين لعبد الناصر ، وصديق للأصدقاء المفترضين لعبد الناصر فى نفس الوقت ، وهو الاتحاد السوفيتى ، والغريب فى الأمر أنه على خلاف مع الشيوعيين العرب فى داخل الوطن العربى ، وبرغم هذا فقد لقي قبولا لدى الجماهير الشعبية .

ولأن قاسم كان يمثل السياسة التى انتهجتها العراق ، فقد كان يشكل تهديدا مباشرا للوحدة السورية المصرية ، ومن ثم

فإن السوريين لم يشعروا بارتياح له ، خاصة أنه كان يتآمر بشكل مباشر مع الملك حسين والاسرائيليين ، وكذلك وكالة الاستخبارات الأمريكية لتفويض القومية العربية .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشعب العراقي نال تأييد المصريين حينما تمكنوا من الاطاحة بالنظام الملكي في بغداد ، والغريب في الأمر أنهم انضموا الى وفد محادثات الوحدة مع سوريا ، وترك الباب مفتوحا لانضمام دول عربية أخرى .

والآن وقد فشلت الوحدة مع سوريا ، وإن كانت مثل هذه الوحدة لم تكن النتيجة المرجوة في ذلك الوقت ، اذن من أجل ماذا ضحوا باستقلالهم ؟ ومن أجل ماذا ضحى حزب البعث بوجوده الرسمي ؟ فإن العراق بحكم موقعه الجغرافي والتاريخ المشترك والتركيب الاجتماعي ، والوضع الاقتصادي ، كان البذرة الوحيدة التي يجب عليه أن ينحد مع سوريا بغض النظر عن السبب الأيديولوجي لحكم الأسرة الهاشمية الواحدة .

وكان الاتحاد بين مصر وسوريا مقبدا بعدم التوسيع في المرحلة الراهنة وذلك بسبب أن الجانب المصري هو الذي بيده زمام الأمور ، إذ كانت نسبة التمثيل بين المصريين والسوريين بنسبة خمسة الى واحد . ولهذا فقد لعب المصريون دورا بارزا في رسم السياسة العامة لهذه الوحدة نظرا لعدم وجود طرف ثالث معها .

* * *

٦ - تغيير في الخطط :

عقب هذه الأحداث سألته الذكر وموقف عبد الكريم قاسم المتشدد ضد عبد الناصر والناصرين الذين زج بهم في غياهب سجون العراق ، كان على عبد الناصر أن يغير موقفه تجاه الأحزاب

الأخرى وأن بحسن سياسته نجاه الأردن والسعودية لبستعين .
 ضد سياسة عبد الكريم قاسم في العراق ، التي أثارت الفتن
 والاضطرابات في المنطقة العربية بأسرها .

ونجح عبد الناصر في كسب تأييد كل من الأردن والسعودية
 ولكن هذا التأييد يشوبه الحرص الشديد من جانب هاتين الدولتين
 حرصا على سلامة استقلالهما على الرغم من مظاهر الود الواضحة
 في استقبال الملك سعود في القاهرة ، وأعقب ذلك عودة العلاقات
 الدبلوماسية مع الأردن في أغسطس ١٩٥٩ ، وحسن عبد الناصر
 علاقته كذلك بالولايات المتحدة الأمريكية التي كان بنصيبها الهدوء
 بسبب احتلالها للبنان عام ١٩٥٨ .

وابتدت أمريكا ارتباطا تاما لتقارب عبد الناصر الذي كان
 يناهض النشاط الشيوعي في العراق وسوريا كما يؤكد عدم خضوعه
 التام للانحاد السوفيتي . والشيوعية في العراق وسوريا تعمل في
 الخفاء ، لأن الأيديولوجية الشيوعية تخلف بشكل جذري عن مبادئ
 ناصر النورية ومن هنا وجد الانحاد السوفيتي نفسه في مأزق حرج
 إذ كان عليه كبح جماح عملائه في المنطقة العربية ، حتى يستطيع
 أن يحتفظ بأقل قدر من صداقته لعبد الناصر .

ان التغييرات التي وجدت على هذه الساحة من قبل
 عبد الناصر — برغم اعتدالها — أحدثت غزعا عند الوجوديين داخل
 سوريا وخارجها وخصوصا بين البعثيين الذين شعروا أن عبد الناصر
 لجأ الى أسلوب الحل الوسط الذي يوافق مبادئه الثورية مع هؤلاء
 الرجعيين في المنطقة العربية ، وإذا كان خيق تفكير قاسم وشعوره
 بجنون العظمة قد سلب العراق فرصتها في الانضمام الى الوحدة
 العربية ، فإن تقارب عبد الناصر مع الأردن — من ناحية أخرى —

قد سلب الأردن فرصتها أيضا ، وما كان في إمكان أى قائد عربي آخر أن يقوم بدور أكثر ايجابية من عبد الناصر ، لأن الجمهورية العربية المتحدة تعوزها الوسيلة لضمان مستقبل المملكة الأردنية في مواجهة أى عدوان اسرائيلي قد يقع عليها ، خاصة اذا ما أطيح بالملك حسنين مع تدخل القوات البريطانية في الأردن منذ يوليو ١٩٥٨ ، وان كان هذا الحدث في حد ذاته يعد بمثابة كارثة كبرى للجمهورية العربية المتحدة ، اذ كانت الخيارات أمام عبد الناصر محدودة ومحفوفة بالمخاطر ، ولكن نظرا للالتزام عبد الناصر بالمصالح التي تعود على دولة الوحدة أكثر من التزامه بالناحية العقائدية ، فقد ألقى اللوم والنقد على الناصريين .

لقد واجه عبد الناصر نفس الموقف قبل حادث الانفصال في صيف عام ١٩٦١ حينما قامت العراق باحتلال إمارة الكويت ، هذه الإمارة المنتجة للبتروال والتي كانت موضوعة تحت الحماية البريطانية منذ عام ١٨٩٩ ، وقد أعطيت استقلالها في منتصف شهر يونية عام ١٩٦١ ، ولم يكذب الحبر على هذه المعاهدة الكويتية الانجليزية حتى أعلن عبد الكريم قاسم بشكل لم يسبق له منيل أن الكويت كانت محافظة تابعة للعراق في أقصى الجنوب ، وأنه وجبته سيحدرها في أية لحظة ، فان مستوى الدخل لأى فرد في الكويت ازداد على دخل الفرد في الولايات المتحدة الأمريكية ، وأن الكويتيين غير راغبين في التحرر من الاحتلال البريطاني ، وأن شيخهم الحاكم قد نفذ المعاهدة ورتب الأمور لوصول قوات بريطانية طارئة لحماية المنطقة .

وفي الواقع كانت الجمهورية العربية المتحدة تضاع كل إمكاناتها لقضية الوحدة العربية ، ولوضع حد لأمرء وملوك البترول الأغنياء ، وأغنى حاكم فيهم هو شيخ الكويت ، وأن كان من

المفروض استخدام دخل البترول بشكل أمثل ، إذا ما وضعنا قضية ترف الحكام جانبا ، وعلى هذا فإن اتحاد الكويت مع العراق يجعل مثل هذا التوجه الاقتصادي أمرا غير مرغوب فيه ، إذ كان العراق في ذلك الوقت بلدا نوزيا غير مستقر تماما مثل الجمهورية العربية المتحدة ، في وقت كان فيه عبد الكريم العدو الأول للجمهورية العربية المتحدة وعلى هذا كان من المستحيل تشجيع أى شخص للقيام بهذه المغامرة وخاصة عندما واجه قيام الجمهورية العربية المتحدة بعض الصعوبات وبالإضافة الى ذلك فقد اكتشفت الجمهورية العربية المتحدة شركاء دبلوماسيين في عمان والرياض منحازين تماما بشكل لا يقبل الشك مع شيخ الكويت باعتبار أنه تضامن شرعى .

لم يكن هناك أية صعوبة في تبرير معارضة اطماع عبد الكريم قاسم بالكويت ، وذلك على أساس مبدأ تقرير المصير الذى أعلنه عبد الناصر مرارا ليكون أساسا للوحدة العربية الشاملة ، وكان العراق يقدم عرضا وحفا سافرا يحز في النفس ، وهو منظر القوات البريطانية وهى تفرض نفوذها على آبار البترول بالكويت ، وكانت الجمهورية العربية المتحدة على أهبة الاستعداد لتقديم المساعدة العسكرية إذا ما طلبت ذلك .

وعندما ذهبت القوات البريطانية الى الأردن عام ١٩٥٨ ، كان على الكويت على أقل تقدير أن تستدعى القوات المصرية ، لأن مصر لا ترجو نائدة من هذه العملية سواء كانت الفائدة بشكل مباشر أو غير مباشر ، الا المحافظة على استقلال امارة ذات كيان مستقل وعضو في الجامعة العربية .

لقد جرى التغلب على هذه المشكلة الواقعة على الكويت وذلك باستبدال قوات سعودية أو قوات مصرية بالقوات البريطانية ،

وتم تنفيذ هذا في ١٤ سبتمبر ، ولكن حتى هذا العمل لم يزد شيئا على صورة عبد الناصر عندما يرى قواته بجانب القوات السعودية والأردنية تتبادل المواقع مع القوات البريطانية بهدف الدفاع عن مصالح بريطانيا في المنطقة (*) .

* * *

٧ - الانفصال السوري :

بعد حل حزب البعث السوري اعتمد عبد الناصر على الكولونيل عبد الحميد السراج الذي خلف أكرم الحوراني كرئيس لمجلس الاقليم السوري ، ليفرض نفوذه على سوريا بالأساليب البوليسية المتشددة ، وفي واقع الأمر كان السراج يسير في الاتجاه المعاكس الذي يريده الرئيس جمال عبد الناصر ، ولهذا بعث الى سوريا اقرب الشخصيات اليه وأقواها وهو المشير عبد الحكيم عامر ليكون ممثلاً شخصياً له مزوداً بتعليمات خاصة باستخدام الشدة في فرض النفوذ على هذا الاقليم . ولكن هذه السياسة الناصرية أحدثت رد فعل معاكساً في صفوف الجيش السوري ، إذ شعر الضباط السوريون بعدم الرضا لخضوعهم للضباط المصريين بالإضافة الى شعورهم بالتذمر لتخفيض الرتب العسكرية الى مستوى زملائهم المصريين .

كما ساد التذمر صفوف الشعب في سوريا نتيجة القيود الاقتصادية وزيادة الرسوم الجمركية على البضائع المستوردة ،

(★) وتكرر المشهد مرة ثانية على الكويت في أغسطس ١٩٩٠ عندما أقدم

صدام حسين - رئيس العراق - على إحتلال الكويت في غلة من أهلها في ليلة صيف .

(الترجمة)

الأمر الذى أدى الى رفع الأسعار على كل المستويات ، وتشاء الظروف أن يسود الجفاف سوريا لمدة ثلاث سنوات متتالية ، ولم يكن فى مقدور المشير عبد الحكيم عامر أن يفعل شيئاً ازاء هذه الكارثة ، كل هذه الظروف قللت من هبة عبد الناصر فى هذا الاقليم فنتيجة المعاناة التى كان يعانيها الشعب السورى .

وعلى الرغم مما تحلى به المشير عبد الحكيم عامر من صبر وحسن نية ، فان مثل هذا السلوك لن يجدى ازاء شعور السوريين ذوى العقول السياسية خاصة أنهم وجدوا أنفسهم فى عزلة عن المشاركة فى الحياة السياسية فى ظل غياب حزب البعث ، وفى وقت متأخر — فى صيف عام ١٩٦٠ — تم تشكيل الاتحاد القومى الذى تم تعيين أعضائه بشكل مباشر ولم يتم ذلك بالانتخاب .

بالرغم من أن عددا لا بأس به عين فى هذا المجلس من بين الشخصيات السورية دون أن يكون لهم أى تأثير يذكر على الشعب السورى ، وبالطبع كانوا أقل من زملائهم المصريين فى المجلس الذين تسمون بالانصباع التام للنظام الناصرى .

وشاعت النكتة بين أفراد شعب سوريا حول فشل الاتحاد القومى وعدم فاعليته ، فهو شعب تتنوع طبيعته وتختلف أمزجته وتعدد قباته لأن ٥٠٪ يعتبرون أنفسهم قادة وزعماء ، و ٢٥٪ يظنون أنهم أنبياء ، و ١٠٪ يتخيلون أنفسهم آلهة ، و ١٥٪ لا تشغلهم هذه القضايا ، وليست لهم هوية ، وان كانوا يفقدون مناصبهم تدريجاً .

عندئذ صرح شكرى القوتلى لعبد الناصر بقوله : « ان النبى صلى الله عليه وسلم وصل الى هنا ثم رجع » ، وهى عبارة تدل

على المناوأة وشتات الأمر ، ولم يبق من شعب سوريا سوى عبد الحميد السراج الذى أبعد عن سوريا فى أغسطس عام ١٩٦١ ، ونقل إلى القاهرة نائبا لعبد الناصر ولكن بعد مضي شهر وجد نفسه معزولا تماما ، فأثر تقديم استقالته وعاد إلى سوريا ، وانتشرت اشاعات فيما بعد حوله ، اذ قيل أنه بخطط للقيام بانقلاب عسكرى ، ولكن فى الواقع لم يكن الكولونيل عبد الحميد السراج هو الذى يفعل ذلك ، انما بعض ضباط الجيش السورى الآخرون الذين كانوا يشعرون بئزر ، هم الذين كانوا يفكرون فى ذلك ، وذلك نتيجة الأوضاع السيئة ، وفى ٢٨ سبتمبر قبضوا على المشير عبد الحكيم عامر ، ووضعوه فى طائرة خاصة متجهة إلى القاهرة ، ومن ثم أعلنوا انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة .

ولا نعرف بالضبط ماذا كانت طبيعة المؤامرة التى خططت لحدوث هذا الانفصال ؟ وماذا كان دور الدينين الذى لعبوه فى هذه المؤامرة ؟ وقد حدث رد فعل سيئ لدى الشعب المصرى ، وكان أصدق تعبير له من خلال عدة خطب ألغها عبد الناصر ، فضلا عما عبرت عنه الصحافة المصرية وكذلك الاذاعة ، وخاصة اذاعة صوت العرب :

« طعنت الوحدة العربية من الخلف من قبل طبقة الأغنياء السوريين ، وكذلك الرجعيين الذين تأثروا بالتأثيرات والقوانين الاشتراكية ، وكذلك تأميم البنوك وشركات التأمين ، فضلا عن النشاطات الصناعية والمهنية وكثير من الاجراءات التى فرضت على النشاط الاقتصادى ، وعلى نطاق واسع ، وذلك نتيجة لتلك القرارات التى أصدرها عبد الناصر فى يوليو ١٩٦١ ، هؤلاء الرجعيون بمساعدة الامبرياليين ، وكذلك الملوك الرجعيون الذين قدموا الرشوة لفئة من الانتهازيين من ضباط الجيش لتنفيذ الانقلاب

ومما يثير الأسى في النفس مبادرة كل من : الأردن وتركيا بالاعتراف بالحكومة السورية الانفصالية ، وجاء الاعتراف بسرعة غير لائقة ، وقامت الدول الكبرى أيضا بالاعتراف مثلها ، ويبدو للوهلة الأولى أن الحكومتين كانتا على علم مسبق بحركة الانفصال ، ولهذا لم يتوان عبد الناصر عن قطع علاقته فوراً بكل من انقرة وعمان .



٨ - الأسباب الضمنية :

ليس من المعقول أن نفسر حادث الانفصال السوري عام ١٩٦١ بمثل هذه العبارات البسيطة ، ونترك الأحداث عند هذا الحد ، وكأن ما حدث لا يعدو أن يكون أمراً بسيطاً ! فإن ما حدث قد ترك أثراً سلباً للغاية على علاقة مصر بالعرب في ذلك الوقت ، فقد أوجد حادث الانفصال تعبيرات استعملت لتشخيص عقبات قيام الوحدة العربية مثل : الرجعية ، والانتهازية ، والاقليمية ، هذا بالإضافة الى العديد من الخرافات والأساطير القائلة بأن الوحدة العربية كان يجب ألا تحدث بين العرب ، لأن العرب ليسوا أعضاء في أمة واحدة ، لاختلافهم في البيئة الجغرافية ، وكذلك اختلاف لهجاتهم ، فضلاً عن التركيب الاقتصادي المختلف ، وكذلك التقاليد الاجتماعية المتباينة ، وتفاوت العرب في خبراتهم السياسية ، فالموقف السياسي السائد ما هو الا موقف مصطنع أو على الأقل لا يزيد على أنه ذو أهمية ثانوية ، وان الامتيازات المنوطة لهم لا تستحق الشجب ، وأمر آخر هو أن حاجات ورغبات الجماهير العربية يمكن فهمها بشكل مناسب لكل شعب على حدة ، والوفاء بها ضمن الأفكار الايدولوجية البسيطة التي شارك فيها الناصريون وكذلك البعثيون ، كثورة التحرير ، والوحدة ، والاشتراكية ، ويمكن

ان يكون ضباط الجيش السوري — على سبيل المثال — مستعدين ان يؤيدوا هذه المبادئ ، ولكنهم غير مستعدين للدفاع عنها ، ولهذا السبب لم يكن هذا الالتزام ظلما فقط ، ولكن الأمر الأخطر أنه يدل على ما وصلت اليه انكار هؤلاء من عجز بالنسبة لأولئك المصابين بجنون العظمة ، ليدركوا أية تعقيدات وغموض وتوتر وتنافس وشكوك ، كانوا يتسمون به .

ودائما نجد احتمالات الأمور السياسية العملية فى كل مكان ، حتى فى تلك المجتمعات التى يقيم فيها الحكم الاستبدادى نوعا ما من الحكم يتسم بالعدالة المطلقة .

ولم يكن الأغنياء فقط — على سبيل المثال — هم الذين قاموا بحركة الانفصال . ولكنهم مجموعة كبيرة من رجال الأعمال الأقل أهمية . تضرب فى قاع المجتمع السوري لتصل الى صاحب الحانوت الذى عانى درجة من الضيق نظرا لاجلاق محله بين حين وآخر ، فضلا عن القيود الاقتصادية والاصلاحيات الادارية المرتكزة غالبا على الاحتياجات المصرية لا السورية ، وكانت هناك أسباب مهمة لا علاقة لها بمسألة « الظلم الاجتماعى » .

ولنا ان نتساءل : لماذا اثار الاقتصاديون استياءهم الشديد فى سوريا ؟ كان أحد هذه الأسباب الوسائل الادارية للحكومة المصرية كما خلق عبد الناصر على ذلك بقوله :

« فى كل مرة كانت تدخل فيها مجموعة من تنظيمات الاستيراد والتصدير والعملية ، والأجور ، كان يظهر بسرعة تركيب بيروقراطى منظم كبير ، كان هذا أمرا سيئا فى أعين السوريين الذين كان عليهم التعامل مع موظفى الحكومة الى الدرجة التى شعروا فيها بمثل هذه التعقيدات ، وازداد هذا الوضع سوءا حينما كان

الموظفون المصريون — بشكل لابد منه — قد لعبوا دورا رئيسيا فى ايجاد مثل هذه المواقف وتطبيق القوانين والاجراءات الجديدة بأسلوب مبالغ فيه بحجة أنهم ذوو خبرة فى هذا المجال لدرجة أنهم اشتطوا كثيرا عن جادة الصواب مما جعل الشعب السورى يكره الوحدة العربية وما ترتب عليها من تعقيدات فى حياتهم الشخصية .

ومنتيجة لذلك فان العديد من السوريين من عامة الشعب قد وجدوا أن من الضرورى التعامل مع بيروقراطيين مصريين غير مألوفين ومجهولين ، وفى نفس الوقت اتباع الاجراءات التى لا حدود لها ، والمعقدة فى نفس الوقت بشكل يدعو الى العجب ، والتى اشتهرت بها الحكومة المصرية منذ زمن سحيق .

ولاحتواء مثل هذا السخط الشعبى ، والحد من شعور السوريين بالندم لأنهم هم الذين ساهموا فى قيام الوحدة مع مصر ، ومن المؤكد أنهم لم يستخدموا كوسيط لذلك ، فقد كانت هناك حاجة الى وجود حزب سياسى قطرى أو مجموعة من الأحزاب المنظمة تكون مئبرا للحوار الحر ، والتعبير عن آرائهم وأفكارهم بشكل يمكن أن يراه الحاكم أمرا مناسباً ، وهذا لا يعنى أن يكون لسوريا ديمقراطية من خلال عدة أحزاب ، لكن فقط كان الأمر يحتاج أن تحكم سوريا بأسلوب ديمقراطى نبأى يحكمه دستور ، لياخذ فى الاعتبار بعض الحقائق الاجتماعية والنفسية ، وبالمقارنة مع المصريين فالسوريون أكثر حرية وصراحة فى مواجهة مشاكل المجتمع وأقل اذعانا وخضوعا للسلطة ، وفى نفس الوقت فالشعب السورى يتسم بالغيرة على كرامته وبأنه أكثر حرصا على حريته ، وهو مستعد للإحتجاج والثورة والمعارضة .

. ولكن الملاحظ أن الاتحاد القومي الذي ألف في سوريا على أنقسام الوحدة — كبديل لتلك الأحزاب السياسية التي كانت سائدة في المجتمع السوري من قبل — كانت تنقصه هذه الصفات وتلك الخبرة المتصلة بمشاكل الجماهير ، فضلا عن أنه كان كبيرا في تشكلاته ، واسعة الانتشار ، وفي نفس الوقت مجهولة الهوية . ، وكثيرا في مؤسساته بشكل بروتقراطي ليتحكم في النهاية من أعلى ، إذ كانت سياسته قائمة على أساس أن تصدر أوامره من القمة إلى القاعدة بأسلوب غير ملائم لطبيعة الشعب ، وتركيب المجتمع ، وكان يحلو لمحدثي القول : بأن بعض المصريين السياسيين بودون أن يظهروا تدميرهم من هذه الأوضاع متهمين الاتحاد القومي السوري بالرجعية بعد أن تمكنت جماعة من الرجعيين التسلل إليه والتحكم فيه أمثال : أيمن الكزبري أول رئيس وزراء بعد حادث الانفصال عن مصر ، إذ كان رئيسا للجنة التنفيذية للوحدة في مدينة دمشق ، لأنه في واقع الأمر قد احتجب السياسيون المحافظون ، فليس لهم مكان في الاتحاد القومي عام ١٩٥٥ وكان ذلك بسبب غياب حزب البعث السوري .

أضف إلى هذا أن تكوين الاتحاد القومي السوري قد أعطى طابع المنظمة في تشكيله ، ولهذا من الصعب أن يتخيل كيف تمكن هؤلاء الرجعيون من استخدام مكانتهم ونفوذهم في الاتحاد القومي وأحداث الانقلاب الذي أدى إلى حادث الانفصال عن مصر لذا كان هؤلاء الرجال هم المسئولون عن فشل استمرار الوحدة العربية . وهذا الفشل لم يكن بسبب عدم تشجيعهم لفكرة الأيديولوجية الاشتراكية ، ولكن بسبب عدم مشاركتهم الفعالة في القضايا السياسية ، والتعبير عن آرائهم ، وذلك لابعادهم عن مجال جماهير القوات المسلحة والجنود ومشاركتهم الفعالة أيضا مع كبار الشخصيات السياسية ، ورجال الأعمال ، وعامة المواطنين .

مما جعل حادث الانفصال يلقى تأسدا واسعا النطاق من قطاعات كبيرة وواسعة من الشعب السوري .

ولسوء الحظ فإن مثل هذا الحادث والدروس المستفادة منه لم يكن يسترعى انتباه المسئولين في القاهرة ، فقد كان من المستغرب لدى السياسيين الذين عارضوا قيام الوحدة بهذا الشكل والأسلوب أنهم كانوا يعارضون قيام وحدة على أساس الحماسة الشعبية فقط ، وهؤلاء هم الذين لم يتأثروا بأفكار شخصيات حزب البعث وعقائدهم الغامضة ، وكان على هؤلاء أن ينشروا كل شيء على أساس قوى الرجعية التي ما تزال تتركز في قطاع الوطن العربي وصراعها مع القوى الدورية في المجتمع العربي ، كما أن الحكومة المصرية نشرت فوراً سياسة قمعية — عقب الانفصال — ضد الطبقة الرجعية هذه كمصادرة أملاكهم واعتقالهم بشكل جماعي باعتبارهم أعداء الشعب ، وباستمرار علاقاتها مع بقية العالم العربي ، معنى ذلك أن الحكومة المصرية أثرت طريق الاعتدال الذي طوره منذ عام ١٩٥٩ وتبنت فكرة النورة النضالية لقلب أنظمة الحكم المفارقة لها .

الفصل الثاني

الانفصال

سبتمبر ١٩٦١ - مارس ١٩٦٣

- ١ - ردود الفعل المصرية
- ٢ - ردود الفعل السورية
- ٣ - انشقاق حزب البعث
- ٤ - حكومة بشير العظم
- ٥ - عجز جامعة الدول العربية
- ٦ - الانقلابات العسكرية العراقية السورية

((ان الاختلافات الموجودة حالياً بين بعض العواصم أمر طبيعي في هذه المرحلة من الثورة السياسية الاجتماعية . انها تثبت ان الوحدة العربية ليست خيالاً أو أسطورة ، بل على العكس ، ان ما حدث لدليل أكيد وبرهان قوى على ان هذه الوحدة العربية وحدة حقيقية وأصلية)) .

محمد حسنين هيكل — الأهرام فى ٩ مارس ١٩٦٢

* * *

من أجل الأيدولوجيين الواعين تمت حركة الانفصال السورى بدون اراقه دماء ، ولاشك أن المواقفة والتأييد الداخلى الذى لقيته حركة الانفصال اخذ شكلا واضحا . فالثورة تنف وحدثها متحدية قوى الرجعية ، لقد دلت سنوات الوحدة على أنها مرحلة شاذة ، واذا كانت الوحدة العربية هى الارادة العامة للأمة العربية ، فلماذا كانت الأوضاع السورية تشكل مشكلة دائمة للرئيس عبد الناصر ؟ ولماذا أصبح ناصر متسامحا مع الملك سعود والملك حسين مع عدم ذكر اسم الامام السابق لليمن ؟ أما الآن فهذه الأسئلة لم تعد بحاجة لأن تثار ، لأن رد الفعل فى القاهرة نحو الانفصال كنا اعلامالحرب الدبلوماسية ضد الحكام المحافظين والانسحاب خلف حواجز لصرح النظام الاشتراكى فى الوطن العربى ، ولاشك أن الصورة لم تكن واضحة المعالم تماما بسبب وجود نظام حكم قاسم بالعراق ، ومع ذلك يمكن أن نصف حكم قاسم بالعراق — صراحة — بأنه كان حكما يحمل عوامل فئائه وزواله .

وفى خطاب حماسى فى ١٦ أكتوبر أعلن الرئيس عبد الناصر الخطوط الرئيسية للوقف الأيديولوجى والسياسى المصرى قائلا :

« يجب أن يكون لدينا الشجاعة للاعتراف بأخطائنا . يجب أن نلوم أنفسنا لانتهيار الوحدة مع سوريا ، وإذا كانت هناك خطيئة التصقت بمصر ، فان عبد الناصر يعلن تحملها برجولة على عاتقه « لكن ماذا كان الخطأ الذى اعترف به عبد الناصر باسم مصر ؟

كانت مواقف الرجعية داخل سوريا وسياساتها وكذلك فى الشؤون العربية الداخلية عامة، كان لابد أن نتعلم منها درسا قاسيا، ولا نثق اطلاقا بأى شخص مثل مأمون الكزبرى والمملك حسن ، والمملك سعود ، ولا نلتمس عذرا لهم من أجل التضامن معهم مرة ثانية ، وان من المستحيل بعث الأمة العربية بدون اكمال مسيرة النضال والثورة ضد قوى الرجعية هذه ، فعبد الناصر لم يعارض أحداث الانفصال بالقوة لأنه لم يكن راغبا فى اراقة الدماء للشعوب العربية، كما أن عبد الناصر لم يكن يتخيل أن يحدث من الشعب السورى النيل ماحدث ، ان الذى طعنه من الخلف هؤلاء الانفصاليون الأناييون ، وبرغم هذا لم تنكر مصر لدورها وتتخل عن قدرها العربى ، و تعود مرة ثانية للعزلة ، وفى هذه الاثناء فان مصر ستستمر فى تسمية نفسها « الجيوبورية العربية المتحدة » وبهذا الشكل الذى عرضه عبد الناصر بمهارته التكتيكية المعتادة ، تعالى عبد الناصر عن الكارثة ، ونمكن من الامساك بزمام المبادرة النفسى، أظهر بذلك أنه قوى الشخصية وذلك بتوجيه النقد الذاتى لنفسه ، ومن أجل ذلك امتدحه معارضوه ، ورفض الاعتراف بنظام الحكم الجديد فى سوريا بل قطع العلاقات الدبلوماسية مع الأردن، وأعلن الفاء الاتحاد الكونفدرالى الموجود بين الجمهورية العربية المتحدة واليمن . كما اتهم الحكم الملكى فى العربية السعودية

بالرجعية والتعامل مع الغرب ، وهكذا عاد عبد الناصر مرة ثانية كخصم لهؤلاء الحكام الذين تحوم حولهم الشبهات فى تأييد وتمويل حركة الانفصال السورية وادانهم بشكل صريح ، ويرى أن من الأفضل ادانتهم ، وقد وضخوا موضع المتهمين فى نظر شعوبهم .

* * *

١ - رمود الانفصال المصرية :

تأكد لمصر أن استمرار قواتها بالكويت لبس فى صالحها فى الوقت الراهن ، ولذلك سارع عبد الناصر بسحب قواته من الكويت ، ولم يعد المصريون يفكرون فى استمرار بقائهم فى الكويت بجانب الوحدات العسكرية : السورية والأردنية والسعودية ولم يفكر عبد الناصر فى مهاجمة هذه الحكومات اذ ربما يحتاج الى تعاونهم ضد عبد الكريم قاسم ، اذ كانت العلاقات متوترة بينه وبين شركة بترول العراق الانجليزية ، وربما انسحاب القوات المصرية من الكويت يفرى قاسم على تكرار هجومه على الكويت ، واذا ما حدث هذا فانه سوف يشتبك مرة ثانية مع الأردن والسعودية .

ولكن قاسم لم يفكر فى الهجوم ثانية على الكويت ، وان كان لم يسقط ادعاءاته بها . وفى محاولة مسرحية عديمة الجدوى قام باستدعاء سفرائه الممثلين له فى بلاد الشرق الأوسط ، تلك الدول التى اعترفت باستقلال الكويت ، فى وقت كانت فيه الكويت قد انضمت كعضو فى جامعة الدول العربية .

وردت العراق على ذلك بمقاطعة جلسات جامعة الدول العربية ، ولكن هذا المسلك خدم موقف مصر الثورى بشكل جيد ، ومن خلال هذه المواقف استعاد عبد الناصر لنفسه النقاء

الايديولوجى ، بحيث أن حزب البعث ونقادا آخرين راديكاليين أبدوا استياءهم من سياسة عبد الناصر منذ ١٩٥٩ ، ولكن من الواضح أن عبد الناصر استطاع أن يقول لمؤيديه ، ومناصريه ، ان موقفه ثابت لم يتضمن أية تنازلات عن مبادئه وسياسته ، وانه تعاون فقط مع اناس يتفقون معه ازاء هذه المشكلة فى آرائه وأفكاره ، ومن خلال هذا الموقف استطاع عبد الناصر أن يستعيد شعبيته العربية أكثر من هؤلاء الذين وقفوا يؤيدونه أثناء أزمة السويس ١٩٥٦ ، وكذلك مولد الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن فى عام ١٩٦١ كان عبد الناصر أكثر عزلة مما كان عليه الوضع فى عام ١٩٥٦ أو ١٩٥٨ ، كما أن حادث الانفصال أثار شعورا هائلا بالعزلة وخيبة الأمل عند الاتحاديين العرب ، هذا بجانب المصريين المعقدين سياسيا . . وهكذا هدد عبد الناصر بأنه سيذلل كل الجهود المبذولة من قبل الثورة المصرية ، لخلق وعى عربى ، ولا شك أن عبد الناصر بإمكانه استغلال هذا الموقف لصالحه أحسن استغلال ، وذلك باستخدام الأسلوب الثورى . ولاشك أن الموقف سيكون سهلا بالنسبة لشخصية عبد الناصر بأن يقف بكل كبرياء وحيدا فى العالم العربى عندما انتفى عنه الكثير من المصريين الذين ملوا التدخل فى مشاكل الوطن العربى ومغامراتهم ، بكل المقتنعين من الوجوديين العرب أو المقتنعين بالعزلة من المصريين استطاعوا أن يؤيدوا بل يدعموا السياسة الجديدة مادامت لا تنعكس على مصر بشكل مباشر .

وأوضح محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام ، السياسة العربية الجديدة للجمهورية العربية المتحدة بالتمييز بين سياسة مصر كدولة وسياستها كدولة نائرة .

مصر كدولة تتعامل مع كل الحكومات العربية أيا كان نظامها وتتخذ مكانها الى جانبهم فى الجامعة العربية وكذلك الامم المتحدة

الجديد اتهامات من دمشق وعمان والرياض بأن ناصر كان يحطم التضامن العربي ، وأعلن ناصر قائلاً (*) :

« هناك أشخاص يتكلمون عن تمزيق وحدة الصف العربي ، وقد تحدثوا عنها منذ أيام قليلة مضت بحتمية وحدة الصف العربي ، ولكن ماذا كان هدف مثل تلك الوحدة ؟ هل كانت لخدمة مصالح الامبرياليين أو لخدمة مصالح الأمة العربية ؟ ان الوحدة من أجل الاهداف أكثر أهمية من وحدة الصغوف ، اننا ندعو من أجل وحدة الهدف وننظر بارتياح وشك للشعارات المناداة لوحدة الصف ، ووحدة الصف المرتكزة على اهداف مختلفة يمكن أن تقود الأمة بكاملها الى الخطر .. انه يعني أننا ندخر قليلا لطموحاتنا ، اننا نبحث لتحقيق وحدة الهدف في المقام الأول .. مثل هذه الوحدة يمكن أن تقود الى وحدة الصف لأن وحدة الهدف تشكل وحدة الشعوب العربية ، وكل الشعوب العربية لها نفس الهدف لكن حكما ما يعملون من أجل اهداف أخرى لذلك فهم يزورون الشعارات ويطلبون وحدة الصف » .

فمن هذا المنطلق كان من سياسة مصر ليس فقط الاعتراف بها ، ولكن العمل من أجل وحدة الصف العربي والتضامن العربي . وفي هذا الصدد كتب محمد حسنين هيكل يقول :

« ان الجمهورية العربية المتحدة يجب عليها أن تتجنب مثل هذا التضامن وتعامله بنوع من الفتور ، ومع ايمانها بحتمية الثورة العربية ، يجب أن تصرح برأيها وتصر على اختلافه .. والسبب وضعها التاريخي فهي مسئولة عن الثورة العربية والوحدة العربية ،

(*) انظر مجموعة خطب وتوجيهات عبد الناصر في ١٩٦٢/٢/٢٢ ج ٢ .

(المترجم)

انها لبست فى حاجة لاعلان التضامن مع بعض الاحكام . عليها أن تقف بحزم امام كل الشعوب . ان مدى هذا التعريف الجازم سيكون مدى نجاحه فى القضايا العربية الشاملة لكامل الأمة (٢) .

ويمكن الاستعانة بوضع نتائج المقتطفات فى منظور واضح اذا لاحظنا موازاتها لمظاهر معينة من النظرية اللينينية والستالينية وممارستها مصدر الهام ، وبالمصادفة ذات أهمية عظمى لقادة الثورة المصرية ابتداء من عام ١٩٦٠ وما بعدها . اولا كان عودة لتكريس الجهد للأهداف الثورية المحلية بعد الانفصال السورى وتقليل الاتصال الدبلوماسى مع الدول المجاورة التى كانت من صفات المظهر الستالينى للاشتراك فى بلد واحد ، كانت التطورات فى مصر فى هذا الوقت أدنى من الخط الموازى لقرارات التأميم فى يوليو ١٩٦١ ، اذ أعقب ذلك موجة من الاعتقالات ومصادرة الأملاك ، وكان هذا العمل ضد الطبقة العليا التى واجهت حملة دعائية ضدها فى شهر أكتوبر من نفس العام ، وترتب على ذلك حل البرلمان ، والاتحاد القومى بحجة تسرب الرجعية الى هذه المؤسسات ، وتقرر تغيير الاتحاد القومى بنظام جديد هو «الاتحاد الاشتراكى» وفى مايو ١٩٦٢ صدرت قرارات رسمية تحدد المبادئ الايديولوجية الثورية ، وكانت هذه القرارات تشبه قرارات الكومنترن Comintern فى الثلاثينات من هذا القرن ، معنى هذا أن مثل هذه السياسة لا تناسب طبيعة المجتمع والشعب المصرى . وكانت السياسة المصرية مثل تلك التى كانت فى الاتحاد السوفيتى ، ونظم الحكم الايديولوجية الأخرى التى كانت سائدة فى الثلاثينات .

وكان هناك شعور بالقدر والحتمية التاريخية . والمسئولية الاخلاقية العربية والتحرر من القيود ، وذلك بالتعالى الخاص الذى

(٢) الاهرام فى ٩ مارس ١٩٦٢ ...

يصيب الحملات العنيفة لأسباب مختلفة عندما يصبحون مشغولين بالتبرير الذاتى العلمى ، وبهذا الشكل فان وحدة الهدف بأية عبارة يدركها عبد الناصر يمكن أن تعني أنها تشكل وحدة الشعوب العربية .

والجمهورية العربية المتحدة بسبب وضعها التاريخى يمكن أن يظن انها المسئولة عن الثورة العربية، وكذلك الوحدة العربية . أن صياغة الاعلان الأيديولوجى فى القاهرة فى نهاية عام ١٩٦١ أصبحت مسألة مغفمة بالمراجع الماركسية المبنية للحتمية التاريخية، لقد تقرر الغاء التناقضات الاجتماعية ، والاسلوب الثورى العلمى ، وتقرر وحدة النضال ضد التكتل من قوى الشر (الامبريالية ، والصهيونية ، والرجعية ، والاستقلال) ورغم التناقضات الظاهرة فان له أهدافا ومسيرة فى عرض واحد موجه بواسطة الامبريالية ، ولا مهننا هنا مناقشة مسألة المد الثورى الذى كان ينادى به جمال عبد الناصر سواء كان هذا المد الثورى لينينيا أو ستالينيا . أما فى الأفكار والممارسات ، فان الجو الأيديولوجى فى ١٩٦١/١٩٦٢ كانت له صفات مميزة : التحدى الثورى ، والحث على تقديس النفعية ، التى أصبحت بالوعة للعديد من الأوربيين قبل هذا الجيل (٣) .

وبالنسبة للأنصار الملتزمين بالجمهورية العربية المتحدة فى هذا الوقت ، فقد ساعدت هذه الصفات على جعل كل شىء يبدو بسيطا وبشكل رائع وحررت عقولهم من وخز الضمير الذى يشبه عادة الاهتمام الجاد بالأمور العالمية ، مع تقييد انحيازهم وتكتيكاتهم فى الوقت المناسب بطبيعة الحال ، فالأحداث المتغيرة كانت ملزمة مع عودة التعقيدات ولكن منذ سنة ونصف السنة - وقت حدوث

(٢) عضو مجلس حزب البعث السورى - عبد الله الريماوى
Remawi حديث من إذاعة صوت العرب فى ٤ يونية ١٩٦٢ .

الانفصال — كانت الظروف الدبلوماسية أعفت كثيرين من الاتحاديين العرب من الحاجة لاتخاذ الخبرات الصعبة من الولاء ، بينما التفسيرات من القاهرة أعفيتهم من ضرورة تحمل مواقف مؤلمة لاختيار المقدمة المنطقية لحركة الاتحاد العربى . كانت هناك قوة تقدمية واحدة على الساحة ، وكانت الجمهورية العربية المتحدة محاطة بالأعداء ، فقد كانت الرجعية السورية ضد تبار التاريخ . وعلى أثر الانفصال بدأ المصريون يتشككون فى القومية العربية وبلغ الغضب بالمصريين مداه ، نتيجة لتجربتهم الوجودية مع سوريا ، وكم عانى المصريون من المشاريع والأفكار الوجودية بالنسبة لدول المشرق العربى .

وان كان رد الفعل فى سوريا أمرا مختلفا تماما فبعضهم كان يشعر بالراحة النفسية لحادث الانفصال ، والبعض الآخر لا يسره هذا الاتجاه ، وتوجد فئة ثالثة تتسم بالعجرفة والكبرياء .

فالفئة الأولى تمثل غالبية الشعب السورى الذى كان يرغب حقا فى استمرار الوحدة مع مصر بالرغم من كل سلوكيات المصريين وتصرفاتهم التى شابت تطبيق مبادئ الوحدة ، وخاصة أنهم الجهاز المسئول عن تنفيذ قرارات الوحدة فى الاقليم السورى .

أما الفئة الثانية من الشعب السورى ، الذى فقد كل احساس وطنى أو قومى سواء كان ذلك فى الماضى أو المستقبل ، فهؤلاء يمثلون نبلاء الشعب السورى ، وفى نفس الوقت كان من الصعب على المصريين مهما كانت الأسباب أن يقبلوا مثل هذا الاتهام لأن دولتهم — مصر — تقع على عاتقها مسئولية الوحدة مستقبلا مهما كانت مسئولية المصريين فى سوريا ، وعلى هذا فالمسئولية تقع بالدرجة الأولى على سياسة ومسئولية الحكومات العربية ازاء الوحدة العربية .

وتتبع المسؤولية على القادة السياسيين المصريين ، ومدى تمسكهم بالوحدة العربية ، وبهذا لا يفرضون على أنفسهم العزلة عن العالم العربى بشرط أن بنائر العرب بمبادئ القيادة المصرية التى بدأت تنشر مبادئها الثورية منذ عام ١٩٥٤ ، وكانت أحاديث الرئيس عبد الناصر وكذلك الصحافة المصرية تركز على هذا الجانب (بأن الوحدة العربية أمر حتمى ومصيرى) وكثير من المصريين كانوا مقتنعين تماما بمثل هذا الاتجاه .

ومثل هذه المبادئ الأيديولوجية كانت أمرا حتميا من أجل القومية العربية الشاملة . وهذه كانت باستمرار توجهات القيادة السياسية المصرية خاصة فى مراحل الانعزال عن العالم العربى .

ولاشك كانت هذه توجهات القيادة المصرية فى مواجهة حلف بغداد ، وكذلك ضغوط الدول الغربية على المنطقة قبل حرب السويس وبانتهاء مشروع ايزنهاور Eisenhower للدفاع عن الشرق الأوسط عام ١٩٥٧ (*) .

يعد انفصال سوريا أخطر تحد — على الإطلاق — للمشاعر العربية لأنه كان صدمة قوية لزعماء سوريا ، وخسروا بذلك القاعدة

(★) جاء مشروع ايزنهاور للء النزاع فى الشرق الأوسط عقب حرب السويس ١٩٥٦ — ١٩٥٧ وخروج مصر منها منتصرة على ثلاث دول : إنجلترا وغربا واسرائيل ، وانهيى النفوذ الاستعمارى الانجليزى الفرنسى فى المنطقة ، وعلى اثر ذلك قدمت أمريكا فى عهد الرئيس ايزنهاور هذا المشروع بهدف الدفاع عن المنطقة ضد الترس الشيوعى ، ولكن كانت مصر هى أول الدول العربية الراضة لهذا المشروع وحرشت بقية الدول العربية على رغبتهم أيضا .

(الترجمة)

الشعبية التي كانوا يعتمدون عليها ، ويعولون عليها في سياستهم العربية منذ بداية عام ١٩٥٥ ، كما هددت سياسة سوريا الخارجية التي تقلصت الى أدنى درجة . ولم يعد لسوريا مكانة دولية تذكر كما قبولت سوريا بهجوم شمرس من قبل القاهرة موضحا موقفها للعرب بأنها لم تعد تنظر الى القومية العربية نظرة جادة .

* * *

٢ - ردود الفعل السورية :

لقد ساعدت الحملة المضادة التي شنتها القاهرة على قادة الانفصال السوريين بأن جعلتهم في حالة دفاع عن النفس ، وقد وجد السوريون أنفسهم في محاولة مستمرة لكي يبرهنوا على قضيتهم بخصوص القومية العربية والاشتراكية وذلك في مواجهة هجمات القاهرة المستمرة . فالاهتمام بالقومية العربية بلغ مداه ، وأية اقتراحات كانت كلها ضدهم ، باداموا هم الذين فسحوا عقد الوحدة وكلمة « انفصالي » خلفتها الدعاية الصادرة من القاهرة ، لكي تحول معنى مرادفا للغدر والخيانة ، وهذه الصنات كانت توجه الى نظام الحكم في العراق ، كما تبني السوريون اسم « الجمهورية العربية السورية » من أجل دولتهم عقب الانفصال ، وروجوا على الفور - بين الحكومات العربية - خطة عمل من أجل وحدة فيدرالية عربية ، والقوا باللوم على المسؤولين المصريين بأنهم هم السبب في حادث الانفصال نتيجة لموقفهم المتشدد وسياستهم الاستبدادية ومن ثم فهم يعتبرون أعداء للوحدة العربية ، وأن عدائهم - السوريين الانفصاليين - هو العمل على بناء وحدة أكثر تماسكا وأن يبدأوا بها صفحة جديدة ، على أسس أفضل .

وقد صدر بيان بتأييد حركة الانفصال السورية ، صادر من

دمشق في اليوم التالي من شهر أكتوبر عام ١٩٦١ ، ويحمل هذا البيان ثمانية عشر توقيعاً لزعماء سياسيين من مختلف الاتجاهات ويشتهل على :

خالد العظم — صبري العسلي — وبصفة خاصة زعيمى حزب البعث وهما : أكرم الحوراني ، وصلاح الدين البيطار (وقد ندم البيطار فيما بعد على ذلك) ، وقد كان ميشيل عفلق خسارج البلاد ، وبهذا لم يوقع على هذا البيان .

كما أصدر السياسيون الآخرون اعلاناتهم الخاصة بهم ، وهو يتضمن تأييد حركة الانفصال مثل فارس الخوري ، وسليمان الأطرش وأخيراً شكري القوتلي الذي قال : « لقد مبرز حياتى تاريخاً سعيداً هما يوم استقلال سوريا فى عام ١٩٤٦ وكذلك الوحدة السورية المصرية فى فبراير عام ١٩٥٨ ، لقد كنت أتمنى أن أشارك فى المسؤولية فى الدولة الجديدة . وأسأهم فى جذب الشعوب العربية الأخرى الى إطار الوحدة ، ولكن خاب أملى بدرجة كبيرة ، لقد انزل النظام الناصرى بغالبية السكان الى مرتبة الخونة ، وكان يحكمهم بالرعب والجبروت ، ويطأ بقدميه على شرف وكرامة المواطنين ، وان السياسيين فى مصر لم يفهموا أن ما يمكن تطبيقه فى مصر لا يمكن تطبيقه بالتالى فى سوريا ، ولكى يبقوا على أنفسهم — سياسيين القاهرة — أطلقوا العنان لاهوائهم ونزعاتهم .

لقد كان عدد السوريين الذين تولوا مناصب مدنية أو عسكرية فى ظل الوحدة عدداً لا بأس به ، إلا أن هؤلاء رفضوا أن يدينوا حركة الانفصال حيث كان بعضهم — وقتها — فى القاهرة ، وآخرون هربوا الى هناك كى تحيلهم الحكومة المصرية الى المعاش مع هؤلاء العراقيين ، والمستبعدين السياسيين من الأردن كى يمتضى الجميع

وقته جالسا في محلات « لأباس » لشرب الشاي والقهوة ، أو في نادي الجزيرة الرياضي ليخوض في أحاديث القيل والقال .

لقد كان من الصعب بالنسبة لأعضاء الحكومة السورية الجديدة ان يقدموا أنفسهم كأشخاص تقدميين ، حيث انهم ينتمون الى طبقة سياسية سورية تقليدية ، مشهورة بامتلاك الأراضي ، والثروة التجارية ، مع مجموعة من الزعماء المحليين قائمة على السلطة والنفوذ العائلي المتوارث طويل الأمد .

وفي أول شهر ديسمبر دعى الشعب الى استفتاء عام على دستور سوري جديد ، وجاءت نتيجة هذا الاستفتاء بأغلبية ٩٧.٧٪ وان كانت هذه حالة مألوفة في الاستفتاءات التي تجرى في منطقة الشرق الأوسط ، فالاجراءات والمشرعون على الانتخابات تساعد على مثل هذه النتيجة ، حيث ان الناخبين يتقدمون بقصاصة ورق خضراء توضع في الصندوق ، ومعناها الموافقة ، وأخرى حمراء ومعناها غير موافق ، كما أن المرشحين في مثل هذه الانتخابات البرلمانية من الطبقة التقليدية يكسبون ٤/٥ المقاعد ، وقد اختير زعيمهم « لؤي الأتاسي » ونظام القدس عن طريق البرلمان كرئيس للجمهورية ، ونائب له ، وكان المتحدث الجديد للبرلمان الدكتور مأمون الكزبري الذي كان يتولى منصب رئيس الوزراء في الحكومة الانفصالية السورية .

وفي ١٤ فبراير ألغى البرلمان الجديد معظم القرارات التشريعية التي سبق لعبد الناصر أن أصدرها في يوليو ١٩٦١ والتي أمتت بموجبها كل البنوك وشركات التأمين ، والعديد من المنشآت الأخرى ، ومنع الأفراد من امتلاك أكثر من ١٠٠.٠٠٠ جنيه في المؤسسات الوطنية الأخرى ، فقد ألغيت قرارات التأميم ،

وأصدروا بدلا منها قانونا صناعيا أكثر اعتدالا ، كما أصبح الشيء المسموح به في المستقبل أن تفرض قبود معتدلة بهدف تركيز الملكية قحددت أسهم المؤسسين في الشركات الجديدة بنسبة ١/٤ ، في حالة الشركات التي يزيد عمر انشائها على ١٠ سنوات ، أما ملكية الأفراد في الأسهم فقد حددت بحد أقصى ١٧٥٠٠ جنيه في كل شركة كما سمح للعمال بشراء أسهم هذه الشركات .

وقد وصف عدنان القوتلى وزير الاقتصاد القومى هذا الاجراء بقوله : « ان قرارات عام ١٩٦١ كانت تتسم بالارتجالية ، وعدم الدراسة المتأنية ، انما كانت بهدف الدعاية لنظام الحكم الناصرى وان كانت هذه القرارات على المدى البعيد ليست لصالح العمال ، بل ان هذه القرارات أنكرت كل المكاسب التى حصل عليها هؤلاء العمال ، كما أنها لم تكن في صالح الاقتصاد القومى لأنها حرمته من تقدمه ورخائه ، وام تهدف الى اصلاح اقتصادى أو اجتماعى ، وفى الواقع هذه القرارات تمكن الحكام من النحك في شؤون الناس ، وفى معيشتهم بطريقة غير مباشرة دون أن تشجع المواطنين أن يقيموا صناعات مزدهرة ، وبدون تأسيس أو ايجاد صلة بين العامل وصاحب العمل خاصة لأن القوانين السابق الاشارة اليها أهدرت مبادرة الفرد وجهوده الشخصية ووأدت أية فكرة في اقامة مشروعات أو زيادة النشاط الصناعى » .

وهكذا أصبح القانون السورى الجديد هو القانون الذى يعطى وصفا ثابتا لفكرة الاشتراكية البناءة ، ويقيم عدالة اجتماعية حقيقية على عكس اشتراطات القوانين السابقة التى تتسم بالارتجال والدعاية الطنانة الجوفاء من أى مضمون حقيقى لصالح الشعب أو لصالح الاقتصاد الوطنى .

ورد الرئيس عبد الناصر باششارة عابرة في احدى خطبه

بازدراء الى الرأسـمالين والاحتكاريين الذين يتشـدقون بالاشتراكية . هذا اشارة الى مقالة وردت فى صحافة دمشق تطالب ببرنامج اشتراكى مشابه لبرنامج حزب المحافظين البريطانى .

وطالما شعر الزعماء الانفصاليون السوريون بأنهم اضطروا الى التعلق بمثل هذه الشعارات : كالوحدة العربية والاشتراكية ، تلك الشعارات التى أصبحت مرتبطة تماما باسم الزعيم عبد الناصر فى مفهوم كثير من العرب ، وعلى هذا فقد أصبح زعماء الانفصال قسـى سوريا يمارسون معركتهم بشكل مباشر مع القاهرة ، التى تعد عائقا أمامهم حتى فى الانتخابات البرلمانية التى كانوا يأملون أن تعجل على تثبيت نفوذهم وتضفى عليهم شرعية ، وكان عبد الناصر قد أعلن صراحة — عقب الانفصال — أنه لن يتعامل مباشرة مع النظام الانفصالى الحاكم فى دمشق ، والذى لا يمثل الشعب السورى مـىما لجأ الى دعم موقفه بالانتخابات البرلمانية . ونتيجة لموقف الرئيس عبد الناصر ، فان زعماء الانفصال بدأوا يشعرون بالأس والقنوط ، ويحاولون دعم موقفهم بكل الطرق والأساليب .

* * *

٣ — انشقاق حزب البعث :

ازاء هذه التطورات كان حزب البعث فى وضع اضطراب متزايد لأن زعماء تركوا مكاتبهم قبل الانفصال بفترة طويلة ، وكانوا لا يحملون اية مسئولية لقرارات يوليو البغيضة ، كما أنهم لم يلبعوا أى دور متميز فى حادث الانفصال ، ولكن جاء اسم أكرم الحورانى وصلاح الدين البيطار فى بيان الانفصال ، كما أن عددا كبيرا من أنصارهم ترك حزب البعث احتجاجا على هذا التصرف غير الواعى بعواقب الأمور .

وجدير بالذكر أن أكرم الحوراني حصل على مقعد في الانتخابات البرلمانية التي تمت عقب الانفصال ، في حين لم يتمكن صلاح الدين البيطار من الحصول على مقعده ، وسقط في هذه الانتخابات ، وبرغم هذا فقد انتقد أكرم الحوراني في جلسة البرلمان المنتخب الأولى بقوله : ان تشريعات عبد الناصر الاقتصادية لا تتفق مع واقع الانسان العربي . وانتقد بشدة وعنف الاسلوب الذي طبقت به هذه التشريعات والقوانين التي لم تنل الدراسة الكافية ، ووافق أكرم الحوراني مع زعماء الحكومة السورية الانفصالية على تحدى عبد الناصر وسياسته ، ويعلن بأعلى صوته انتهاء دكتاتورية عبد الناصر ، كما أنه كال الاتهامات للزعيم عبد الناصر بأنه تخلى عن قضية العرب ، وفلسطين ، وباع نفسه للولايات المتحدة الأمريكية في مقابل معونة اقتصادية(*) .

لقد فزع حزب ميشيل عفلق ، وصلاح الدين البيطار من تلك الاتهامات التي كالحا أكرم الحوراني للزعيم عبد الناصر والتي لا تستند الى حقائق تاريخية بقدر استنادها الى عواطف تشنجية جوفاء ، ورأوا الابتعاد عن الحكومة السورية الانفصالية حتى لا يسيئوا الى أنفسهم وناريخهم باتصالهم بأكرم الحوراني وثورته الجامحة التي انتهجها الحوراني والرجعيون الانفصاليون ولجؤهم الى تشويه سمعة عبد الناصر ، في وقت النزم فيه حزب البعث السوري الا ينتقد عبد الناصر صراحة وبالاسم . كما أنكر صلاح الدين البيطار توثيقه على بيان الانفصال ، في وقت رأى فيه أكرم الحوراني وميشيل عفلق ألا يصطدما مباشرة مع البيطار .

(★) ألقى عبد الناصر خطابا في ١٩٦٦/١٢/٢٣ بمناسبة عيد النصر في بورسعيد جاء به : اننى أرفض السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وانى أرفض معونتها الاقتصادية « خمسين مليون على الجزمة » .

(المترجم)

وفى وقت ما انساق جناحا حزب البعث بعيداً عن الواقع ،
 فى ١٨ يونية أصدر الحوراني بياناً يعلن فيه تكوين حزب جديد
 لنفسه ، وفى اليوم التالى أعلن ميشيل عفلق أنه قد تم طرد
 الحوراني وأتباعه من الحزب ، وفى حقيقة الأمر لم يكن هذا القرار
 نتيجة انفعال عنوى ، إنما هذا القرار اتخذه الحزب فى الشهر
 السابق فى بيروت ، وهكذا انتهى التحالف الذى حاول أن يقيمه
 أكرم الحوراني مع ميشيل عفلق فى أجنحة الحزب . . كما بقى العديد
 من شركائه الذين عملوا كوزراء فى الحكومة الانفصالية . وفى نهاية
 عام ١٩٦٣ تفاوض أكرم الحوراني بشأن « معاهدة وطنية » مع
 رئيس الوزراء خالد العظم ، ومع زعيم الاخوان المسلمين عصام
 العطار وهذان كانت تربطهما به صلات فى مرحلة مبكرة من تاريخه ،
 اما ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار فقد قام بطردهما باعتبارهما
 عنصريين لهما ميول ناصرية .

وتطورت الأحداث والمواقف ، فقد ظهر فى هذه الأثناء آراء
 أخرى من بين المجموعة السياسية المحافظة التى تسيطر على
 الحكومة ، حتى الجيش انششق على نفسه ، وظهرت مجوعة
 من بين ضباطه كانوا ضالعين فى حركة الانفصال ، فأفراد
 هذه المجموعة كانوا يميلون الى السياسة اليسارية والأفكار
 الاجتماعية أكثر من ميلهم للسياسة العربية ، كما أنهم ايدوا حركة
 الانفصال ليس بسبب التشريعات وقانون التأميم ، أو قانون الإصلاح
 الزراعى ، ولا بسبب تغلغل النفوذ المصرى فى سوريا ، ولكن
 غضب هؤلاء العسكريين كان نتيجة لشعورهم بالمهانة والذلة تحت
 الحكم المصرى ، رغم ان الايماءات التى صنعها السياسيون باسم
 القومية العربية والاشتراكية كانت بهدف تهدئة الأمور والمواقف
 المتوترة بين الجيش السورى والرأى العام فى سوريا .

كما كان كثير من الضباط البارزين في مناطق حلب وحمص عاجزين عن القيام بأى عمل ايجابى لوقوف حركة الانفصال ، ولهذا تم التخلص منهم وابعادهم عن مواقع عملهم ، بينما الآخرون الذين أيدوا حركة الانفصال كانوا يرغبون فى انتهاز نفس السياسة الخارجية المصرية وكذلك السياسة الداخلية بقدر الامكان وقد تم القبض على الكولونيل حيدر الكزبرى قريب مأمون الكزبرى ، أحد العقول المدبرة للانفصال وهو المعروف بأرائه السياسية المحافظة وسجن لمدة عدة أسابيع بعد حادث الانفصال .

٤ - حكومة بشير العظم :

فى ٢٨ مارس ١٩٦٢ تحركت القيادة العليا للجيش فى مواجهة الحكم المدنى الذى نصب نفسه على الدولة ، وقبض على الرئيس القدى ، وكل أعضاء مجلس الوزراء بالإضافة الى القاء القبض على أعضاء بارزين فى البرلمان النابى السورى ، وجهت اليهم تهمة استغلال السلطة والنخوذ والانغماس فى الفساد الادارى والرشوة ، كما أنهم يعدون مسئولين مسئولية كاملة عن فشل الوحدة السورية مع مصر .

وترتب على ذلك حدوث اضطرابات كبيرة فى كل أرجاء سوريا ، وانقسم ضباط الجيش على أنفسهم ، وانتهزت قلة سياسية معارضة فى مدينتى حلب وحماة لتعلن عن ارادتها فى اعادة الوحدة السورية مع مصر ، وكان أمل هذه الفئة ان تسارع مصر بالتدخل لصالحهم ، ولكن مصر رفضت التدخل فى شئون سوريا باعتبار أن ما يحدث هناك بمثابة أحداث داخلية بدتة ، الأمر الذى دعا هؤلاء الضباط الى تسليم أنفسهم الى القوى العسكرية فى

دمشق ، واضطر مجموعة من هؤلاء الضباط الناصريين الى الهروب وتمت السيطرة على الموقف داخل سوريا ، كما تم ابعاد ستة مع كبار الضباط ذوي الميول الناصرية الى اوربا ، وان كانت أحداث هذه المرحلة مازال يكتنفها الغموض ، ومازالت سرا من الأسرار ، ولكن أصبح من المؤكد أن كبار الضباط في الجيش كانوا عاجزين عجزا سياسيا كاملا . فلم يكونوا فقط غير ملائمين للموقف ، فضلا عن عدم وجود انسجام تام بين هؤلاء الضباط ، هذا بالإضافة الى عجزهم التام في ادارة شؤون البلاد من خلال حكومة مدنية محترفة ، كما اضطرهم في نهاية الأمر الى الاذعان للأمر الواقع ، واطلاق سراح الضباط الذين تم القبض عليهم ، كما طلبوا من الرئيس القدسي العودة الى منصبه ، وكان البرلمان قد صدر قرار بحله رسميا ، كما أقيمت الوزارة التي كان يرأسها الدكتور بشير العظم المعروف بنظريته الأكثر تقدما ، والذي كان مسيطرا على الادارة التي ترى عودة الوحدة مع مصر ، بدلا من وزارة الدواليبي . وردت القاهرة بحذر شديد بالوزارة الجديدة ، التي اتخذت عدة اجراءات لكي تهدئ من المشاعر الناصرية ، كما تم اعادة تأميم الشركة الخماسية ، وهي أكبر مجمع صناعي ، كما ألغيت التعديلات السابقة في تشريع قانون الاصلاح الزراعي عام ١٩٥٨ ، كما أعلنت الحكومة انها تعمل نحو الوحدة مع الاقطار العربية المستقلة خاصة مع الدولة الشقيقة مصر وكذلك العراق .

وقد تم التفاوضي تماما من قبل هذه الوزارة الجديدة عن الحقيقة النابتة ، بأن مصر والعراق نادرا ما يكون بينهما وفاق ، وتم تشكيل لجنة على أعلى مستوى ، وروعي الدقة في اختيار شخصياتها وذلك بهدف اصدار توصيات بخطوات محددة نحو الوحدة العربية . وفد الملح الدكتور بشير العظم رئيس الوزراء بقوله : أن الرئيس جمال عبد الناصر طعن من الخلف باتفصال سوريا .

كان الموقف الرسمي السوري يتحرك نحو القاهرة لتهدئة الموقف في النظام المصري ، وبعد فترة وجيزة من الصمت والحذر الذي يكتنفه التحفظ الشديد ، أعقبتها حملة من الصحافة والاذاعة المصرية للتنديد بحكومة بشير العظم وان كانت أفضل الى حد ما من الحكومة السابقة ، كما اتهمت اذاعة القاهرة حكومة بشير العظم بأنها واقعة تحت تأثير أكرم الحوراني الخائن ، مما أضرر حكومة العظم للرد على هذه الاتهامات والهجمات المصرية ، كما ارتفعت شكوى سوريا من محاولات التخريب والتدمير المزعومة من قبل حكومة القاهرة ، والتي يقوم بها عملاء مصريون مخربون يتسللون الى داخل سوريا من خلال لبنان ، وقد أدت هذه الشكاوى الى مواجهة عنيفة عند اجتماع مجلس جامعة الدول العربية في نهاية شهر أغسطس ، والذي عقد في المدينة اللبنانية شتورا Shtura ، وقد اهتم مجلس جامعة الدول العربية بنقطة الخلاف والصدام بين الطرفين : القاهرة ودمشق ، وبإيلاء استغرافية تم حسابها جيدا أرسلت الجمهورية العربية المتحدة وفدا متضمنا مجموعة من ٣٠ شخصية سورية من بين هؤلاء الذين استقروا في القاهرة عقب حادث الانفصال ، يرأسهم الوزير أكرم الديري وهو ضابط سابق بالجيش السوري ، ووزع المندوبون السوريون بدورهم نسخا من « الكتاب الأسود » الذي قدم عرضا مفصلا عن أخطاء السلطات السورية أثناء الوحدة ، وبذلك دخلت سوريا مرحلة جديدة في الخلاف مع القاهرة ، وهددت الاتهامات للقاهرة بالتدخل في شؤون سوريا . كما اتهمت حكومة الجمهورية العربية المتحدة حكومة دمشق بتدبيرها حملة تعذيب ضد العناصر الوطنية في سوريا وذلك خدبة للمصالح الاستعمارية ، وبعدها اتهم السوريون الجمهورية العربية المتحدة في القاهرة ، بأنها كانت تعمل سرا مع

الولايات المتحدة الأمريكية لكي تؤجل نظر القضية الفلسطينية ، وقدمت الى مجلس جامعة الدول العربية مستندات رسمية تؤكد هذا الاتهام ، وانتهت هذه الجلسة الخاصة لجامعة الدول العربية دون أن تضع حدا لاختلاف وجهتي نظر القاهرة ودمشق ، مما أدى الى تباعد الطرفين ردحا من الزمن .

٥ - عجز جامعة الدول العربية :

نتيجة للدور الذي قامت به سوريا رأى وفد الجمهورية العربية المتحدة الانسحاب من اجتماع شتورا بلبنان ، وذلك احتجاجا على افتراءات الحكومة السورية ، وقال الديري « لقد أصبح مجلس الجامعة العربية بالنسبة لدولها الاعضاء بغير فائدة ، وان هذا المجلس ليس بإمكانه القيام بأى عمل ايجابى من أجل تحقيق آمال النضال العربى ، وانهار عبد الخالق حسونة الأمين العام لمجلس الجامعة العربية ، كما ارتبك بقية أعضاء الوفود تجاه هذه المسألة برمتها ، وصوتوا عشرة أصوات ضد صوت واحد ، وهو الصوت السوري ، ضد تدخل الجمهورية العربية المتحدة فى الشؤون السورية ، وان المجلس لا يمكنه الاستمرار فى مناقشة الشكوى السورية ضد مصر ، نظرا لانسحاب وفد الجمهورية العربية المتحدة ، وتجاهلت حكومة القاهرة المجلس منذ ذلك الوقت فصاعدا لمدة عام ، مع ملاحظة أن حكومة العراق مازالت تفكر فى حضور الاجتماع من عدمه ، كما أن حكومة الكويت رفضت حضور هذا الاجتماع فى شتورا .

وتلا ذلك حدوث مواقف تدل على ما وصلت اليه جامعة الدول العربية من عجز فى كثير من القضايا والمسائل ، منها عجزها أن تلعب دورا فى الحرب الأهلية فى اليمن ، التى نشبت فى .

سبتمبر عام ١٩٦٢ ، وهذا النزاع اليمنى الذى دخلت فيه مصر والمملكة العربية السعودية والأردن ، ونشوب نزاع بين مصر وسوريا حيث تركز هذا النزاع حول طرد مندوب مكتب جامعة الدول العربية لمقاطعة اسرائيل فى يناير ١٩٦٣ ، وكان المندوب الدكتور عبد الكريم العبدى وأعضاء القيادة الدائمة يستقرون فى دمشق ، وكان الدكتور العبدى قد تقلد منصبه منذ عام ١٩٥٠ ، وهو أحد السوريين ذوى المناصب العالية فى جامعة الدول العربية، وقد نال كره وبغض المصريين عليه ، حينما تمكن من اغراء الملحق العسكرى المصرى فى بيروت بأن يسلمه وثائق مهمة تدين الحكومة المصرية ، ولذلك أصدر عبد الخالق حسونة قراره باعفاء الدكتور العبدى من منصبه بحجة بلوغه سن التقاعد ، وعين بدلا منه « محمد محجوب » مصرى الجنسية كمندوب عن سوريا ، وأخذت حكومة دمشق من هذا الحادث ذريعة لعداء القاهرة بشكل مباشر ، ولم تعترف دمشق بقانونية تعيين محمد محجوب يؤيدها فى ذلك كل من الأردن ، والعربية السعودية ، والعراق . وبناء على ذلك أقامت مكتب بمقاطعة خاصا بسوريا فى دمشق بكون تحت سيطرتها، وأكدت أن العبدى قد تم تعيينه بتصويت مجلس جامعة الدول العربية فى عام ١٩٥٠ بشكل قانونى وبالتالى لا يمكن طرده أو احلال أى شخص بدلا منه الا من خلال تصويت جامعة الدول العربية ، وبانتهاء يناير عام ١٩٦٣ دخل أعضاء مجلس جامعة الدول العربية فى سلسلة معقدة من المشاحنات والخلافات ، خاصة حينما تعرض مجلس الجامعة لمشكلة أخرى ، اذ رفض العراق الاعتراف بالكويت عضوا بمجلس الجامعة وعلى هذا الأساس استدعى العراق كل سفرائه فى الدول العربية الممثلة فى مجلس جامعة الدول العربية، فى وقت لم تكن فيه مصر معترفة بالنظام السورى ، بل قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الأردن، كما قطعت مصر علاقاتها مع الغربية

السعودية عقب قيام الثورة في اليمن ضد حكم الامام ، في وقت اعترفت فيه كل من : مصر ، العراق ، وسوريا ، ولبنان بالجمهورية اليمنية بينما اعترفت فيه العربية السعودية والأردن بنظام الامام الملكي .

كما كانت العلاقات السورية اللبنانية قد أفسدتا المواجهة التي كانت بين مصر وسوريا وبالتالي أغلقت الحدود بين البلدين ، وتعليقا على نزاع مكتب المقاطعة أشار صحفي لبناني بقوله : « ان اسرائيل يمكنها من الآن فصاعدا أن يكون لديها الاقتناع التام بأنها لم تعد البلد المعنى بالمقاطعة العربية حيث ان الدول العربية تقاطع بعضها البعض » .

وفي واقع الامر لم يكن يهتم الرئيس المصري عبد الناصر بعد حادث الانفصال في عام ١٩٦١ بكثير من الحكومات العربية الرجعية وقرر أن ينشر مبادئه الثورية ليثير الضغط الداخلي الشعبي على مثل هذه الحكومات العربية . وبهذا لم يعد يتعاون مع الحكومات المناهضة لسياسته وهي : السورية والعراقية والأردنية والعربية السعودية ، بل أكثر من هذا ازدراء مثل هذه الحكومات الرجعية ، ولهذا بدت له ثورة اليمن فرصة ذهبية يجب اقتناصها لمبادئه الثورية الى داخل الجزيرة العربية ، وتدخل الجيش المصري لمساندة الثورة الشعبية ضد حكم الامام (*) ، بينما شعرت

(★) لقد وجد جمال عبد الناصر فرصته بتواجد قواته المسلحة على أرض اليمن ، ومن هنا يمكن له أن يتحكم في باب المندب جنوب البحر الأحمر ، وبهذا يمكنه أن يبطل مفعول حرية مرور اسرائيل عبره الى ايلات ، اذ اضطر عبد الناصر أن يسمح لاسرائيل بالتحكم في شرم الشيخ مقابل انسحابها من سيناء كاملة ، وكانت قد احتلتها أبان أحداث العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ .

(الترجمة)

كل من : السعودية والأردن بأنهما مضطرتان لمناصرة الملكية في اليمن ، حتى تنال هاتان الحكومتان تقدير شعوبهما ، وقد اعترفت كل من سوريا والعراق بثورة اليمن ولكن لم تقدما أية مساعدة تذكر ، إذ لم يكن لهما أي مصالح في اليمن يمكن الاستفادة منها .

وفي حالة سوريا ، فإن زعماءها المحافظين بصفة خاصة كانوا في موقف حرج من محاولاتهم الجادة لإيجاد ووسع خاص (تقدمي على وضع اليمن وشؤونها) ووقفت ضد التأييد الشعبي في سوريا لثورة اليمن وعلى هذا كانت تعارض مبدأ التدخل المصري الضخم في السياسة الداخلية لدولة عربية صديقة (وهذه السياسة تتفق مع شكواها ضد مصر ، التي كانت محل نقاش في شتورا) .

وعلى هذا أصبحت سوريا تسير في الاتجاه المضاد لمصالح الحكومات : السعودية والأردنية والتي تعتمد عليها في تأييدها ، وكان الوضع السوري يدل على ورطة الحكومة السورية في سياستها الداخلية والخارجية ، وأنه لم يعد لديها رصيد يمكن به أن تقاوم التحدي الثوري المصري دفاعا عن مصالحها المتحفظة ، ومن ثم لم يعد للسياسة السورية أي ملامح يمكن أن تقنع بها الشعب السوري .

٦ - الانقلابات العسكرية العراقية السورية :

لقد واكب المظهر الأخير الذي ساد العالم العربي ، والذي اتسم بالتمزق والضعف ، واكب هذا الوضع المزري الانقلاب العسكري العراقي ضد حكم عبد الكريم قاسم المعادي للثأرة

فى ٨ فبراير عام ١٩٦٣ ، وتولى السلطة احد أجنحة حزب البعث العراقى ، ورحبت القاهرة بهذا النظام العراقى الجديد الذى أعلن عن أهدافه الاشتراكية التى يروج لها النظام المصرى ، ومن ثم طار وفد عراقى — يمثل هذه الثورة — الى القاهرة لحضور احتفالات عيد الوحدة فى ٢٢ فبراير (ويوافق هذا اليوم الذكرى السنوية لقيام الجمهورية العربية المتحدة) مع الرئيس عبد الناصر .

وفى هذا الوقت كان عبد الناصر له مشاكل عميقة الجذور مع البعثيين السوريين حدثت أثناء سنوات الوحدة وبعدها . وكان العراقيون الجدد يمثلون مجموعة من الشباب الذين تأثروا كثيرا بفكر وسياسة الرئيس عبد الناصر ، ومن ثم أعلنوا وقتها أن لديهم رغبة ملحة وأكيدة فى التعاون مع عبد الناصر .

وادرک عبد الناصر من الحدث معهم أنهم يمثلون القوة العربية المنظمة الوحيدة فى العراق ، وأنهم كانوا يعدون لهذا الانقلاب طوال أربع سنوات مضت ، كما أنهم نصبوا رئيسا للدولة بحل لقب بطل العراق عام ١٩٥٨ أنه عبد السلام عارف .

وبقدر سرور وسعادة عبد الناصر بالانقلاب العسكرى العراقى كان غضب وحزن الحكومة السورية ، خاصة أن النظام العراقى الجديد وقف من الحكومة السورية موقف العداء حيث جرد العلاقات معها والتى كانت تجرى فى الحكومة العراقية السابقة بهدف الحصول على مساعدات اقتصادية من الاتحاد السوفيتى والصين عن طريق العراق . كما أن النظام العراقى الجديد مارس القتل الجماعى ضد الشيوعيين ، والقضاء القبض على كل الشيوعيين العراقيين واللقاء بهم فى غياهب السجون .

وقد كان لحزب البعث العراقى مركز فى دمشق ، وكان ميشيل عفلق يتولى منصب السكرتير لهذا المركز ، وكان الأمل أن

يحدث تقارب بين العراقيين والسوريين في مجلس الحزب الوطني خاصة بعد أن تخلص حزب البعث السوري من أكرم الحوراني ، ولكن برغم هذا رفضت حكومة العراق الانسحاق وراء السياسة السورية المعادية لسياسة عبد الناصر ، رافضة بشدة حدوث أي تقارب ، وشعرت حكومة سوريا بعجزها عن قمع النشاط البعثي المتزايد ، وقد سمحوا لميشيل عفلق أن يتنقل بكل حرية بين دمشق وبغداد بهدف العمل على تقارب البلدين وحدوث وفاق بين النظامين . وواكب رحلات ميشيل عفلق هذه إصدار بيانات وتصريحات للصحافة ، كما حاول أن يقبم وحدة بين العراق وسوريا ، وحقيقة كان موقف ميشيل عفلق ومحاولاته هذه انعكاسا للأوضاع المتردية في سوريا ، وشعورها بالضعف تماما كما حدث في عام ١٩٥٨ ، ومن جانب آخر كانت الحكومة السورية تجري محاولات مع مصر بهدف انقاذها من العراق نفسه ، وبرغم هذا لم يهتم العراقيون بالتعامل مع النظام السوري القائم ، انهم ينتظرون موقفا آخر ، وفي تلك الأثناء كان العراقيون يعتقدون محادثات مطولة مع عبد الناصر .

وقد حدث الانقلاب السوري بعد شهر واحد من انقلاب العراق (٨ مارس ١٩٦٣) وتم هذا الانقلاب بدون عناء أو حدوث عنف ، وهذا يدل على أن النظام الانفصالي الذي انتفض على الوحدة نظام ولد ضعيفا لا يستند على أية قوة ، وظل منذ عام ونصف العام يقاوم ويعاني من العقبات التي تعترضه ، وكثيرا ما كان يعاني من حدوث انشقاقات دينية ، ومعارك سياسية ، بين السياسيين والحزبيين ، وامتدت الخلافات الى صفوف القوات المسلحة ، ومما يدل على هذا الوضع المزري أن تعاقبت على حكم سوريا أربع وزارات متتالية في خلال سبعة عشر شهرا ، وآخر هذا الوزارات كانت برئاسة « خالد العظم » ، وأن بدأت هذه الوزارة-

الأخيرة بمظهر الاعتدال والاصلاح حيث ألقى القبض على الجنرال « ظهر الدين » قائد الجيش ، وكذلك أكرم الحوراني والرئيس القدسي ، وعندما حدث هذا الانقلاب — الأخير — ضد وزارة خالد العظم ، اضطرر للالتجاء الى السفارة التركية وقبض في احدى الشقق بالأدوار العليا من مبنى السفارة .

ومثلما حدث في العراق ، تولى زمام الأمور في سوريا مجموعة من الضباط ومعهم مجموعة من المدنيين مجهولي الهوية تحت قيادة « مجلس قيادة الثورة الوطني » وعين مجلس وزرائه بقيادة بعثية، وجيء بصلاح الدين البيطار رئيسا للوزراء ، وأعلن المجلس انه استولى على السلطة لكي يكفر عن خطيئته الكبرى في الانفصال عن مصر عام ١٩٦١ ، ويعيد سوريا الى الوحدة مع الشيعة الكبرى مصر ، وأيضا العراق ، وقد أبرق الرئيس عبد الناصر الى سوريا مهتئا ، وهذا الاتصال يحدث لأول مرة من قبل عبدالناصر منذ حدوث جريمة الانفصال الفادر ، وتلا ذلك الاعتراف الدبلوماسي بسوريا المستقلة ، وأشرقت شمس الأمل على العالم العربي مرة ثانية ، وعادت صورة الرئيس عبد الناصر لتعلق في الشوارع والمحال والنوافذ في مدينتي دمشق وحلب ، وعادت الآمال تملأ مخيلة عبد الناصر في عودة الحياة الى القومية العربية الشاملة ، وأدرك أنه كان على حق حينما رفض التهـاـون مع الرجعيين والانفصاليين ومن ثم حدوث ثورتى العراق وسوريا وأصبح الطريق الى احياء القومية العربية طريقا ممهدا ومفتوحا .



الفصل الثالث

مفاوضات القاهرة

مارس - أبريل ١٩٦٣

- ١ - النظام السوري الجديد
- ٢ - محادثات الوحدة عام ١٩٦٣
- ٣ - الاجتماعات السورية المصرية العراقية
- ٤ - الاجتماعات المصرية السورية
- ٥ - الجولة الأخيرة في المحادثات
- ٦ - التفاوض من أجل الوحدة
- ٧ - اتفاقية للموافقة

((أننا نواجه كثيرا من العقبات فيما يتعلق بإتمام الوحدة العربية بسبب أننا كعرب نتكلم كثيرا دون فعل حقيقي))

تصريح عبد الناصر للوفد السوري العراقي أثناء
المحادثات حول الوحدة في القاهرة بتاريخ ١٤ مارس ١٩٦٣

لم يكن الانقلاب العسكري في ٨ مارس انقلابا بعثيا خالصا
إذ قاد هذا الانقلاب الجنرال زياد الحريري ، وهو رجل ذو عقلية
مستقلة بعيد عن التيارات السياسية الحزبية ، وضابط له شهرة ،
وهو طموح بطبعه ، وكان يعمل من قبل قائدا على خط المواجهة
السورية الاسرائيلية .

والحريري ليس له انتماءات حزبية ، وكان بعض البعثيين
يميلون - في بعض المواقف - الى انتقاده حيث انه كان في موقع
المسئولية ووقف من حادث الانفصال موقف اللامبالاة ، ويعزى الى
الجنرال زياد الحريري أنه هو الذي وضع خطة الانقلاب العسكري
مع اثنين من الضباط غير المنتمين الى أية أحزاب سياسية وهما :
رشيد قطيني رئيس الاستخبارات العسكرية ، ومحمد الصونى
M-al-Sufi عضو القيادة العامة ، حيث انه خطط للانقلاب
في ٧ مارس وأبلغ هذه الخطة - في سرية تامة - الى مختلف
الأحزاب السياسية التي تنادى بالقومية العربية . وزعماء البعث
وبعض الشخصيات الأخرى .

ولكن قبيل تنفيذ الخطة — وفي آخر لحظة — انسحب كل من الضابطون : رشيد قطيني ، ومحمد الصوفي ، بحجة أن كلمة السر تسربت الى الحكومة ومن ثم فان السياسيين الوجوديين هم الذين أبلغوا بإلغاء خطة الانقلاب . الا أن زياد الحريري قرر أن يقوم بتنفيذ الخطة الموضوعة في موعدها وعلى مسؤوليته الشخصية .

ففي ٨ مارس قام الجنرال زياد الحريري بإبلاغ حزب البعث بهذا الاجراء ، وضمن بذلك مساعدة بعض الضباط له في تنفيذ هذه الخطة ، ولم يقل شيئا للأحزاب الأخرى ، ربما بدافع الخوف من وجود صلات بين هذه الأحزاب والجيش .

وهكذا ففي ٨ مارس عندما وقع الانقلاب العسكري ، سارع أعضاء حزب البعث للاجتماع منتهزين هذه الفرصة ، واتخذوا قرارا باستدعاء صلاح الدين البيطار ، وزعماء حزب البعث لكي يشكلوا حكومة ، وسارعوا بإيقاظ كل من : قطيني وصوفي من نومهما لينصبوا الأول وزيرا للدفاع والآخر نائبا لرئيس الحكومة .

١ — النظام السوري الجديد :

لقد بحث الضباط الضالعون بعبء الانقلاب العسكري عن شخصية ملائمة ذات منزلة رفيعة لترأس مجلسهم الثوري ، واستقر رأيهم على رجل شاب معتدل السلوك ومناسب للموقف ، انه الكولونيل لؤي الأتاسي ، وكان قد أمضى من قبل خمس سنوات كملحق عسكري في مصر ، وبعدها أمضى معظم أيام الوحدة المصرية السورية في وحدة عسكرية بالاسكندرية ثم قام برحلة قصيرة الى سفارة الجمهورية العربية المتحدة بموسكو وعاد

بعدها الى سوريا في أكتوبر عام ١٩٦١ ، وكان له دور مهم في ثورة الجبش التي حدثت في شهر مارس التالي عام ١٩٦١ خاصة في مدينة حلب ، ولهذا أودع السجن بلا محاكمة ، ووضع في سجن المزة حتى حدوث انقلاب ٨ مارس عام ١٩٦٣ ، وعندئذ استدعى من السجن وانتخب رئيسا لمجلس قيادة الثورة الوطني ، ولو أنه لم يكن بعثيا ، فقد كان له رفاق عديدون في حزب البعث الناطفون معه .

وببدو أنه أختبر لهذا المنصب لكي يقود مجلس قيادة الثورة الوطني لا من أجل صلاته بالحزب ، ولكن لانتسابه احترام كل فصائل الجيش نظرا لتصرفه الحكيم في حلب أثناء أحداث مارس عام ١٩٦١ .

ومن الغريب أن رجلا آخر مثل أمين الحافظ عضو مجلس قيادة الثورة ، وقائد اللواء ، لم يكن من الناحية الرسمية بعثيا ولكن بالنسبة لحالة الاتاسي ، فقد أسند اليه هذ المناصب من أجل سمعته الشخصية التي تتسم بالأمانة والاستقامة ثم كفاءة عسكري في دير الزور ، ثم معلم في الكلية العسكرية ، ثم نقيب حكومة الانفصال وأحقته بوظيفة المحقق العسكري السوري في « بيونس آيرس » وقد كان أمين الحافظ شخصية أكثر ذكاء كما أنه يتصف بالحزم والحسم ، وسوف تتطور الأحداث سريعا ليصبح دكتاتور سوريا .

لقد تكونت وزارة البطار من أغلبية بعثية ، ولكن خصصت نصف مناصبها للمستقلين والأعداء البارزين للمنظمات الوجودية العربية الأخرى الذين أبلغوا بالانقلاب ، ويعتقد أنهم أبلغوا أيضا بوقف العملية ، ولكن في نهاية الأمر دعوا الى الانضمام للحكومة وهم : نهاد القاسم من الجبهة العربية المتحدة الذي صار نائبا لرئيس الوزراء ، وسامي الصوفاني من حركة الوحدة الاشتراكية ، وهاني الهندي ، وجهاد ضاحي من الحركة الوطنية العربية .

وعلى المستوى المردى نكل من هذه الأحزاب الثلاثة كان من السهل أن يتنوق عليها حزب البعث فى القوة التنظيمية ، والمتابعة العسكرية ، والشهرة العامة ، كان زعماءها من غير المشهورين نسبيا ، فلقد قام نهاد القاسم بمهام منصب وزير العدل فى سوريا خلال فترة سنوات الوحدة ، و لكن لم يكن له دور بذكر بعد ذلك .

لقد كانت الحركة الوطنية العربية تتألف فى جزء كبير منها من طلبة الجامعات ، وشباب الخريجين ، وبصفة خاصة من طلبة الجامعة الأمريكية ببيروت (كما فى حالة همدى) ، حيث كان أول ظهور للمنظمة الى حزب الوجود . لقد كان لحركة القومية العربية ميزة ، انها منظمة على نطاق واسع وفى وحدات ليست مكتظة بالسكان وشبه سرية فى أنحاء مدن لبنان وسوريا والأردن والعراق ، وبحالة يمكن مقارنتها بنلك الخاصة بحزب البعث ، وخلال الوحدة عندما تغلب البعث على العلاقات المتوترة مع عبد الناصر ، اكتسبت حركة القومية العربية شهرة لأنها أكر المؤيدين ولاء لمبادئ عبد الناصر (أو أدوات نى عدون البعث) ومن ناحية أخرى طورت المقاومة العربية نفسها بالاهتمام قليلا بالانتماءات أو أية أيديولوجية أخرى ، ومن الوحدة العربية نفسها .

لقد كان انجاه عبد الناصر نفسه الى اليسار عام ١٩٦١ ، وكان للسرعة المتناهية لضميره المذهبى بعد ذلك الوقت ، وقد ترك كثيرا من أعضاء حركة القومية العربية الى الوراء بعيدا ، وفى أواخر عام ١٩٦٤ كانت سببا لبعض المناظرات داخل صفوف الحركة ، نالى أى مدى يجب أن ينساقوا وراء الزعيم فى هذا المجال .

ومن بين الأحزاب اللابعية الثلاثة ، كان لحركة الوحدة الاشتراكية لسمى صوفان أكبر عضوية ، حيث يتألف من

الأعضاء السابقين لحزب البعث نفسه ، والذي انشق بعد شهر سبتمبر عام ١٩٦١ احتجاجاً على توقيع الحوراني والبيطار على بيان الانفصال ، ورغم هذا الميراث من المشاعر الضعيفة في مارس ١٩٦٣ كانوا من المحتمل أكثر تعاطفاً للتعاون مع حزب البعث . لقد طرد أكرم الحوراني من الحزب ، ومن المعلوم أن صلاح البيطار ندم على توقيعه على بيان الانفصال ، ولكن سرعان ما فقدت تلك الواقعة أهميتها ، وأصبح البعثيون مرة أخرى أبطال الوحدة العربية ، وقد ظهر أن الايديولوجية الموجهة التي شاركوا فيها مع حركة الوحدة الاشتراكية كانت بصفة عامة مبشرة بتعاون مجدد ، ولكن المعاملات بينهما لم تكن على قدم المساواة ، فحزب من السوريين لا يعترفون بحركة الوحدة الاشتراكية ، وخاصة سامي صوفان ، وكان ميشيل عفلق ، وصلاح الدين البيطار بينان شهرتهما وحركتهما لمدة عشرين عاماً ، ولو أن هذه الأحزاب الثلاثة كانت على المستوى الفردي لها تقدير ثانوي فلا يمكن ادراك أن البعث بطريقة جماعية كان سيبدأ مدته في الحكم بتجاهلهم ، وهناك سبب آخر قد ألحنا اليه من قبل .

ان فيلق الضباط لم يكن كلية من أعضاء حزب البعث ، ولا من الضباط الذين لهم نفوذ واتجاه سياسي ، ولا من الضباط الذين ساهموا في حركة الانفصال عام ١٩٦١ ، اذ من المؤكد أن الضباط غير البعثيين كانوا ناصريين أو غير ذلك ، فهذه الحكومة التي تشكلت في ٨ مارس لم تكن سوى ائتلاف يمكنها أن تقدم أي تأكيد لوقف حركة التطهير أو التنقلات بين فصائل الجيش ، وكان أجل مطمح يمكن أن تحققه هذه الحكومة هو التعامل مع الرئيس عبد الناصر ، وهو الهدف الأول لهذا الانقلاب وأن يجعل الوحدة العربية هي المطلب الأوحد ، وأيضاً تلاحم الثورة السورية مع الثورة العراقية ، فان مثل هذا التلاحم يؤدي الى تبلور فكرة الوحدة

العربية ، ويصبح من اليسر على حزبي البعث السوري والعراقي أن يتفاوضا معا بشأن الوحدة العربية ، ولابد من مجابهة عبد الناصر بشأن قيام الوحدة العربية تكفيرا لهما عن جريمة الانفصال عام ١٩٦١ .

ان الوحدة العراقية السورية بدون الالتجاء الى المصريين تعد - في نظر العرب الودويين - وحدة غير شرعية ، وستكون عرضة للانتقاد والمنافقات الى الأبد من جانب المصريين ، فمن الناحية العملية أظهرت الوحدة من عام ١٩٥٨ الى عام ١٩٦١ أن شخصية عبد الناصر أظهرت كفاءتها ، وأنه بدون شخصه لا يمكن أن تقوم وحدة عربية سليمة ، كما أثبتت فترة ما بعد الانفصال أنه بدون تسامح عبد الناصر لا يمكن تحقيق أى عمل ايجابي . وعلى أية حال فإنه بحكم اتجاهاتهم المذهبية كان لابد أن تؤدي بهم الى اعادة فتح موضوع الوحدة المصرية السورية ، وفي هذا الوقت كان الأمل بساورةم بالمساهمة مع العراق لصالحهم ولو اضطروا الى التعامل مع الرئيس عبد الناصر ، فمن الضروري التعامل مع أنساعهم السوريين كدليل لاختلاصهم ، أو اشارة الى مدى تقديريهم واحترامهم تجاه شخصية عبد الناصر الزعيم المصري الذي ظل متبسكا بوبادئه وسياسته ، وكان يأمل أن تعود سوريا رغم اريكابها لجريئة الانفصال ١٩٦١ الى رشدها وعقلها وتسير في ركاب الوحدة العربية (*) .

وهكذا فإن البعث برغم شهرته وقوته المذهبية كان لابد أن يركز على الشؤون العربية . وتبل أن تستقر الأمور في دمشق ،

(*) لمزيد من التفصيل انظر حديث عبد الناصر الى مجلة « كل شيء » اللبنانية في ١٣/٥/١٩٦٢ . خطاب ونصريحات عبد الناصر ، ج ٢ ص ٣١ .
(المترجم)

٢ - محادثات الوحدة عام ١٩٦٣ :

كان مجال مناقشات الوحدة بالقاهرة^(١) خلال شهرى مارس وأبريل عام ١٩٦٣ . وهذه المناقشات نشرتها السلطات المصرية فيما بعد وهى تعد وثيقة سياسية رائعة ولها أهمية من الدرجة الأولى للمهتمين بالشئون العربية ، وقد عقدت هذه المحادثات غير الرسمية والتي كانت تناقش بطريقة واضحة الوحدة الفيدرالية التى تمت من قبل بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ، وجرت معظم هذه المناقشات - غير الرسمية - بين الرئيس عبد الناصر وزعماء حزب البعث السورى ، وهم : ميشيل عفلق ، صلاح الدين البطار ، وعبدالكريم زهور ، وتضمنت هذه المحادثات عتبا خاصا بين الطرفين خلال سنوات الوحدة ١٩٥٨/١٩٦١ ونشرها كاملا للموقف السورى فى الوقت الراهن ، وموقفهم الأيدبولوجى بالنسبة لمسائل الديمقراطية والاشتراكية ، ومنظمة الحزب ، واهتمت هذه المحادثات أيضا بالقاء الضوء على شخصيات هؤلاء المشتركين فى الحكم الآن ، وكان طبعيا أن تكشف هذه المحادثات المتأنية عن مغزى ومنهج وهدف هذه المفاوضات التى يمكن أن نصفها بأنها بمثابة محضر تحقيق أكثر منها مفاوضات .

ولقد عُدَّت هذه المحادثات على ثلاث مراحل :

— خبسة اجتماعات سورية مصرية عراقية خلال المدة من ١٤ الى ١٦ مارس ١٩٦٣ .

(١) نص المحادثات طبع فى الاهرام ، وأذيع باذاعة القاهرة من ٢١ يونية الى ٢٢ يوليو ١٩٦٣ ، ونشرت هذه المحادثات فيما بعد فى كتاب بعنوان « محضر جلسات الوحدة » وأذيت الترجمة فى إذاعة راديو القاهرة ، وأتيح لى الحصول على ملخص لها فى الإذاعة البريطانية ، كما يوجد ملخص للجزء الرابع بالجامعة الأمريكية ، الوثائق السياسية العربية - بيروت عام ١٩٦٧ .

— خمسة اجتماعات ثنائية بين سوريا ومصر يومي ١٩ و ٢٠ مارس ١٩٦٣ .

— وأخيرا عشرة اجتماعات من ٦ الى ١٦ أبريل ، وكان أول جلستين بين مصر وسوريا فقط ، والتماني الجاسات الباقية كانت ثلاثية : مصر وسوريا والعراق .

● **الجزء الأول :** خاص بالشكاوى التي كانت بين عبد الناصر وحزب البعث السوري حتى ٧ أبريل .

● **الجزء الثاني :** المفاوضات الثلاثية للوحدة الفيدرالية من ٧ الى ١٤ أبريل وبوجود اثنين من زعماء حزب البعث العراقي : على صالح السعدي ، والحسين شبيب ، فتمت الجلسة الأولى من تلك المحادثات تركزت على موقف سوريا وتدخل العراق بين الطرفين المتحاذين لتحاز الى جانب موقف وسياسة حزب البعث السوري .

ان درجة الدقة في تسجيل نص هذه المحادثات — تم نشرها — لم تكن دقيقة بالدرجة المطلوبة ، ونتيجة لذلك فقد ادعى السوريون ان المصريين قد عالجوا النص بطريقة تبدو بها آراء عبد الناصر واضحة مؤكدة في عرضها ، بينما تبدو البيانات السورية مبتورة ، مشوهة ، حتى ان المرء يستطيع ان يتخيل ان هذه المحادثات كانت بمثابة مناظرة بين اثنين من الصم (٢) .

وقد لاحظ العراقيون أيضا عدم دقة تسجيل بعض الصفحات زاعمين ان هناك اختلافات واضحة فضلا عن بتر أجزاء من هذه المحادثات ، ورغم أن وفد العراق حاول النظر الى هذه المسألة ،

(٢) لمزيد من التلميذات راجع صحيفة البعث في ٤ يونيو ١٩٦٣ .

فى أول لقاء ، وعند اكتشاف أن المحادثات غير دقيقة فى تسجيلها ، فقد حرصوا على تأكيد (هكذا قالوا فيما بعد) أنه سيتم تسليمهم نسخة من نص المحادثات بانتظام لبدء ملاحظاتهم على هذا التسجيل ، ولأن فى واقع الأمر لم يتم شىء من هذا .

وحدث صلاح الدين البطار للمؤلف بصفة قاطعة ، أن الجولة الثانية من المحادثات التى كان منها التسجيل الذى نشر بمعرفة ميشيل عفلق ، دقيقة رديئة غير واضحة ، كما لم تكن هناك سكرتارية لتدوين الملاحظات ، وعندئذ النصوص المسجلة ، ولهذا فقد رأى لؤى الأسدي أن يحضر معه سكرتارية خاصة فى الجولتين : الثانية والثالثة من هذه المحادثات ، ورغم هذا فمن المحتمل أن التمسك بهذه الحقيقة ، ويلاحظ أيضا أن النص المذاع كتاب مكتوب ، وقد " صالح البطار للمؤلف : أنه لم يقرأ النص المنشور أبدا ، وبعد زوال كل دن البطار ، وطالب بسبب بصفة خاصة ، تم تسجيل المحادثات بكل تفصيل ، فى مراحلها المختلفة .. واستنتج المؤلف أن جزءا كبيرا على الأقل من التسجيل الذى تم نشره دقيق بصفة عامة ، ولهذا فإن الصيغة المضبوطة للاقتباس فى أى فقرة (وردت فى ثلث هذا الكتاب) يجب أن ينظر إليها بحذر ، ومع هذا التحفظ ، فإننا نتبع مراحل المناقشات التى جرت فى القاهرة .

٢ - الاجتماعات السورية المصرية العراقية :

فى الاجتماع الانتخابى ، تخلص عبد الناصر من الحرص الخاص بحزب البعث السوري والعراقى ، وعرض أعضاء الوفدين على عبد الناصر قيام وحدة عربية شاملة وفورية وطلبوا منه إبداء شروطه . فرد عبد الناصر بثأثر شديد بقوله :

((أنه ليس في عجلة من أمره ، ومن الواجب عليكم ان تترثوا قليلا حتى أحصل على اجابة نامة عن كل تساؤلاتي من الفريق السوري ، اذ من الضروري تصفية الموقف مع الوفد السوري ، ويعدّها يرى الانسان ما يجب عمله)) .

لقد كان عبد الناصر على استعداد تام لقبول فكرة قيام وحدة أخرى مع ممثلي الحكومة السورية ، ولكن الأمور ليست بهذه البساطة ، خاصة مع أعضاء حزب البعث ، الذين فقد فيهم كل ذقة ، اذ لابد من فحص سجل الوحدة السابقة ، ماذا كانت دروسها المستفادة ؟ ومن الذي يحكم سوريا الآن ؟ ومع من يتفاوض الآن ؟ وما هي وجهات نظر أعضاء حزب البعث في تنظيم برنامج وحدة المستقبل ؟ وقال عبد الناصر : « اننا سنخبركم بشكوانا وستخبرونا بشكواكم ، سوف نمارس نقد الذات ، سوف نشرح لكم ايدولوجيتنا ، وأنتم ستشرحون لنا ايدولوجيتكم ، وبعد ذلك سنقرر مقترحاتنا فيما يتعلق بالمستقبل وما يجب عمله » .

في واقع الأمر ، لقد وضع الرئيس عبد الناصر هذه الأسئلة ، كحمل ثقيل على كاهل وكرامة حزب البعث ، واتضح للوفد السوري الموجود في القاهرة كنبر من الأمور ، وان كان هذا الوفد يفضل المثل القائل :

« عفا الله عما سلف » أما بالنسبة للرئيس عبد الناصر فقد لخص وجهة نظره بقوله :

((انه ينظر الى الأداء السابق لحزب البعث بالمخادعة والانتهازية ، وادعى هذا الحزب أن الاسـتـثـقـالة الجماعية لوزراء حزب البعث في ديسمبر عام ١٩٥٩ وكأنها انسحاب من الوحدة نفسها انها جريمة وطعنة في الظهر ، وأنه يتوقع كل من اكرم الحوراني وصالح الدين البطار على بيان

الانفصال ، وكأنها وقعا على ترخيص (بوفاة الوحدة)
وأكثر من ذلك فقد فقد ساوره الشك أن البعثيين رغم ادعاءاتهم
الفكرية ، فإنهم مبادئهم الأيديولوجية ولا تزيد على شهوة
شديدة للسيطرة . »

وهكذا كان الرئيس عبد الناصر وافسحا تماما منذ البداية ،
ويمكن أن يبدأ المفاوضات إذا ما اعترف حزب البعث في سوريا
بأخطاء الماضي (والامر موجه أيضا الى وفد العراق) ويتطلع الجميع
الى «ميثاق العمل الوطنى» الذى كثر الكلام عنه فى مصر ،
وينظرون الى التجربة المصرية من أجل تحقيق آمالهم ، ولو اعترف
حزب البعث فى سوريا بأخطاء الماضي فإنهم بهذا سببهم طريق
التجربة المصرية الرائدة فى التخطيط من أجل المستقبل ، ويجب
أن يكون حزب البعث السورى كتابع لعبد الناصر ، وبهذا يمكن
حل كثير من المسائل الغامضة (٣) .

وفى بداية الحادثات ، كان المتحدون السورىون مع
عبد الناصر ، فى ظروف سيئة للغاية ، ففى بادىء الامر تقابل نفر
منهم مع الرئيس عبد الناصر هم : نهاد القاسم الذى يعتبر رجل
عبد الناصر ، وممثل حزب البعث ، وكذلك زهور ، وهو مدرس
سابق ومحرر بجريدة البعث وقد ظهر مؤخرا لبشغل مكانة فى
قيادات حزب البعث السورى ، ولو أنه كان عضوا فى البرلمان
السورى خلال الفترة من ١٩٥٢ الى ١٩٥٨ ، تنقصه الخبرة كوزير
ومفاوض .

أما الحاضرون الآخرون فكانوا ضباطا فى الجيش السورى
جهولى الهوية ، وقفوا ابان الوحدة فى هلع من شخصية

(٣) محاضر جلسات الوحدة ، ص ١٢ ، ١٣ .

عبد الناصر الاولمبية وبجواره المشير عبد الحكيم عامر ، وكذلك الرسميون المصريون الواقفون بجوار عبد الناصر ، ولم يكن أحد من السوريين في وضع يؤهله للرد على هجوم عبد الناصر ، أو الوقوف أمامه وقفة الذل للند ، إذ كان بالنسبة لهم « السيد الرئيس صاحب السعادة » وكان هو بناديبهم بأسمائهم مجردة (٤) .

ولم يتمكن السوريون بأية حال من التفوه بشكواهم ، وشعر الضباط بانعدام الثقة في أنفسهم بمن فيهم « زهور » برغم مرعته ، لقد قال الجنرال القطاني Qutayni : « إن كل ضابط مصري في سوريا — أثناء سنوات الوحدة — كان يتصرف كأنه جمال عبد الناصر ، وشعر الضباط السوريون حينذاك بانتهاب وضعف معنوياتهم لدرجة أنه في ٢٨ سبتمبر عام ١٩٦١ لم يكن لديهم أي حافز لمعارضة « حركة الانفصال » وقد زعم زهور بدوره أن أعضاء حزب البعث شعروا باهانة بالغة ، وأن إحلال « منظمة الوحدة القومية » للأحزاب السياسية ، خلق غراغا للنشطاء السياسيين الذي خطا اليه الانفصاليون ، واستمر قائلا :

أما بالنسبة لما يفهمه الحزب عن الحربة والاشتراكية والوحدة، فإن الحزب فخور أنه بعد ١٥ عاما أصبحت هذه الشعارات الآن ملكا للأمة العربية كلها (مشيرا بالتلميح أن عبد الناصر نفسه نقل مفاهيمه من حزب البعث) حقا لقد قرأنا ميثاق الجمهورية العربية المتحدة ، وتوافق على معظم ما جاء به من آراء وأفكار ، ولكن الميثاق ليس عملا مهما ، فالأهم هو تنظيم الاتحاد الاشتراكي العربي ، وأننا في انتظار النتائج (٥) .

(٤) تم تصحيح هذه الأسماء في هذه الطبعة .

(٥) محاضر جلسات الوحدة ص ١١ .

كانت هناك ملاحظات نهيدية ، وفي اليوم التالي تجاور زهور
حدا بعدا وبطريقة واضحة ضاقت عبد الناصر ، وأكد أن المشكلة
الحقيقية للوحدة السابقة كما زعم أنه بينما كانت الحركات الثورية
في سوريا ، والممثلة في حزب البعث من الشعب ، لم تكن النورة
في مصر لها أرضية شعبية أصيلة ، ولهذا فرضت مصر سلطاتها
من أعلى وذلك بالغاء الأحزاب السورية ، وما ترتب على ذلك من
فرض النظم الاستبدادية في سوريا ، وأكثر من ذلك فمصر على
النقيض من ذلك حدث أن مصر لديها بيروقراطية متطورة فرضت
فرضا على الجيش السوري وهناك وزراء مدنيون لا يستطيعون
التكف مع احتياجات المواثف المحلية (٦) .

كان هناك شعور بأن الحكومة المصرية تبحث دائما عن عملاء
سريين في سوريا ، في وقت لم تهتم فيه بالتعامل مع السوريين ،
وكونها تعتمد على خدمة سرية فقط بعد شبرا خطيرا جدا
لأن هذه الخدمة (من المفروض) أنها قوة تساعد المنظمات
الشعبية ، ولأن هذه المنظمات غير موجودة ، فإن الخدمة أصبحت
مبسطة ، والفتنة كانت قليلة في نفوس السوريين ، ويرجع هذا
في الحقيقة الى أن السلطات في الجمهورية العربية المتحدة ،
كانت تتعامل أولا مع البيروقراطيين والسياسيين تحت ظروف
غير ثورية مناسبة ، وهم عادة ما يكونون منافقين ، كما أن
السياسيين انتهازيون .

لقد كان ذلك كبيرا بالنسبة لعبد الناصر ، لقد أنكر أنه خلال
واحد وعشرين عاما من النشاط الثوري ، قد اعتمد في يوم ما على
عملاء ، لقد كان هذا نوعا من الأكاذيب التي وجهت مباشرة ضد

(٦) المرجع السابق ذكره ص ٢٣ .

الجمهورية العربية المتحدة منذ أيامها الأولى ، وبهدف تدمير الوحدة ، ومازال عبد الناصر يرد على زهور وكان يتحدث بانفعال شديد قائلا : « أود أن نذكروا لى اسما واحدا كان يعمل فى سوريا كعميل لنا ! اذكروا واحدا !! » .

واضطر السعدى أن يذكر خمسة أسماء على الفور ، كما بادر نهاد الجاسم بالهجوم مدعيا أن زهور كان واحدا من أدوات اللعبة لعبد الناصر ، ورد زهور بانفعال شديد أنه ينكر هذا الاتهام !! (٧) وهكذا هاجم السوريون بعضهم بعضا .

عند هذا الحد من الجدل والنقاش تساءل عبد الناصر ، من يحكم سوريا ؟ ورد عليه القطاني بأن هناك مجلسا يتكون من عشرة من العسكريين وعشرة مدنيين وأن هذا المجلس بهذا التشكيل مسئول عن التشريع والتخطيط السياسى . فرد عليه عبد الناصر بأن هذا لم يحدث اطلاقا مارشد قطاني ؟! قدم لى التفاصيل على صحة هذا الادعاء ، وهنا تلغثم القطاني محاولا التملص من الموقف .

قال عبد الناصر : « أريد أن أعرف من هم الذين فى هذا المجلس الذى أسمى الآن ؟ ومع من سوف أوقع الوحدة ؟ أم أنتى

(٧) عبيد ص ٢٨ - ٣٠ زعم أحد البعثيين الذين شاركوا فى حادث الانفصال ذكروا للمؤلف : أن عددا من التفاصيل المخرجه استجلبت من هذا القسم فى النسخة الأصلية للناشرين المصريين ، احداها اعتراف عبد الناصر فى الحقيقة الى ماجير مؤيدى له من بين محررى الصحف والمجلات اللبنانية ، كما قام بمساعدة ١٧ منهم بتقديم مساعدات مالية لهم ، وتقطه أخرى اثارها السعدى زاعما أن فى المحادثات غير الرسمية - بعد الانفصال - وهذه النقطة تحسن الوزير العراقى البعثى « فؤاد الركابى » الذى اهتمته العراق بأنه استولى على مبلغ ٢٠ ألف جنيه محبى يزعم أنها اعانة مقدمة للحزب .

اتعامل مع الانسحاب ؟ وكان عبد الناصر يتحدث بطريقة عصبية شديدة » .

ومرة أخرى « همهم » رشيد تطناني بكلام غير مفهوم ، وحديث غير مترابط وبرغم هذا أصر عبد الناصر على معرفة أسماء المجلس الثوري الوطني ؟

وانبرى الضابط عهد الشاعر قائلا : هذا الشعب العربي في سوريا ، وكذلك الجيش العربي في سوريا . . نحن هنا نيابة عنهم .

وهنا قاطعه المشير عبد الحكيم عامر قائلا : « حسنا ألا يوجد أحد يمثل هؤلاء : الجيش والشعب ؟ » .

وهنا تدخل الحريري قائلا : حقيقة حاولنا أن نخفي هذا الأمر ، وتظل الأسماء سرا ، لكي تبقى الزعامة « جماعية » ، ولكي لا ينهك الناس في الجدل ، والفيل والقال حول ما يدور في هذه الاجتماعات ، ولكن لاداعي للف والدوران ويمكن اعتبار القائد العام للجيش ، ووزير الدفاع ورئيس الهيئة بجانب الرتب العسكرية الأخرى .

وأخبرا استمع عبد الناصر الى ذكر عشرة أسماء ذكرت له ببطء شديد ولم يكن من بينهم الأعضاء المدنيون .

واقترح الجاسم المناقشة بانفعال شديد ، منتقدا سيطرة حزب البعث على مجلس الوزراء المرتقب . وقال : قد يبدو الأمر غريبا بأن تتظاهر القوى الوطنية الأخرى بأنها لم تكن ممثلة في مجلس الثورة ، واننا لم نحضر الى هنا لمناقشة تشكيل المجلس الثوري ، أو مجلس الوزراء .

رهنّا اعترض « الشاعر » على حديث « الجاسم » ، ومن ثم بدأ الجدل بينهما باحتدام شديد بين السوريين ، مما دفع عبد الناصر الى التدخل فى الحديث ، مكررا كلامه بعدم الثقة فى حزب البعث ومخاوفه من نظرية « المطرقة والسندان » ولم يكن واحد فى هذا الوفد بعثيا ، هكذا رد الشاعر على عبد الناصر كنوع من المخادعة ، مع ملاحظة أنه شخصيا من مؤيدى حزب البعث ، ولذلك ظهر على وجه عبد الناصر عبور بأنه لم يصدقته فى هذا الادعاء . . لأنه أبدى شكواه من قبل ، من الحزبية المعارضة المستمرة فى الجيش السورى ، غلو أن من بين ٢٠ عضوا فى مجلس قيادة الثورة الوطنى ، ١١ عضوا بعثيا ، فانهم يستطيعون أن يسيطروا على الأمور ، وهذا أمر مرفوض بالنسبة لعبد الناصر .

وحاول البعثيون : عبد الكريم زهور ، و شبيب ، وصالح المسعدى أن يؤكدوا دون جدوى نياتهم المخلصّة فى مدى التصاقهم ، وتمسكهم بشخصية عبد الناصر ومنهجه ، وسياسته بغض النظر عن نوع الأغلبية فى المجلس النورى الا أن شبيب أصر على أن ارادة التعاون من كل الأحزاب هو الأمر المهم بدون أى تمثيل للحكومة السورية على الاطلاق ، فان حزب البعث كان يمكنه أن يحجب أعمال الوحدة بين مصر وسوريا ، كما أن رئاسة الحزب فى دمشق يمكنها أن تحرض حزب البعث العراقى ضد عبد الناصر أيضا ، ولكن مثل هذه الأفكار المدمرة ، وتلك الشرور التى عانى منها عبد الناصر من قبل خاصة من حزب البعث ، قد اختفت تماما مع رحيل أكرم الحورانى وأنصاره من حزب البعث .

وقد تكلم شبيب قائلا : ان أملى فى النشاط السياسى مازال قائما على تبادل وجهات النظر ، وانى سوف أعصفق باسمى

التخصي كبتى ، لو كان من طبيعتى أن استنل الحالة الراهنة من أجل مناورة سياسية لكى أفرض وجهة نظرى على الجمهورية العربية المتحدة بين سوريا والعراق ، لقد نرينا على الخلق الكريم ، اننا لم نكن سياسيين بمعناها الكلاسيكى لنكون من المفسدين .

وقاطعه السعدى بقوله : ان الرئيس عبد الناصر مازال بنفر من حزب البعث الى أقصى حد .

ونظرا لحرص عبد الناصر على ضرورة تصفية حسابات الماضى ، فقد استمر النقاش طويلا ، وكان الوفد السورى فى موقف المدافع ، ولم يكن بنوقع أن الرئيس عبد الناصر يهتم كثيرا بصفحة الماضى عقب حادث الانفصال .

وفى الجلسة الرابعة تابع عبد الناصر الحديث بتكتيك خاص ، فإن كان ذلك على حساب عبد الكريم زهور ، اذ بدأ عبد الناصر حديثه بانهام السوريين بالمخادعة ، فبالأمس أخبروه : أن الأعضاء المدنيين فى مجلس قيادة الثورة الوطنى السورى لم يتم اختيارهم ، ولكنه فى اجتماع خاص — فيها بعد — أشار عبد الكريم زهور أنه تم اختيارهم بالفعل ، وأعطانى قائمة بأسمائهم .

واحتج عبد الكريم زهور بانفعال شديد قائلا : انه أسىء فهمه وان شيئا ما لم يتقرر ، وان ما ذكره كان مجرد تخمين فيمن يكون من الأعضاء المدنيين ، وعندما كرر عبد الناصر الانهام تضايقا عبد الكريم زهور وقال :

سبى الرئيس : حقيقة لا أعتقد أن المرء يجب أن ينقض — منتهزا الفرصة — على ملاحظات الشخص الآخر ، وعندئذ غضب عبد الناصر بشدة من أن يحادنه أحد بهتل هذه الوقاحة !!

وانهال على عبد الكريم زهور بالتوبيخ الشديد كأنه تلميذ فى مدرسة !!

— ناصر : يا عبد الكريم .. أما لا أتقضى على ملاحظات أحد .

— عبد الكريم زهور : معذرة سيدى الرئيس لم أكن أقصد ذلك مطلقا ..

— ناصر : اننا هنا لازالة سوء التفاهم ، ونكون صرحاء تما ما مع بعضنا .. ولا تدع اننى أنقض على ملاحظاتك ، وهذه الطريقة معيبة جدا فى الكلام .. ببساطة أرخص قبولها .. لقد قبلت ملاحظاتك بالأمس حول موضوع عملائنا فى سوريا ؟! ولا بد أن يكون هناك مبدأ نلتزم به ، ولكن لست هنا لكى أنتقدك باستمرار لقد سمعت ما قلته لى بالأمس ونقله الى زملائى .. وكونا استنتاجات ... هل نتوقع منى أنى لا أخبر زملائى ؟!

— عبد الكريم زهور : بالطبع لا ..

— ناصر : عندئذ كيف تفهم أنى أنتقدك .. وأسىء فهم ملاحظاتك ؟

— عبد الكريم زهور : سيدى الرئيس لقد قلت ذلك ، ولكنى ثم أكن أعرف ...

— ناصر : اذا لم أذكر الموضوع الآن فلن أكون مخلصا تماما نحو الوحدة . أنا أرحب بكل أنواع نقد الذات .. ولكن ملاحظاتك تجاوزت هذا الحد ..

— عبد الكريم زهور : ربما ..

— ناصر : يمكننى أن أرحب بأى قدر من نقد الذات .. وهذا لا يضايقنى على أقل تقدير .

واستمررت الرهبة ، وتوتر الموقف لبعض الوقت ، الى أن
تقبل عبد الناصر اخيرا اعتذارات عبد الكريم زهور .

ووجهة نظر عبد الناصر في نقد الذات تبدو الى حد ما من
جانب واحد ، وفيما بعد كان عليه أن يوجه حديثا استفزازيا الى
كل من : ميشال عفلق ، وصالح البيطار ، أكثر مما قاله
لعبد الكريم زهور ، ويتعجب الانسان ما هو نوع جو التفاهم الذي
كان يأمل عبد الناصر أن يقيمه في هذا الموقف المشحون بالغضب
والتوتر ؟ ومع ذلك قال أعضاء حزب البعث السوري أنهم قدموا
للقاهرة كمقدمي عرائض .. لاقامة الوحدة ..

وفي وسط هذا الجو المتوتر اختلق شبيب ملاحظة حساسة ،
هي التي أشارت الى مدى سخف شكوى عبد الناصر — في بادئ
الأمر — ولكن عبد الناصر لم يبال بها .

— شبيب : لكن سيدي الرئيس ... لو أراد عبد الكريم
زهور حقيقة أن يتآمر ، فإنه لن يخبرك بذلك .
— زهور : لقد ذكرت كل مناقشاتي لك ..

— عبد الناصر : رأيت من الأفضل ذكر كل ذلك أمامك ،
بدلا من ذكره خلف ظهرك ، لقد قدمت الى هنا لكي تتآمر !؟

وأخيرا بعد هذه الواقعة افتتح عبد الناصر النقاش
حول مسألة تكوين وحدة ، يحتل بدء التفاوض حولها ، ولكن في
الحقيقة كانت مناورة سببولوجية تمهيدية محسوبة لاختبار
ردود فعل زواره الممثلين في هذا الوفد ويذكرهم بأن هذه فرصة
متاحة أمامهم ، واقتراح عبد الناصر أن تتكون الوحدة على
مرحلتين :

— المرحلة الأولى : تكون الوحدة بين مصر وسوريا لفترة اختبار لمدة أربعة أشهر .

— المرحلة الثانية : وفي حالة استتباب الأمور تكون الوحدة مع العراق كشريك ثالث .

ولكى يهدىء من روع هؤلاء السوريين ، اقترح عبد الناصر ، للذين اعتبروه دكتاتورا ، أنه على استعداد لقيام وحدة بين مصر وسوريا على أن يتنحى عبد الناصر جانبا بعيدا عن شئون هذه الوحدة .

وبدلا من ذلك لو أرادت سوريا أن تشمل الوحدة العراق لكى تتوازن مع مصر فتبدأ هذه الوحدة بين العراق وسوريا ، ثم انضمام مصر اليهما بعد ذلك .

كان يمكن التنبؤ بسهولة أن كلا من السوريين والعراقيين سيرفضون هذه الاقتراحات جملة وتفصيلا ، فان قيام وحدة سورية مصرية بدون عبد الناصر أمر لا يمكن التفكير فيه .

وقد أسرععت الوفود فى التملق لعبد الناصر لتكثر عن مواقف سابقة لها ، فأعلن عبد الكريم زهور قائلاً : الرئيس عبد الناصر ليس له حق الاختيار ولكن هذا هو قدره بأن يقود المسيرة لكى يتلقى كل سهام العدو ، وليكون سعيدا أم تعيسا ، فهذا أمر يقع على مسئولية الأمة العربية ولاشك أنه هو الشخص الذى فرض القدر عليه أن يتحمل مصير أمة فى مرحلة تاريخية ، فما عليه الا أن يشغل موقعه .

ان وحدة استهلاكية محدودة بين سوريا والعراق أمر لا يمكن قبوله أو مجرد التفكير فيه من كلا الطرفين ، واننا ننظر الى مصر — خلال مراحل تاريخنا — كنقطة مركزية للقومية العربية ، وربما

عبد الناصر لا يدرك شخصيا أن ثقل نفوذه وشخصيته ومنهجه وأبدولوجيته أمر لا يقدر بثمن ، لقد قدمت تلك الوفود العريقة والسورية الى القاهرة ليستعيدوا الثقة بأنفسهم وليسـبغوا الشرعية على ثورتهم ، وهذا بدون شك أمر مغيد لعبد الناصر بأن يدعمهم باستعيدون هذه الحفيظة مع أنفسهم .

ان وحدة سورية مصيرية ، بشكل مبدئي ، مع عبد الناصر وبدون العراق ، هذا أمر يضعف الثورتين (السورية والعراقية) ويضعف حزبي البعث في كلا البلدين ، ورفض الوفد السوري هذا الاتجاه ، على أساس أن الرأي العام لن يقبل هذا الاتجاه وكان الوفد السوري في أشد الاحتياج الى الاتحاد مع الوفد العراقي ، على أساس أن يتحد الوفدان مع عبد الناصر مهما كان الثمن الذي يدفعه الوفدان السوري والعراقي .

وقد أشار جاسم : لا شك أن مثل هذه الشكوك تحيط بالبعث وأن ازالة مثل هذه الشكوك أمر ممكن ، وأن جلستى اليوم بغرض اكتشاف طرق ووسائل ازالة هذه الشكوك ، واننا لا ننظر الى حزب البعث السوري كممثل لكل الشعب السوري .

ان عبد الناصر لم ينطق ببنت شفة ليشرح مبادئه ، كما لو كان حزب البعث يذكر أوراق اللعبة التي في حوزته ، لقد شرح بوضوح ملحوظ ما كان يحدث في الحقيقة . عندما ظهرت الوحدة الى الوجود عام ١٩٥٨ ، وجد البعث أنه لا يمكنه أن يتفق مع الجمهورية العربية المتحدة ، أو أية مجموعة وحدوية أخرى . . وستنسحب مصر من هذه الوحدة عند نهاية الأربعة الأشهر ، هذا ما أتوقع حدوثه ، الا أنني لا أوافق على مخاطرة ثانية بمحاولة أخرى ، وبالرغم من أن تحديد أربعة أشهر كفترة اختبار ، فان من المتوقع قبل نهاية هذه المهلة أن يبدأ حزب البعث مناوراته ،

مفترضاً أنه لن ينسحب ، ولكن سيحاول أن يقوى مركزه ووقفه في سوريا بمساعدة عدد كبير من العسكريين ، ففى هذه الحالة ستنسحب الجمهورية العربية المتحدة من هذه الوحدة ، وفى هذه الحالة بكل صراحة سأكون قلقاً على العراق ، وسيكون موقفها حرجاً .

وأضاف ناصر الى قوله : اننى لا أعتقد ان العراق سيكون فى موقف يتحمل نفس النكسة التى تحملناها فى عام ١٩٦١ ، اننى متأكد أننا لن نفتق ، وسوف ينسحب حزب البعث مرة أخرى ، ويكرر نفس الغلطة الاجرامية ، ولهذا نسرع ، ونهزول متلفين نحو الوحدة ، ونذفع بأنفسنا الى المتاعب ، تكون وحدة يتبعها انفصال ، ثم وحدة مرة أخرى وبعدها انفصال آخر ؟! ان المستقبل أمامنا طويل .. ويجب ان نمنقطف شعبنا الذى تنكر اخيراً لفكرة الوحدة ، لهذا وضعنا فترة انتقالية أربعة أشهر ربما خلالها نتوصل الى اتفاق أفضل بعد ان نستوعب الدرس الذى استفدناه من حادث الانفصال فى عام ١٩٦١ ولا ننفس فى نقد مخادع واقتراء لا أساس له من الصحة ، ولو قدر لهذه الوحدة أن تعيش لمدة أربعة أشهر ، فأعتقد أنها ستكون خطوة على الطريق السليم ، ولكن لو أن البعث السورى سينتهج سياسته القديمة فحينئذ سيحدث صدام حتمى .

لقد ترك عبد الناصر الموضوع بعد هذا الحديث مفتوحاً دون أن يحدد فكرة معينة ، ولو أنه فهم بكل وضوح لا يقبل الشك : ان معيار عبد الناصر للنجاح .. أثناء الفترة الانتقالية المحددة بأربعة أشهر كان يعنى تفيد حزب البعث الى دور محدود ، ووضع القوة فى يد أخرى . عندئذ سيواجه البعث العراقى مطمح الدخول فى وحدة بين مصر وسوريا « المطرقة والسندان »



٤ - الاجتماعات المصرية السورية :

كان عبد الناصر يرى ان ازمات ومعارك وحدة ١٩٥٨ لم يتم بحثها مع حزب البعث ، ومن ثم فلا يمكن التفاوض بشأن قيام وحدة جديدة لم تستكمل جوانب بحثها بعد . وكل ما جرى من مباحثات كانت مع عبد الكريم زهور فقط ، وهو فى واقع الامر شخصية ثانوية ظهرت على مسرح الأحداث خلال الأيام السابقة ، لان حزب البعث بالنسبة لعبد الناصر كان يعنى كلا من : صلاح الدين البيطار ، وميشيل عفلق بذاتها . وبناء على ذلك فهذان الرجلان ، بصحبة لؤى الاتاسى رئيس مجلس قيادة الثورة ، وبوجود نهد الشاعر ، هؤلاء حضروا الى القاهرة لمحادثات يومية ١٩ و ٢٠ مارس ١٩٦٣ .

ان المحادثات فى الجولة الثانية كانت فى واقع الامر تكرارا للجولة السابقة اذ كان الهدف الأساسى هو « تصفية الجو » وعرض كشف حساب بتفاصيل أكثر . اذ بدأ عبد الناصر يسرد خواطره بألم شديد عن أحداث الماضى ، وبأسلوب يرهب به مستمعيه ، وكرر مرات ومرات افتخاره الشديد للثقة فيهم كشركاء المستقبل .

وبطريقة منطقية تحدى عبد الناصر أيديولوجيتهم بأنها لا تحقق شيئا . وهذه المرة كان عبد الناصر يتحدث الى رجال أكبر منه سنا ، ولديهم القدرة على كبح جماح أنفسهم ضده ، رجال كانت لديهم الخبرة السياسية لسنين طويلة ، وكزماء لحزب سياسى قوى ، ومنهم ميشيل عفلق - بوجه خاص - الذى يحترمه شباب حزب البعث كنيلسوف للحزب . ويتمتع بفكر كبير من الشهرة كرجل مثقف وهو - فوق هذا - متحدث لبق ، وصاحب أفكار ووجهات نظر ، وأكثر من هذا ان الرجلين ثقيلان من قبل مع عبد الناصر عدة

مرات عامى ١٩٥٨ و ١٩٥٩ ويفترض أن يكون لديهما حاسة ما ، وبطريقة ايجابية فعالة عن كيفية التعامل مع عبد الناصر .

ان ما يمكن ملاحظته بصورة واضحة بالنسبة للمحادثات فى الجولة الثانية هذه ، أن عبد الناصر تعامل مع ميشيل علق وصلح البيطار بأسلوب عنيف أكثر مما تعامل به مع عبد الكريم زهور من قبل ، كان عبد الناصر فى موقفه واثقا من نفسه كل الثقة ، وهو دائما الموجه لدعة المناقشات حسب ترتيب انكاره ، كان عبد الناصر المدرك للبعد السيكولوجى للمشكلة ، صريحا .. قويا .. واضحا .. سريع البديهة فى تعبيره ، واختيار عباراته بدقة بالغة ، فتارة نراه جذابا .. وتارة أخرى نراه متفطرا ، وذلك تبعا للموقف ، حديثه متفق مع هدفه ، ولا يتردد فى بعض الاوقات ، أن بضايق أو يقاطع أو يخرج محدنه ، بطريقة وأسلوب حاسم ، ويرفض بشدة معارضته أو انتقاده بأى شكل من الأشكال .

ويتضح من تسجيل تلك المحادثات أن البيطار ، وعلق يبدوان فى حرج ، مضطربين ، صامتين ، يحظم الوقت ، وتظهر أمام عبد الناصر شخصيات غير مؤثرة ، وبدون شك فهناك اعتبار كبير كاذت السلطات المصرية تضعه فى الاعتبار وهو نشر هذه المحادثات فيما بعد .

ويحق لنا القول : ان ميشيل علق ، وصلح البيطار لم يكونا أحمقين ، كما يبدوان ، فكلاهما معروف عنه البطء الممل ، ومتحدث متمهل ، ولا يتورطان فى اجابات سريعة بنفس المقدرة التى برع فيها عبد الناصر ، وهكذا فقد كانت الحقيقة أن ميشيل علق كان لديه القليل لأن يقوله ، وبالرغم من أن عبد الناصر كان يقطعه كثيرا خاصة فيما يتعلق بالايديولوجية ، كما سنرى . فمن المحتمل أنهما

كانا متضيقين من موقف عبد الناصر الذى كان كمن يلقي فى التعليم الدينى سؤالا وجوابا فيما يتعلق بالشعاعات والمبادئ ، والمبادئ المصرى الوطنى وخاصة فى التنظيمات السياسية والاقتصادية .

أما بالنسبة لمناقشات أحداث الوحدة خلال عام ١٩٥٨ ، فمن الطبيعى أن السوريين كانوا كارهين للشجار ، فهم الذين قدموا الى القاهرة للبحث عن اتفاق جديد ، وكسب موافقة عبد الناصر ، وكان مضمونهم فيه قليل من الجدية ، أما قصد عبد الناصر فكان هو الأهم ، وتحت هذا الاعتبار كانت الحقيقة : أن حزب البعث كبطل للوحدة وهى خطيم الأساسى والرسمى ، فواجب عليهم أن يدينوا انفصال عام ١٩٦١ ، مع أنهم كانوا ضحايا الوحدة مع أن البيطار ندم — لاحقا — لأنه وقع على بيان الانفصال ، بل جريمة الانفصال ، ولم يترك عبد الناصر أية فرصة الا ذكره بهذا الموقف ، بل بالطمعنة فى الظاهر . فقد كان عبد الناصر باستمرار يتهم ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار بأنها بضعفان الوحدة تدريجا ويعملان على تصغيرها ببطء .

وفى الحقيقة فانهما فعلا ذلك وهما ملزمان بطبيعة نظام الوحدة . فكان جيد حزب البعث أن يحموا مصالحهما الشخصية ، وان كانا قد اعترفا صراحة ، بأن حادث الانفصال كان خيانة عظيمة للمبادئ ، وفقد حزب البعث كل سبل الدفاع عن تاريخه ، فلقد أتى كل من : ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار موثوقى الأيدي خلف ظهرهما .

دأ عبد الناصر يتحدث بأسهاب عن أسباب فشل وحدة عام ١٩٥٨ ، واعترف أنه كان هناك خطأ فى حل كل الأحزاب السياسية

السورية ، والمشكلة أن النظام السوري الذي اتحدت معه مصر اشتمل على تشكيلة من المجموعات الثورية والرجعية المتنازعة ، وليس من الحكمة محاولة التوصل من هذه التهم ، بعد جريمة الانفصال ، وأصر عبد الناصر على توجيه هذه التهم اليهما .

والبعثيون هم الذين اقترحوا حل الأحزاب ، وبعد ذلك تصرفوا كأنهم قد نفذوا استثناء ، وكان لدى ميشيل غلق وصلاحيات البيطار تقرير مطول سيقدمانه الى عبد الناصر لتبرير مواقفهما وأعمالهما . . ولكن لم يفعلوا .

لقد استقال صلاح البيطار في ديسمبر عام ١٩٥٨ مع آخرين من حزب البعث ، قدموا استقالاتهم من الحكومة بطريقة استغرافية تأمرية ، وبدون مقدمات ، ودون ابداء أى أسباب دعتهم الى تقديم الاستقالة ، فغلقوا نفس الشيء ، أى الانسحاب من الوحدة نفسها ، والأسوأ من ذلك أن البعثيين حاولوا سرا اقناع عدد من الوزراء المصريين أن يقدموا استقالاتهم تضامنا معهم . لقد أمضى حزب البعث بقية فترة الوحدة يخلق المشاكل مع الحكومة ، وعندما تم الانفصال وقع كل من البيطار وأكرم الحوراني على بيان يؤيدان حركة الانفصال .

حتى بينما كانت اتهامات عبد الناصر مازال في الادراج ، فقد تصرف وزراء البعث بطريقة سيئة للغاية ، واشتكى البيطار وأكرم الحوراني كل منهما للآخر ، وكل منهما من وراء ظهر الآخر ، وثناء أحداث عام ١٩٥٩ عندما أرسل عبد الحكيم عامر الى سوريا ، أخبره البيطار أن حزب البعث لا يمكنه التعامل مع عبد الناصر ، ولكنهم كانوا يجاهدون أنفسهم للتعاون معه ، والأكثر خزيا من ذلك كله أن ميشيل غلق اقترح أن يحكم الجمهورية العربية المتحدة

لجنة من ستة اشخاص ، تضم أعضاء من السوريين منهم أكرم الحوراني وصلاح البيطار ، وميشسيل عفلق . . وأبدى البيطار تعجبه من هذا الرأي .

ورغم كل المعوقات التي وضعها كل من ميشسيل عفلق ، وصلاح البيطار ، فإنهما قد هيا الموقف لخلق المشاكل والأزمات ، فقد غضلا نفسيهما تلقائيا ، وأضاعا تلك الفرصة للسيطرة على زمام الموقف لبناء نظام جديد ، وأن اشتراكهما في الحكومة سيدخلهما أكثر من المسؤولية ، لقد انتظرا طويلا حتى يستقيلا لكي يتركيا لعبد الناصر مشاكل أكبر في ضوء انفجار ثورة العراق في عام ١٩٥٨ ، لأنها شعرا أن أهمال عبد الناصر لهما كان أمرا في محله ، وبرغم هذا فقد تم طردهما بهتتضي الدستور منذ منتصف عام ١٩٥٨ .

ويحاول ميشيل عفلق أن يشرح الموقف بقوله : انهما عندما قررا أن يستقيلا اعتبرا أن هذا أفضل من أن يحاولا اقناع الوزراء المصريين اللحاق بهما ، لأن استقالتهما لا تحمل صفة للنزاع المصري السوري ويخاطر بالوحدة نفسها .

وكان مفهومهما أن عبد الناصر قد أصبح لديه انطباع سييء عن حزب البعث وذلك نتيجة تصرفات أكرم الحوراني والذين كانوا معه ، ولكن كان من المفروض على عبد الناصر أن يلاحظ أن حزب البعث منقسم على نفسه الى جناحين ، وقدر لأكرم الحوراني في وقت ما أن يسير في نفس الطريق الذي كان يسير فيه عبد الناصر (وقاطعه عبد الناصر قائلا : ما تأخذونه عنى لا يقبل النقاش ، لقد كنا تحت تأثير أن الحوراني كان زعيما للحزب) .

وعلى أية حال تسعر وزراء البعث أنه لا يوجد أمامهم خيار الا تقديم استقالاتهم اجتاجا على سياسات الحكومة ، وعندئذ

أكد عفلق بقوله : ان الفترة منذ تقديم استقالتنا حتى تاريخ الانصال
فترة تسعة أشهر ، خلال هذه الفترة تعرضنا الى وابل من
الامتراءات والاهانات والاضطهاد عن طريق وسائل الاعلام العابة .

وعندما انتقل الحديث الى حوار ساخن بين الطرفين عن
الايدولوجية والبرامج الخاصة بالأحزاب ، وأن السوريين على
الأقل ظهروا بصورة أفضل ، وهذا ما دفع الرئيس عبد الناصر الى
أن يعرف هل كان أعضاء البعث فى حاجة الى الحديث حول تنظيم
الحزب والحرية والديمقراطية والاشتراكية ؟ وقد أجاب عن
السؤال بنفسه : فشل البعث فى شرح مفاهيمه لأنه ليس لديه
مفاهيم لقد كان مشغولا بوضع النظرية الغامضة لدرجة أن حزب
البعث لا يفكر بطريقة عملية أو منظمة .

وأضاف عبد الناصر قائلا : لمدة خمسة عشر عاما مضت لم
يحدث أن وضع حزب البعث مفهومه للحرية ، لقد قرأت كل كتاباتهم ،
وعبثا تحدث عن معنى واضح الحرية ولم أجد ذلك لا فى كتب منبيل
عفلق ، ولا أى كتب أخرى . وانى أؤكد — مرة أخرى — أن
مفهومهم عن الاشتراكية غامض وحبنا سألت أكرم الحورانى عن
البرامج الاشتراكية للحزب فقال لى : ان لديهم فقط شعارات وليس
برنامج .

فى حين أن عبد الناصر كان يذكر مستمعيه مرة تلو الأخرى
بأن الجمهورية العربية المتحدة لديها اجابات كاملة لكل هذه
الأسئلة ، ومشروحة بالكامل فى الميثاق الوطنى . وكما تعلم فان
الحرية تعنى حرية الوطن وحرية المواطن ، والدستور يشرح ذلك
بتفصيل أكثر ووضوح تام ، والاشتراكية تتضمن — مرة أخرى —
الكفاية والعدالة ، ويحدد الميثاق أيضا هذين المصطلحين بطريقة

كاملة للغاية . ان الوحدة ارادة شعبية تاريخية حقيقية ، ويخصص الميثاق فصلا كاملا عن الوحدة الدستورية بكل أشكالها . وطريق الاشتراكية محدد ، بدءا من التجارة الداخلية ومنتهيا بالرقابة الشعبية على وسائل الانتاج مارا بالزراعة والقطاع العام والخاص ، ومن أنماط النشاط الوطنى محددة تماما فى الميثاق .

أما فيما يتعلق بحرية الفرد فاننا نقول ان هذه الحرية تشمل حرية شاملة للشعب ، وبهذا لأعداء الشعب . . اننا مؤيدون للديمقراطية ، والاشتراكية . . والحرية كلها مستقلة . . وبعد ذلك كيف يحدد البعث الديمقراطية ؟

واضاف عبد الناصر قائلا : ربما فى امكان كل من ميشيل عفلق ، وصلاح البيطار أن يستطيعا تحديد هذه المفاهيم وأن يحددوا موقفنا من هذه التعريفات الكاملة ، لقد وضعتم انفسكم فى موقف حرج للغاية ، ومطلوب منكما تحديد تعريف للديمقراطية . . والاشتراكية . . وليس تقديم تعريف آخر ، غير هذه التعريفات السطحية . .

كان لقاؤهم بعبد الناصر . . كأنهم أصيبوا بالشلل التام ، وترددوا أن يفسحوا عما فى نفوسهم من نقد وتعليق للميثاق الذى استشيد به عبد الناصر فى هذا الموقف كثيرا ، وكان يشعر بكبرياء لا حدود له ، وعلى أبة حال كان عبد الناصر يريد أن يلقنهم درسا . . ولا يستمع اليهم .

— عفلق مقاطعا عبد الناصر : أعتقد أنك لا يفتقر الى تعريف الديمقراطية والاشتراكية ، ولكنى لاحظت أحيانا أن الاشتراكية أخذت مكان الديمقراطية .

— عبد الناصر : موجها كلامه لميشيل عفلق وبحدة وسخرية قائلا : عل قرأت الميثاق ؟!

— علق : نعم ..

— عبد الناصر : يبدو أنك كنت تقرأ سطرا .. وتترك سطرا
تاليا .. ليس الأمر مطلقا كما تتخيل .. ان ثورتنا هي الثورة الأولى
التي نادى بالحرية الاجتماعية ، معناه أن الديمقراطية السياسية
لا يمكن ادراكها بدون الديمقراطية الاجتماعية ، وهذه الحقيقة أدت
بنا الى الاشتراكية ومن ثم فان الحتمية الاشتراكية شرط للديمقراطية
الحقيقية ، والا فستصبح الديمقراطية هي دكتاتورية رأس المال ،
وسيطرة القطاع عامة ، وهذا ما يصطلح عليه بالديمقراطية
البرجوازية ، ولكن لا يوجد ذكر للاشتراكية تأخذ مكان الديمقراطية ؟

ويؤكد عبد الناصر بقوله : ان حزب البعث بعرض سذاجتهم
باتهام الزعماء المصريين بالدكتاتورية ، وتخيلوا ببساطة اننا نعطي
أوامر ويسير البلد تبعاً لها ، انك مخطيء ، لقد كانوا سذجاً .. أن
يفترضوا أن الحكومة الثورية يمكنها أن تنتظر الجماهير كي تقدم
مطالبها ، لقد شرح كرجل ثوري .. فالمرء يأخذ القيادة ولا يجلس
فى الخلف متوقعا مطالب الجماهير .. لكى تتبلور تلقائياً .. لم
ينتظر السوفييت بعد عام ١٩١٧ ، بل يجب على طليعة الجيش أن
تعبّر عن أهدافها ، وبعدها تعمل وفق مبادرتها وهذا معنى الزعامة،
لا ينتظر حتى يسترشد برأى أو بغير رأى من لنين .. كان عليه أن
يتفهم حاجات المجتمع .. ثم يتصرف طبقاً لها .. ان قبول أشخاص
ذوى توجيه من مجهول للمشاركة فى الزعامة سيدمر هذا الغرض ،
الزعامة المصرية تتوقع احتياجات الجماهير قبل أن تعرفها الجماهير،
الزعامة كانت طليعة الجيش لأنها تعمل لصالح الجماهير .

وهكذا دافع عبد الناصر عن هدفه ومبادئه ضد تلميحات حزب
البعث .. ونصب البعثيون أنفسهم كمدافعين عن الديمقراطية ..
وباعتراهم فان الحزب له فقط ١٠٠٠٠ عضو ، بينما الاتحاد

الاشتراكي العربي له خبسة ملايين عضو ، وعاد عبد الناصر الى
مواصلة حديثه قائلا : هل تتدخل أن الحكومة بواسطة الشعب
حتى لو كان لديك انتخابات .. هي مجرد قليل من الناس يجلسون
في حجرة واحدة ويقررون شئون البلاد ؟ لاشك أنك مخطيء .. لأنك
عندئذ ستعزل كل الناس وتحكم كأقلية صغيرة .

حتى في روسيا عام ١٩١٧ (أضاف عبد الناصر الى حديثه)
لم يعتمد لينين على الحزب وحده ولكنه استخدم السوفيت . في
خطلته الخمسية الاولى نقل لينين كل السلطة الى الشعب السوفيتي .
حزب الدكتاتورية لن ينجح ، ومع ذلك لو أن لديك دكتاتورية الشعب
العامل ذات التأثير الديمقراطي فانك ستكسب مجموعة ملتصقة
بك طوال الزمان .

وبالنسبة كل هذه المناقشات الأيديولوجية عكست الاختلافات في
العرض العملي بين عبد الناصر وحزب البعث ، وخاصة تصميم
حزب البعث على إقامة حزب له دور بارز في الوحدة القادمة ،
وكانت رغبة عبد الناصر أن يضمهم في جبهة واسعة ، ونتيجة لذلك
كان من سوء حظ البعث أن كلا من البطار وعفلق لم بجدا ما يداغمان
به عن نفسيهما أو حزبيهما (البعث) ردا على تشهيرات عبد الناصر
وتحدياته ، ولم يجدا نفسيهما مجردين من كل شيء فقط ، لكن
أيضا مجردين من الأفكار الأكثر غموضا ، وكما يقولون مثلا (الحل
الصحيح بالنسبة لمشكلة الوحدة العربية يكمن في مجتمع يسوده
التعلم والحب) ، هكذا قال عفلق مثل هذا الكلام !!

ولكن على أية حال يمكنهم أن يقبلوا مبدأ مشاركة النفوذ
داخل سوريا . وفي موضوعات أخرى انكشف أمر السوريين في نقاط
ضعف أمام آراء عبد الناصر ، وهكذا حين اقترح الاتاسى إعادة
عاجلة لتأميم البنوك السورية جرت المحادثة التالية :

— البيطار : هناك مرحلة أولى قبل التأميم ، وهى مرحلة « تعريب البنوك » ..

— الأتاسى : تقصد التأميم أولا ؟

— البيطار : لا .. أعنى التعريب أولا ، هناك مرحلتان : أولا التعريب ثم التأميم .

— عبد الناصر : ذلك ما فعلناه فى سوريا أثناء الوحدة

— البيطار : نعم .. حقا هذه قوانين معروفة .

— الأتاسى : اننا نعرفها .. لأنها جاءت كلها فى فترة محددة

— عبد الناصر : اننى لا أرى حاجة الى مرحلتين .

— البيطار : موافق .

وانتقلت المحادثات بين الأطراف الى موضوع آخر ، خاصة عندما أتاح عبد الناصر فرصة الترحاب بالوفد السورى لتكون المحادثات بشكل أكثر ايجابية بعيدا عن تبادل وجهات النظر عن الماضى القريب ، ودار الحديث عن زعامة الوحدة العربية ، لم يكن يبدو أنها موافقة حقيقية على ما أراد عبد الناصر ولذلك اقترح الأتاسى فى موضوع « المكتب السياسى » الذى يحكم الوحدة أنه يجب أن يشتمل هذا المكتب على عضو من كل الأقطار الثلاثة : بالإضافة الى الرئيس (أى عبد الناصر) كرئيس المجلس ، وهكذا سيكون هناك أربعة أعضاء للمجلس ، والمشكلة القائمة ، بين « المطرقة والسندان » كما وصفتها فخامتكم لن تثار ، وتلقى عبد الناصر هذا الاقتراح بنوع من عدم الاكتراث المتعمد !!

— عبد الناصر : لنفترض أن هناك ممثلين .

— الأتاسى : لماذا اثنان ؟

— عبد الناصر : افترض أن لكل اقليم ممثلين ، وأنا خارج هذا المجلس ، من عندئذ سيكون الرئيس ؟ وكيف يجب أن تسير الأمور ؟

— الأتاسى : أنا أقول ممثلا ياصاحب الفخامة .

— عبد الناصر : دعنا نفترض أن هناك اثنين عندئذ (مغيرا تنغمة صوته) دعنا نفترض ثلاثة أعضاء بالاضافة الى رابع على أساس ايجاد النوازن ، أو اثنين من البعث .. عندئذ سيكون ؟ بعنيين و 1/2 من الاتحاد الاشتراكي ، وهذا يعنى رجحان الكفة التى ستسبب تعثرا فى خطواتها التنفيذية .

— الأتاسى : حل آخر .. ولنكن عمليين وأنا أحاول أن يكون ، فليكن هناك عضوان من الاتحاد الاشتراكي ، وواحد سورى بعنى ، وعراقي بعنى مع فخامتكم كرئيس .. أعتقد أن الثقة المتبادلة موجودة ، والرئيس حتما سيكون فوق كل الأحزاب .

— الشاعر : (يقتحم المناقشة فجأة بعد صمت طويل) لماذا لا يكون لنا مجلس وحدة مثلما فى الاتحاد السوفيتى .

— عفلق : بالطبع .

— الشاعر : أعتقد أن يكون لنا مجلس أعلى للوحدة (٨) .

(٨) الشاعر : خلال المحادثات بتدخلاته المتكررة بدا كأنه يعبر عن عقلية مغار الضباط الذين دخلوا حلبه السياسة العليا عبر انقلاب أو آخر بدون مؤهل ينتقد المجلس الايدولوجى العامض ، وبدون هدف ، وفى لحظة اقترح نظام حزب واحد مثل نظام الاتحاد السوفيتى ، وبعدها بدقيقتين كان ينادى بنظام دى حزبين مثل بريطانيا ١٩

— عبد الناصر : هذا لا يغير شيئاً ، سيبقى المسألة الأساسية ، ممن سيكون هذا المجلس ؟ ولو حدث فسيكون لديك بعثي عراقي ، وبعثي سوري ، ومصري ومعنى ذلك حزب البعث سيسير الدولة .

لقد انفضت سلسلة المحادثات السابقة على هذه المذكرة ، وعند هذا الحد من تطور الأفكار المتناثرة المضطربة ، ويحاول غلق البيطار والزلاء الآخرون أن يفعلوا على وجه التحديد بماذا طالب عبد الناصر منهم ؟

ويستمر عبد الناصر يضرب على الوتر الواحد ، على المسألة التي لا يبدو لها حل يلوح في الأفق ، بهدف إقامة الثقة . وتتضمن وجهة نظر عبد الناصر أن حزب البعث عليه أن يفعل شيئاً ما ، ومن أجل توضيح الأمور يبدو لي أن غلق قد أشار بقوله : هل هناك عدم اتفاق أساسي بيننا ؟ ومضت ساعات طويلة دون طائل من المحادثات للرد على هذا السؤال .

ويركز عبد الناصر على هذه النقطة بالذات مكرراً عبارة « عدم الثقة » ومن المحتمل أن عبد الناصر كان بنوى أن يضع حزب البعث تحت ضغط سيكولوجي بهدف تفريغ شحنة الغضب التي تجيش بصدرة .

إنه لا يجب على حزب البعث أن يشارك في السلطة فحسب ، بل يجب أن يشارك على المستوى الفيدرالي مع الناصريين في سوريا والعراق ، وعندما أكد غلق أن حزب البعث لن يتدخل في شؤون مصر ، انتهر عبد الناصر هذه الجملة وبيخ غلق على نفوذه يمثل هذه العبارة مثلاً له : أنك لا تتدخل في شؤون مصر ، ونحن لا نتدخل في شؤون سوريا ، من أي صنف هذا الاقتراح ؟! هل

تقترحون أن نقيم الوحدة ، فمن الأنخل لنا — غى هذه الحالة —
أن نبقي في مكاننا .

وأضاف عبد الناصر الى قوله : لقد لاحظنا فى مناسبة أخيرة
لو أن جبهة حربية من مملى الحزب فى كل بلد ، وجهت حكومة
فيدرالية أفضل من منظمة كاملة الاندماج ، عندئذ سرى كل عضو
من الجبهة أنه يجب عليه العودة الى اقلية ليحصل على توقيع من
أجل البدء رأيه غى أبة مشكلة ، وستكون النتيجة صمتا يتبعه شرب
قهوة . . وينفض المجلس دون اتخاذ أى قرار ابجلى اراء أبة
مشكلة . ريجب على غلق والبطار أن يتذكرا مدى ضعف موقفهما ،
حينما اقترحا بأن الاتحاد الاشتراكى العربى مسموح العمل به فى
كل من سوريا والعراق ، ومسموح لحزب البعث أن يعمل فى مصر ،
وبالطبع رفض زعماء حزب البعث مثل هذا الاقتراح بسرعة .

وبدا غلق يشعر بضيق شديد قائلا : لكن لديك معان
عريضة . .

وأجاب عبد الناصر بحدة وغضب شديد : انك تقول انه ليس
لديك الارادة أو الوسيلة . وأنا أقول اننا ليس لنا الارادة ، ولكن
لدينا الوسائل ، وهو فعلا لديه الوسيلة ، وحزب البعث لديه
السبب فى شعوره بأن بخاف ، ولو أنهم لم يقدموا تنازلات ضرورية،
فانه ربما بطور الارادة أيضا .

٥ . - الجولة الأخيرة فى المحادثات :

عندما عاد السوربون الى بلدهم ، قيل ان ميشيل غلق كان
غاضبا جدا من المعاملة التى تلقاها من عبد الناصر ، وبقي فى سوريا
فى الوقت الذى حضر فيه الى القاهرة وفد — بعد أسبوعين —
يتكون من صلاح الدين البطار ولؤى الأتاسى ، وبصحبة وفد

موسع وذلك من أجل الجولة الأخيرة الحاسمة في المفاوضات مع المصريين والعراقيين .

ومرة أخرى قال عبد الناصر : انه الآن لم يكن لديه استعداد لبدء المفاوضات ، حيث جدت تطورات جديدة عقب جولة المفاوضات السابقة أدت الى عدم الثقة في حزب البعث كانت بمنابة « هجوم مستتر » من خلال المقالات التي نشرتها صحيفة حزب البعث ، وكان من نتيجة ذلك أنه سمح لمحمد حسنين هبكل في الرد على هذه الحملة بجريدة الأهرام مدعيا أن السوريين حينما كانوا في اجتماع منفصل طلب منهم عبد الناصر تفسيراً صريحاً لذلك .

والمقالات التي اشتكى منها عبد الناصر كانت حقبة من المقالات المعتدلة الى حد ما . واحدى هذه المقالات كانت بعنوان «أكثر مناصرة للملكية من الملك » وقد انبرى هبكل مهاجماً هذه المقالة التي لم تبد — مطلقاً — وجهة ضد عبد الناصر أو مصر ، ولكنها فقط وجهت ضد السوريين الذين طالبوا باسم عبد الناصر احياء عاجلاً لوحده عام ١٩٥٨ بدون ائذناك العراق ، هذا في الوقت الذي كان عبد الناصر قد واثق فيه على مبدأ قيام وحدة نلاسه . مع أن الراى العام — في كلا البلدين — رفض قيام وحدة نانية بين سوريا والعراق ، وهذا كان فحوى اقتراح أكرم الحوراني حيث أكد الوفد السوري أنه لن يعتقد ولو للحظة واحدة قيام وحدة بدون أن تكون مصر على رأسها ، وفي قلب أية وحدة . وسوريا تناشدهم ألا يغوصوا في الوحل « لحركة انفصالية جديدة » بالمقارنة لتلك الحركة الانفصالية الانتهازية لذلك المرتد أكرم الحوراني . وكان أقرب مقال في نقد النظام المصري يقول : ان وحده عام ١٩٥٨ كانت مجرد خطوة على طول الطريق ولم تكن معبوداً لى ننحنى له ونطوف حوله (١٦) .

(٩) البعث في ٢٣ مارس عام ١٩٦٣ .

لقد كانت مثانة صحيفة حزب البعث الصادرة في ٢٧ مارس
أشد حدة نوعا ما ، وأعلنت أن « عملية بناء الوحدة ليست
مجرد الحصول على موافقة الشعب في استفتاء » وهكذا كانت
الوحدة السابقة ، حيث كانت الجماهير محبوسة في مخزن لكي تجذ
قوى الانحلال الحلبة فارغة تماما امامها ، لا يوجد الا منظمة شعبية
ذات تأثير يمكنها أن تملأ هذا الفراغ ولكن مثل هذه المنظمة لا يمكن
بناؤها ببساطة بأن يكون العمال والفلاحون والمفكرون التقدميون
معا ، وهذه اشارة مفهومة اذ أن المقصود بهذه الاشارة الاتحاد
الاشتراكي العربي المصري (١٠) .

أما بخصوص المثال الذي كان بعنوان « أكثر مناصرة للملكية
من الملك » فقد رد هكل بجدة وبسرعة محررا المعنى . . ومتسائلا . .
من هو الملك المشار اليه ؟ هل هو جمال عبد الناصر ؟ ، فان جمال
عبد الناصر ليس طالما في عرش سوريا ، ولا يحلم بأن يجد نفسه
مرة أخرى في ترعة قصر الضخامة في دمشق بتلقى نصيات رعاياه .

والآن يواجه عبد الناصر ، البيطار متيها حزب البعث
بالسمرار محاولاته الخيانية أن يضعف اجتماعنا هذا . ورد البيطار
شاكيا بفسبرات هيتل ومقالاته ، ومصررا فيها بأن هناك اختلافات
أيدولوجية خطيرة بين عبد الناصر وحزب البعث ، ومدى شرعية
الصحافة أن تناقش مثل هذه القضايا ، وأردف قائلا : الظاهر أننا
نفسى ما جاء في جولة المحادثات الأولى التي انتهت حديثا ، أننا لن
نجلس أبدا في جلسة طويلة ، ونبادل مثل هذه الخلافات والأفكار .

وأضاف البيطار في اليوم التالي بقوله : وعلى أية حال فإنه
لم يكن قد قرأ المقال في جريدة البعث ، مما أعطى عبد الناصر
الفرصة للتصرف معه بانفعال شديد .

(١٠) الأهرام في ٣١ مارس عام ١٩٦٣ .

- عبد الناصر : ألم تقرأ الصحف اللبنانية ؟ لقد كانت المقالة منشورة في لبنان وأبضا في باريس في صحيفة « الفجارو » .
- البيطار : لم أرها لكي أفندھا .
- عبد الناصر : ألم نقرأ الصحف اللبنانية ؟
- البيطار : لا . . لم يحدث هذا .
- عبد الناصر : غريبة . . لا الصحافة الفرنسية . . ولا اللبنانية ؟
- البيطار : لا لم يحدث لنا . . انها لا تدخل سوريا ولهذا . . .
- عبد الناصر : شيء لا يمكن تصديقه ! من أي نوع من المحادثات هذه ؟
- البيطار : فخامتكم عندما تقرأوها . . اتصل بنا . .
- عبد الناصر : انك لا تقرأ الصحافة السورية ، ولا اللبنانية ولا الفرنسية كيف نحكمون بلدكم بحق السماء ؟ !
- البيطار : حسنا . . دع أحدا يتصل بنا ويبلغنا . . اننا ليس لدينا وقت للقراءة . .
- عبد الناصر : قبل أن أغادر الفراش في الصباح مثلا اقرا كل الصحف اللبنانية والفرنسية والانجليزية والسورية .

ولأن البيطار كان يصر على أن « الاختلافات الأيديولوجية الخطيرة » تشكل أساس المشكلة ، وهذا بعد أمرا خطيرا في التخطيط، وكان عبد الناصر مسرورا ويسعدا للتلويح بها عليهم ، وقدمت

له ذريعة لكي يبعد المناقشات أبعد مما كان برجو لها . منتهزا مثل هذه الأمور البسيطة ، أجبر الوفد السوري لأن يكون بشـلـول الحركة والحربة طوال غتره تواجدته في القاهرة ، بينما نظامهم — الذي قضى عليه ثبر واحد — يترنج في دمشق ، وبدلا من ذلك لو غض السوريون تلك المحادثات دون التوصل الى نتيجة واضحة محددة . فانهم سسندملون النتيجة .

وأبدى عبد الناصر استعداده لشرح هذه الاختلافات الأندولوجية في الصحافة ولهذا فان أعضاء حزب البعث تراجعوا بسرعة عن موقفهم ، وقد وعدوا بشرحها في حضور العراقيين ، ولكن في ذلك المساء عندما دعت الوفود الثلاثة أعلن طالب شبيب وزير الخارجية العراقي والمتحدث الرسمي باسم أعضاء حزب البعث العراقي بقوله : ان من الصعب إمكان أن نقول ان هناك اختلافا أيديولوجيا ، وأنا كعضو بالوفد العراقي وبعنى أؤكد أنه لا توجد اختلافات من الناحية الأيديولوجية .

ولكن عبد الناصر قال : ان البطار وعبد الكريم زهور اصرا على أنه توجد مثل هذه الاختلافات ، ولقد عقدنا هذا اللقاء لنناقشها ، والسؤال الآن مطلوب تحديد مجال النظرية ، واننا لو أدخلنا طريفة التحيز في معنى النظرية يمكننا القول : ان هناك اختلافات أيديولوجية ، والا غلن نستطيع أن نأخذ ما قاله طالب شبيب في الاعتبار ، ويبدو لنا أننا متفقون أنه لا توجد اختلافات سياسية ، وفي المضمون لا توجد بالتالي اختلافات أيديولوجية .

ان البطار الذي كان بالأمس الأول يقول : انه يمكنه أن يشرح بالتفصيل الاختلافات الأيديولوجية لمدة شهر ، انه الآن يتراجع ، اننى لا أعتقد أن هناك اختلافات أيديولوجية منلما قال

الآخرون^(١١) وفي الحقيقة فإن الحركات الثورية المختلفة كلها لها نفس الهدف ، وقد كان شيئاً محبباً للغاية ، هل هناك اختلافات أيديولوجية أو لا ؟ لا يوجد انسان متأكد من ذلك والمناقشة الكثيرة لمعنى الديمقراطية والحربة .. الخ .. لاحت في الآفاق مرة أخرى فالكولونيل محمد عمران رئيس مجلس قيادة الثورة الوطنى السورى قدم وجهة نظر عسكرية بسيطة (اننى أعتقد أن مضمون الحرية والديمقراطية واضح الا وهو أنه يجب على الشعب أن يمارس السلطة بالكامل ، ولكن عند أى موضوع يمكنهم — فى الحقيقة — ان يفعلوا ذلك ؟ هنا المشكلة ولكن فى الحقيقة ان مفهوم الحربة والديمقراطية واضح وهو ممارسة الشعب لسلطانه ، ورغم ذلك فهذا سؤال آخر .

فمنذ جولة المحادثات الأولى وعبد الناصر يحاول عبثاً أن يستنبط للبعث بياناً نابئاً لمبدأ عما اذا كانوا يوافقون على استمرار نشاط الحزب المتعدد ، وبعدما وقفوا طويلاً كأبطال ازاء اجراءات الديمقراطية فى سوريا ، واشتكتوا بعد حل عبد الناصر للأحزاب عام ١٩٥٨ فانهم الآن يواجهون مطلب الأحزاب المؤيدة لعبد الناصر ، انهم يشاركون فى السلطة التى اكتسبوها بأنفسهم فى دمشق ، ولقد أخذ عبد الناصر « من شبلى العيسوى » Shibli وزير استصلاح الأراضى السورى الاعتراف بأن المفهوم الأول للحزب عن الديمقراطية قد تطور ، وبميل البعث الآن للنظر الى الحربة ، انها تنتمى بطريقة صحيحة الى الطبقات العاملة والى الأجهزة ذات العقلية الاشتراكية ، ولهذا فربما فى النهاية أجبرت لتتبني نظام الحزب الواحد ، مثل سياستها ، وقد

(١١) حذف الجملتان الأخيرتان من محاضر جلسات الوحدة

الح لؤى الاتاسى بحكمة فائلا : فخامة الرئيس . . اننى استنتج
أن التعريف المنغل والمحدد للحربة صعب الوصول اليه الآن حقا،
وانسأقت الإنكار الابدولوجية الى النهاية عند وجهة النظر هذه
والمحيرة فى نفس الوقت .

والذى عبد الناصر فى اليوم التالى رأبا له صدى بقوله :
« فى مناقشات الأمس كنا فى حلقات وخلفنا كل أنواع الفراغات
الاجتماعية والسياسية والعسكرة » .

٦ - التفاوض من أجل الوحدة :

وأخبرا حان الوقت للمساومة ، وبدأت الوفود — بشغف —
مسألة تكوين زعامة سياسية موحدة ، ووجدوا أنفسهم معا عاجزين
عن الموافقة .

وكانت وجهة نظر عبد الناصر دائما منذ بدء المحادثات هى
تسوية مشكلة الزعامة أولا ثم بعد ذلك فانه على استعداد ليقبل
أى اتحاد غيدراالى بالغ الوهن من ثلاثة أقطار عربية
عن طريق ادماج الهياكل التنظيمية للأحزاب المختلفة فى جهاز
واحد ، والا فان زعماء الحزب سيجافظون على المخلصين المنفصلين
عن الحزب من التشاحن الى الأبد ، ولن تقوم ثقة على أساس ثابت
من ناحية أخرى فضل كل من البعثيين السوريين والعراقيين ابعاد
هذه المشكلة ، كما اقترحوا أن يدعوا الدولة العربية المتحدة تقام
وتبدأ عملها تحت رعاية ائتلاف بسيط لزعماء الأقطار الثلاثة ، وفى
وقت ما يمكن أن تتوقع أن للزعامة السياسية الموحدة الكاملة أن

تتطور نظورا طبيعيا ، لأن البعث لا يعتبر الاتحاد الاشتراكي العربى لعبء الناصر منافسا له لكن شريكا له ماداموا متفقين على الاساسيات الأيديولوجية .

وهنا تساءل عبد الناصر : « كيف يتمكن الانسان أن يحكم دولة بدون الاتفاق ؟ ولا حول تنظيمها السياسى ؟ فقد كان أعضاء حزب البعث فى موقف غريب حينما يتناقشون ويجادلون ، فان ايجاد صياغة الآن لادماج الزعامات سيكون عملا سهلا ، اذن فلماذا يكون من الصعب جدا الموافقة على هذا الاقتراح الآن ؟ ، ولم يكن هناك رد مباشر على هذا التساؤل ، وبدلا من ذلك كان البعثيون يحاولون الرد على هذا التساؤل وأنه يجب عليهم أن يتابعوا المفاوضات من أجل عمل دستورى للوحدة فى المستقبل ، وحدث أنهم استتقروا على توزيع القوى داخل الحكومة الفيدرالية ، بينهم وبين الحكومات الاقليمية الثلاث ، وسبكون من السهل كسرا التعامل مع مسألة الزعامة » .

وأخيرا وقع عبد الناصر على هذا الانسراح ، وكان السوريون من قبل قد أعدوا مسودة لاقتراحاتهم الخاصة بهم ، وتكونت لجنة تحت رئاسة كمال الدين حسين نائب الرئيس المصرى، ولكن عندما قدمت اللجنة مسودة عمل لمناقشتها زجر (امتعض) عبد الناصر بسبب السؤال الخاص بتقسيم السلطة الى كل من : مجلس التشريع المقترح للبرلمان ، ومجلس الرئاسة ، هذا بالإضافة الى مجلس آخر لايزال غير محدد هو الزعامة السياسية المشتركة، وكان البعثيون يرغبون فى استثمار الموقف كقوة ضاغطة خلال الاجتماع الفيدرالى الموسع الذى سيكون كل قطر فيه من الاقطار الثلاثة ممثلا فيه بالتساوى أو باقامة لجنة مختارة يدخل لها الاشراف على أجهزة الحكومة ككل ، أو بدلا من ذلك تجسد هذه

الزعامة في المجلس الخاص بلؤى الأناى كأعلى سلطة فى الدولة ، وبترتيب بيدو محسوبيا بطريفة سسلبة لتقيد النفوذ المصرى .

ولكن كانت رؤيه عبد الناصر ازاء هذه المسألة تختلف تماما ، اذ أراد عبد الناصر استعمار التأييد الشعبى العربى له . وعلى هذا الأساس يكون التمثيل فى المجلس المقترح أو على أقل تقدير أن يتشكل هذا المجلس على أساس نسبة عدد السكان ، بمعنى أن يكون بنسبة ثلاثة الى واحد لصالح مصر ، وان كان عبد الناصر يدرك أيضا أن نفوذ الرئيس سيكون ضعيفا نسبيا فيها عدا قوة « الفيتو » التى تماثل تماما تلك السلطة التى لدى الرئيس الأمريكى ، وعلى هذا الأساس فان أعضاء المجلس الرئاسى ان يجدوا شيئا يعملونه ، ورغم ذلك فسوف يحدون من سلطة الرئيس وبحرمونه سلطة الفيتو ، ومن ثم يصبح قراره مرهونا بموافقتهم .

وقد علق عبد الناصر بقوله : مشـلكتنا التى نحاول أن نتجاهلها طوال الوقت هى : غياب العمل السياسى الموحد وأينما نسير تحملق لنا هذه المشكلة فى وجهنا ، وتعرقل تقدمنا ، وتناسوا أنه منذ فترة قصيرة أصروا على استبعاد هذه المسألة ، وفجأة وافق البعثيون على أنها مسألة ملحة ، لأنهم لو وازنوا التأثير الدستورى المصرى مع اصرار عبد الناصر على نفوذ المجلس التشريعى الأدنى فربما كان الطريق الوحيد لتجنب هذه القوى من خلال مجلس زعامة مشترك ، ولكن يبدو أنه لا توجد وسائل يمكن قبولها تكون مربحة وممكنة لتثبيت هذا الجهاز فى اطار عمل رسمى .

وفى أغلب الأحيان كان عبد الناصر يتهم فى الماضى بالدكتاتورية ، انه يطالب عندئذ بتمثيل شعبى فعال ويقبل رئاسة

ضعيفة نسييا . وعندما اقترح عبد الكريم زهور أنه يمكن تكوين مكتب سياسي ثلاثي يمثل القوى البرلمانية للدول الثلاث ، ويشكل على غرار مجلس الرئاسة السوفيتي الأعلى ، رد عبد الناصر على هذا الاقتراح بقوله : « انه حل مقر لمشاكلنا ولكن عندئذ سننتهم بأننا لسنا فقط دكتاتوريين ، ولكننا طفاة بلا شعبية ! » .

وأخيرا تقبل السوريون والعراقيون مسودة العمل على طول الخط الذي اقترحه عبد الناصر ، وطبقا للاتفاق الأخير الذي رُفِعَ في ١٧ أبريل سميعين الرئيس عبد الناصر رئيسا للوزارة ، وسيكون مجلس وزارة مسئولا الى جانب مجلس تشريعي أدنى (سيطرة مصرية) ولن يكون هناك مجلس رئاسي انما سيكون هناك ثلاثة نواب للرئيس ، نائب واحد لكل اقليم ، وسيكون لهم من السلطات فقط ما يفوضهم فيه الرئيس ، ويخول للرئيس أن يستخدم حق « الفيتو » للأعمال التشريعية ، ويمكن وقف حق الفيتو بتصويت ٣ الأصوات في المجلسين ، وهذا المجلس يخول له التعيينات في المناصب الرئيسية ، ويكون رئيس المجلس هو القائد الأعلى للقوات المسلحة ، كما يكون من حق الرئيس حل البرلمان .

ولقد نصت الاتفاقية على خلق جبهات سياسية في كل قطر مهمتها توحيد كل القوى : الوندوية الاشتراكية الديمقراطية ، بالإضافة الى ايجاد زعامة سياسية موحدة على مستوى فيدرالى ولكن بدون ادماج هذه الأجهزة في هيكل دستوري واحد ، وبدون شك سيكون لهم تأثير حاسم ، وسيلزم كل الجبهات الداخلية ، والزعامة السياسية على المستوى الفيدرالى بغالبية القرارات ، وتلتزم الجبهات بقرارات الزعامة الفيدرالية .

ولقد أعلنت هذه الزعامة السورية والعراقية أن هذه الاتفاقية ستقيم بالتدريج منظمة سياسية موحدة ستنقود العمل

السياسى القومى داخل وخارج الاتحاد الفدرالى وسعمل لتعبئة قوى الشعب ، ولكن هذا لا يعنى حل الأحزاب الودودية القائمة .

وهنا تسأل عبد الناصر بقوله : « ماذا يعنى ذلك ؟ من المؤكد أن استمرار الأحزاب القائمة كان عملية منفسارية مع التنظيم السياسى الموحد » ولقد شرح غيما بعد زعماء حزب البعث هذا التناقض بقولهم : ان قضية حل الأحزاب لم ينم الاتفاق عليها ، وتركت لحولة نهائية للمناقشات ، ويكون ذلك قبل تحديد موعد الاحتفال الرسمى الذى سيقع عليه الاتفاقية ، ولكنهم عندما دخلوا صالة المؤتمر زعموا أنهم وجدوا مندوبى الصحافة والمصـورين حاضرين على المنصة قبلهم وجاهزين لمشاهدة توقيع الوثيقة التى تمت صياغتها طبقا للرغبات المصرية من أجل تكوين « منظمة سياسية موحدة » . لقد تمكنوا بسرعة وبطريقة سرية أن يضيفوا سطرا بخط أيديهم ، يبين أن هذا لا يعنى حل الأحزاب السياسية الكائنة ، وقد أقتنعوا عبد الناصر بقبوله هذا الرأى ، كما تركت نقاط أخرى يمكن بحثها عقب الاحتفال .

وبصرف النظر عن هذه القصة ، حقيقة أو مزورة ، فمن الواضح أنه لم يكن هنا اتفاق حقيقى على النظام المرتقب ، وقيام « الزعامة السياسية الموحدة » أو الجبهات الخاصة بالأقطار الثلاثة كما لم يكن هناك اتفاق على هيكـل الجهاز المؤقت ، المجلس الرئاسى الذى كان سيعلم الوحدة أثناء الفترة الانتقالية لأن كلا من أعضاء حزب البعث وخصومهم كانوا ممثلين بحسابات وتوازنات فى كل صياغة مقترحة ، وأخيرا كان لحزب البعث الأصوات التى ستخلقها كل صياغة مقترحة ، وأخيرا وجد أعضاء حزب البعث الحل ، إذ ستكون عضوية المجلس على أساس التكاثر بين الأقطار الثلاثة دون اعتبار لعدد السكان . ونتيجة لذلك

كان هذا الحل لصالحهم ، وأن يكونوا آمنين مادامت هناك فترة انتقال طويلة بقدر الامكان ، وخاصة أنهم مازالوا يواجهون مشاكل داخلية فى بلادهم .

وفى الاجتماع قبل الأخير ، وقبل نوثيق الاتفاقية فى ١٣ أبريل أعلن أعضاء حزب البعث مطالبهم ، طالب شبيب يقترح بوجود فترة تمهيدية لمدة ستة أشهر هذا بخلاف الفترة الانتقالية المحددة بأكثر من سنتين على الأقل قبل أن يبدأ العمل بالدستور المعروض . وبشرح عبد الكريم زهور بقوله : « اننا لا يمكننا اجراء انتخابات الآن لاننا يجب أن نزرعها حتى نتجنب دخول (مأمون الكزبرى) الى السلطة ، لابد أن يكون لدينا فترة أطول لنتمكن من ايجاد نظام قوى يمكنه بالتالى أن يحقق شيئا ما قبل اجراء الانتخابات ، مع ملاحظة أن الثورة لا يمكنها أن تكون ديمقراطية فى السلوك فقط ، وفخامتكم يجب أن توجه الحكومة من أعلى الى أسفل ، ويجب أن نخترق الطبقات الى أسفل ، تلك الطبقات التى ترغب فى الخروج الى الحياة العامة » .

وقد سبق لعبد الناصر أن حذر السوريين من هؤلاء الرجعيين وضمان عدم سيطرتهم على الحياة السياسية والاجتماعية من خلف الكواليس عن طريق تطبيق اجراءات اشتراكية خاطئة خاصة بهم ، وأضاف قائلا : عندما تتولى الثورة السلطة يجب أن تعرف كيف تحافظ عليها ، فلهذا هى مضطرة الى حرمان أعدائها من أسلحتهم الضرورية ، ويكون رد الفعل أكثر قوة من الثورة خاصة لو أن أهدافها كانت غامضة ، فان الشعب الذى من أجلهم تحمل اجراءات الاشتراكية يكون من الصعب عليهم أن يتفقوا ، ولكن يكون من السهل تجميع الرجعيين معا فى نادى الشرق بدمشق .

لم يكن اهتمام عبد الناصر في تلك الفترة مركزا على التدقيق الأيديولوجي ولكن كان جل اهتمامه حول الهيكل ، وقد كسب طريقة في توزيع القوى الدستورية ، ولم يرغب أن براها تتسلل بعيدا ، وبدون الدستور ، والمؤتمر القومي ، وبدون أية خطة ثابتة متفق عليها لزعامة مشتركة في سوريا والعراق ، لقد كان عليه أن يبدأ الوحدة بالمشاركة مع أي نظام قائم بالفعل في دمشق وبغداد ، وتلك كان بسيطر عليها البعث في ذلك الوقت وأن أي مجلس ثلاثي موجه أو نظام رئاسي للفترة الانتقالية بدون اجتماع يركز عليه كان سيضعه في نفس الموقف الذي أراد أن يتجنبه ، لقد كان قادرا على الأقل أن يجعل أعضاء حزب البعث في قلق .

قال عبد الناصر : لماذا تفترض أنني وافقت أنه يجب على رئيس الجمهورية أن يكون لديه سلطات كثيرة أو قليلة ؟ ذلك راجع الى حديثك عن الطغيان والدكتاتورية ، هذا الموقف قائم على المسودة التي قدمها الوفد السوري ، لقد شعرنا بعد كل الذي كتب عن الدكتاتورية أنكم كنتم تريدون ديمقراطية برلمانية ، ولهذا وافقنا ، وقد تجادلنا طوال المناقشة على فرض أن حكومتنا ستكون برلمانية ، الآن لا نريدون برلمانا ، هل كان نقاشنا بدون جدوى ؟ » .

لقد حاول كل من عبد الكريم زهور وطالب شبيب توضيح وجهة نظرهما بأنهما كانا برغيان التأجيل الى حين من الوقت ولا يرغبان في الالغاء ، انهما محتاجان الى وقت متسع لاعداد الدستور ، كما أنهما في احتياج الى مثل هذا الوقت في بلديهما ليبدأ نظمهما النورية قبل بدء الانتخابات البرلمانية ، وهنا سأل عبد الناصر : « لماذا اذن كنتم تبحثون عن الوحدة بينما تواجهون مثل هذه المشاكل والتحديات المحيطة الملحة ؟ » .

وحقيقة كان عبد الناصر بدرك الدوافع لذلك اذ كانوا يريدون استثمار اسمه ومكانته الشعبية في الوطن العربي بصفة عامة وسوريا بصفة خاصة لتثبيت سلطاتهم ، عندئذ قال عبد الناصر : « أعنقد أن وحدتنا ضعيفة بطريقة بائسة ، ان الحلقة القوية الوحيدة التي تربطها معا هي المؤتمر القومي ، فاذا لم يكن موجودا فستكون وحدتنا انفصالا في ثياب وحدة . اننا نتخيل أن فترة انتقالية لمدة سنة واحدة تكون كافية لخلق ادارة فيدرالية ، وهذا هو السبب في موافقتنا على كل تعليقاتكم واضافاتكم ، وما حذفتموه (وفي الحقيقة لم يفعلوا ذلك) ولكننا نتخيل أن المؤتمر القومي سيجعل الوحدة متماسكة .

لقد أجاب عبد الكريم زهور بقوله : « لو حققتنا هنا الدستور فوراً — مرددا الآراء التي عبر عنها عبد الناصر مسبقا — علينا أن نتخلى عن ثورتنا ونهتد الطريق للربعيين والانفصاليين الذين سوف يلغون بكل بساطة الاتحاد الفيدرالي » .

ورد عبد الناصر بحده قائلا : لم أر في حياتي نقاشا بهذا الشكل ، لماذا لا نناقش هذا الدستور الآن ؟ ولماذا نؤجل هذا النقاش حتى نهاية الفترة الانتقالية ؟ عندئذ من بدرى ما الذي سيحدث خلال ثلاث أو أربع سنوات من الآن ؟ وفي تلك الأثناء من الذي يحكم الجمهورية ؟

رد عبد الكريم زهور بقوله : يمكن أن يحكم الجمهورية جهاز توري مثل ما لدى كل الثورات .

سأل عبد الناصر : أين هذا الجهاز ؟ اذن فمن المفروض ان يتكون بأسرع وقت ممكن .

لقد أحرز عبد الناصر نقطة مؤثرة في هذا الموقف لكنه لم يتلمس طريقته حتى النهاية ، ففي الصباح قابل الوفد العراقي بصيغة خاصة وخضع لالتماسهم بهدف اطالة الوقت أمامهم ، وقد وافق عبد الناصر على تأخره لمدة خمسة أشهر قبل أن تعلن الوحدة ، ثم وجود فترة انتقالية تزيد على ٢٠ شهرا قبل العمل بالدستور .

والآن أتى الدور على الأعضاء الناصريين في الوفد السوري ، لقد أصيب بالاكئاب كل من : نهاد الجاسم ، وهاني الهندي حيث أبدى هاني الهندي احتجاجه قائلاً : أقول ان نتائجنا مدهشة الى حد ما ولو ان كل اقليم يعالج مشاكله الخاصة مستقبلاً (من الآن حتى نهاية الفترة الانتقالية) فان مشاكلنا ستزداد ، وأنتم تدركون ماهي مشاكلنا .

وهكذا ألمح هندي أن حزب البعث في دمشق من المتوقع ان يتحبن الفرصة لنفسه هو وأصدقائه الى كوالالمبور . وفي الحقيقة كانت مخاوفه هذه يمكن تبريرها تماماً ، فانها لم تنفرد سنيتين بل تحققت خلال أسبوعين .

وهكذا فان المفاوضات تكون قد انتهت باتفاق على تأجيل اعداد الوحدة الكاملة لما يزيد على عامين ، وبخطوط غامضة بالتزامات لفترة ناصلة ، وأثناء تلك الفترة من المتوقع على أفضل تقدير أن كل قطر سيكون الى حد كبير مسئولاً عن نمونه الخاصة به ، وفي خلال هذه الفترة يمكن حدوث ما لا يحمد عقباه من قبل حزب البعث وكذلك الناصريين .

٧ - اتفاقية للموافقة :

ان الموضوع الجوهرى الذى بدا واضحا للعيان اثناء هذه المباحثات هو فقدان الثقة بين كل الأطراف ، أعضاء حزب البعث من جانب وعبد الناصر وزملائه من جانب آخر ، فقد كان عبد الناصر يرفعها ، والبعث يخفضها ، وكلا الجانبين شارك فى الموقف بالتساوى ، فأعضاء حزب البعث لم يكونوا فى لهفة ليشاركوا فى السلطة فى سوريا أو فى العراق ، واعطوا عبد الناصر موقفا معلنا على الملأ ، وكان جل اهتمامهم مركزا فى أى موقف للدفاع عن مواقفهم الخاصة ، وتكاد تبدو كل المحادثات مثل لعبة القط والفأر ، وهذه المباحثات تتسم بالماناورات الدبلوماسية ، وكذلك متاورات نفسية لم تؤد الى أية نتيجة مرضية يمكن التوصل اليها بشكل ايجابى ، اذ من المؤكد أن حزب البعث يبغض منافسيه ، خاصة الحركة القومية العربية التى كانت تبادله نفس الشعور ، وينظرون اليهم كانتهازيين مستغلين لاسم عبد الناصر (أكثر مناصرة للملكية من الملك) .

فى حين كان غرض عبد الناصر الأساسى أن يجبرهم على التحدى جانبا وخلق مكان مساو لحركة القومية العربية ، والأطراف الأخرى ، ومنذ البداية فرض عبد الناصر شرطا لا يمكن قبوله ، وذلك أنه يدرك يقينا أنه سوف يقبم اتحادا مع سوريا وليس مع حزب البعث ، اذ كان يتوقع عبد الناصر أمام هذا الشرط أن يعود أعضاء حزب البعث الى أوطانهم ، ولكن ما حدث كان العكس تماما ، اذ أنهم مكثوا متلقين شروطه ، ومعلنين استعدادهم للتعاون ولو باندماجهم أخيرا الى الناصريين ، وبرغم هذا لم يكن هناك دليل واحد يمكن أن يقدموه لانبات حسن نواياهم ، وفى نفس الوقت لم يبد أنهم ابتعدوا عن الأمل فى أن عبد الناصر

وهذا ما جعلهم مكشوفى الأيدي ، عاجزين عن الرد على كل اهانات عبد الناصر لهم طوال مراحل المباحثات ، والأهم عندهم هو اضعاف الشرعية على موقفهم ، فضلا عن الاعلان لأنفسهم لدى شعبهم ، ويأبون بشكل قاطع أن ينهوا تلك المباحثات ، لقد كانت أفكارهم قاصرة ، وعاجزة حتى يمكنهم « استعمال المطرقة والسندان » ضده ، ولذلك اتسم موقفهم بموقف دفاعى فقط ، ولن يكون فى امكانهم استخدام موقفهم بشكل هجومى ضد عبد الناصر ، وظلوا هكذا حتى يمكنوا — كما كان ظنهم — من الحصول على موضع قدم فى السياسات العربية التى تستهدف الوحدة العربية الشاملة ليكون موقفهم قويا فى مواجهة كل من : الاردن واليمن والعربية السعودية .

لقد كان موقف ميشل عفلق — ذى الحظ السيئ — يرى ان حزب البعث لن يتدخل فى الشؤون الداخلية لمصر ، وسيكون حزب البعث متحرجا لأن البعثيين السوريين لبس لديهم أبة أهداف فى مصر ، مع أنهم يضعون فى الاعتبار مدى شعبية عبد الناصر فى سوريا ، وعذد هذا الحد من الحديث وجه عبد الناصر الى حزب البعث السوري قوله : « انكم تسألون عن شىء ليس له وجود فى مصر ، واذا كنتم تريدون توقيعى وموافقتى ، فان عليكم أن تسـمـوا أموركـم فى داخل سوريا ، وتفسحوا المجال لأتباعى هناك » . وهل كان يترك لحزب البعث أن يمهـد طريقه بنفسه ؟ ففى هذه الحالة فان عبد الناصر سيبعلن عجزه فى الشؤون العربية خارج نطاق مصر ، وبالتالي سيفقد المبادرة معا ، لأن حزب البعث مهما كان موقفه معروفا لدى الجميع فان حزب البعث سيفقد نفوذه وسيطرته خارج حدود سوريا ، والدليل على ذلك وجود الناصريين فى كثير من البلاد العربية ، وليكن مثل السوريين

فى الأردن ، وهذا بدل على مدى ضعفه ، بينما الأمر فى مصر مختلف تماماً ، فأصبح من المؤكد أن سياسة عبد الناصر العربية بمثابة كتابة « شبك على بياض » لحركات الشعوب الأخرى التى تتسم بالثورية ، ولهذا فإن عبد الناصر يقف على أرض صلبة فى سياسته المعلنة ، منلما نعل فى كثير من المحادثات التى جرت بين مصر وحزب البعث السورى .

ولقد ظهر أن كلا من السوريين وعبد الناصر كانا دائماً يدركان يقبنا مدى التطابق بين أحداث ١٩٥٨ و ١٩٦٣ ، وتمد أشاروا الى ذلك بطريق خفى عندما وصل صلاح البيطار ، وميشيل عفلق يوم ١٩ مارس ١٩٦٣ ولقد ألح عبد الناصر فى عام ١٩٥٨ عندما قال : انه يعتقد أن الوحدة تحتاج الى خمس سنوات قبل اتمامها بشكل نهائى لكى تبنى على أساس سليم وقوى ، عندئذ تدخل صانح البيطار وقال : ان الخمس سنوات قد انقضت الآن .

لقد أبدى كل جانب ملاحظاته على تجربة الوحدة السابقة فى عام ١٩٥٨ حيث كانت شكوى عبد الناصر باستمرار أن وزراء حزب البعث ، قدموا استقالاتهم استقالة جماعية ، وأن ميشيل عفلق كان يبحث عن تشكيل لجنة سرية بعثية مصرية موجهة ، وانعكس على ضرورة البحث عن مركز متميز ، والفراغ المزعوم الذى نتج أيام منظمة الوحدة القومية بدا بعيداً عن القول : لابد أن تدركوا الآن أنكم فى احتياج البناء كى نملأ الفراغ وقد كانت مزاعمهم فى اعتماد المصريين على أعوان ، يمكن أن يؤخذ هذا القول كإشارة مقصود بها الناصريون فى سوريا ، فقد كان نهاد الجاسم على حق بمعارضته هذا التورط . لقد كان نقاش الوحدة السابقة على انفراد بهدف تبادل مواقع المساومة الحالية ، وقد كان غباب أكرم الحورانى أمراً مؤسفاً ، فهو

بمثابة صمام الأمان في هذه اللعبة السياسية ، وخاصة عندما بدأت الاتهامات الخطيرة جدا ينسبها البعثيون الى شخص عبد الناصر .

لقد أدار عبد الناصر المفاوضات بمهارة فائقة ، حيث سيطرت شخصيته على الجلسات الخاصة بالوحدة ، واستغلها عبد الناصر على أكمل وجه حيث شعر أنه أصبح حراً في تكديس الاتهامات ، وتوجيه أفضى الانتقادات لميشل عفلق ، وصالح البيطار ، بل كان يرهبهم في كثير من المواقف ، وأكثر من هذا كان يخلق « النكات » على حسابهم ، وكان عفلق والبيطار يسمعان هذا ، ولا يمكنهما الرد على هذا الهجوم ، في وقت كان عبد الناصر يؤكد فيه أن العيب النفساني في المفاوضات كان ملفي عليه ، ومن ثم فأى نقد أو تلميح يمس نفوذه وكبريائه يثيره غضبا !

وقد بدا على ميشل عفلق الشعور بالاحباط النفسي، ويحاول جاهدا أن يمحو العشرين عاما من الفكر ، كأنه معلم وأستاذ بالجامعة يرفض قبول بحث لطالب بليد ، فنجد في التسجيل الكامل للمحادثات وخاصة تلك المناقشات الأيديولوجية نجد عفلق ينبري كأنه أستاذ جامعي يلقي محاضرة على سامعيه .

لقد استخدم عبد الناصر هذه المحادثات الأيديولوجية لكي يحرز حزب البعث ، ويدمر ثقافتهم في أنفسهم ، وفي عام ١٩٥٨ اعتقدوا - حسب ادراكهم الشخصي - أنه ليس في حاجة اليهم ، وفي حقيقة الأمر كان لديه الكثير من نقده اللاذع المر ، فقد حملت بعض أحاديثه الأيديولوجية عن الأحزاب والطبقات الاجتماعية هدفا لكي يظهر حزب البعث أن منظمته من الصعب الدخول فيها لأنها تفتقر الى كثير من المصداقية لكي يحكموا بكفاءة .

لم تكن المفاوضات تلقى نجاحا دبلوماسيا باستمرار لعبد الناصر لأنه لم يكسب وعودا حيوية سوى وعود معنوية ، وما تم انجازه حقيقة أنه كان يستغل شهرته ، ويلعب الدور كبطل « للقومية العربية » بينما يحى مكاسبه ضد المخاطرة والوعد المهم الذى ضمنه للفترة المتعبدية التى ستوضع فى دائرة الاختبار فى الحال ، كانت من أجل تكوين ائتلاف مقبول فى كل من سوريا والعراق ، ولو أن هذا يتم عن طريق حدوث معجزة ، ففى هذه الحالة سيكون عبد الناصر فى أمان ضد « المطرقة والسندان » الخاصة بحزب البعث . وسيكسب زعامة وحدة قوية ، ولو لم يحدث هذا فسبكون متسع من الوقت لكى ينسحب دون مساس لنفوذه ، متهما البعث بفساد العقيدة ، وينشر تسجيل هذه المفاوضات ليبرر الاتهام أن نظامه يمكنه بسهولة أن يستغنى عن الوحدة ، وسيكون لحكومات حزب البعث الأمر أكثر صعوبة .

* * *

الفصل الرابع

الانهيار

- ١ — آثار الانهيار في سوريا والعراق
- ٢ — انهيار البعث وعبد الناصر
- ٣ — المفاوضات العراقية السورية
- ٤ — نظام عبد السلام عارف

((لا يوجد شخص في سوريا أكثر ناصرية من أفراد
حزب البعث))

سامي الجندی فی ٢٧ یونیة عام ١٩٦٣

لقد تضمنت النسخة التي نشرت في ١٧ أبريل ، والخاصة
بمحادثات الوحدة بين كل من مصر وسوريا والعراق ،
أقل القليل مما جرى في هذه المحادثات بين الاطراف
المعنية ، وفي الحقيقة ان أي شخص يقرأ هذه الانشابة ، ويفكر
في مضمونها بشكل جدی ، سوف يدرك أن أقل القليل هو الذي
تم اقراره في هذه المباحثات ، وأن كل ما تم مناقشته كان وعدا
بالوصول الى شروط يمكن أن تتم في المستقبل في العالم العربي
الذي تكبله الاجراءات الدستورية مع ملاحظة أن مثل هذه الخطوات
الثورية. غالبا ما تتم بشكل فجائي لا يمكن التنبؤ به .

ولكن الملاحظ من خلال الاطلاع على النسخة المنشورة للرأي
العام ، أن كل الجهود تركزت في هذه المباحثات حول المنصب
الرئاسي ، والبرلمان والقوى الاقليمية ، وذلك دون أن يتخذ قرار
اعلان الوحدة وذلك برغم استمرار هذه المباحثات مدة طويلة وكان
من المفروض أن نتخذ عدة اجراءات ايجابية بينما الذي حدث أن
اجتماعات تعقد ، ولجانا تشكل ، ووفودا تذهب ، وأخرى تجيء ،
بين القاهرة ودمشق وبغداد ، وتصريحات تملأ كل الصحف العربية.
وعلى أية حال اذا لم يتم الاطار العام عن قيام الوحدة ، ويخرج

الى حيز الوجود فى جدول زمنى محدد ، فليس من الضرورى كل هذه الضجة والدعاية .

وقد تمكن المراقبون — ذوو الفطنة — من رسم مثل هذه الاستنتاجات حينما اطلعوا على النسخة المنشورة عن مباحثات الوحدة ، ومن الممكن لآى مواطن عربى من خلال الاطلاع على النسخة المنشورة أن يدرك أن جو المباحثات قد غلب عليه طابع فقدان الثقة المتبادلة بين الأطراف الثلاثة ، منذ اليوم الأول ، وأن الاتفاقية لم تكن — فحسب — غير قادرة أن تؤكد التصور التام للمستقبل ، ولكنها نى نفس الوقت تخفى حاضرا غير مبشر بالخير ، وكان من المفروض — على العقل العربى — أن يرتفع عالما لمواجهة توقعات كبرى قد تحدث له فى المستقبل ، حتى تص الاتفاقية الذى نشر على الرأى العام العربى لم يقابل بالحنطة ، واحتوى النص ، على كثير من النغرات كان فى امكان أى مواطن عربى أن يوجه اليه النقد البناء ، وعلى هذا حدثت المعارك السياسية العنيفة ، فى الشهور التالية فى كل من دمشق وبغداد ، وفى نفس الوقت وصلت الدعاية الى ذروتها فى مصر ، خلال شهرى يونيو ويوليو الأخيرين فى وقت أصيبت فيه الجماهير بالاحباط النفسى ، وهكذا أدرك الرأى العام أن الوحدة تحولت الى شعارات أيديولوجية ليس لها أى أساس من الواقع .

١ — آثار الانهيار فى سوريا والعراق :

لقد حدث رد فعل عنيف فى سوريا ، حيث أن حزب البعث ومنافسه كانوا من قبل فى حالة من القلق والتوتر ، واختلال التوازن ، عكس ما حدث فى حزب البعث العراقى ، ولو أن حزب

البعث — غنى العراق — يمسك بزمام الأمور داخل البلاد ، فضلا عن أنه يشغل أكبر عدد من المراكز الهامة فى مجلس قيادة الثورة الوطنى ، ومجلس الوزراء . وكان أعضاء حزب البعث العراقى تحت ضغط معنوى بالنسبة للقوى الأخرى ، خاصة بعد أن تحلّى حزب البعث اجراء المباحثات فى القاهرة على مسؤوليته ، وعلى هذا ظهرت الخلافات بين العراق وسوريا وطلقت على سطح الحياة السياسية فى وقت لم يكن هذا الخلاف فيه بين السياسيين ، اختلف الأحزاب شيئا هبنا ، وامتد هذا الخلاف بين صفوف حزب البعث نفسه .

وكما حدث فى سنوات سابقة ، طلب كل حزب سورى دعما من أصدقائه فى بغداد والقاهرة ، وعلى هذا فمن الملاحظ أنه لم تتم صياغة الشروط ، ونصوص البنود الخاصة بالتحالف بين البعث ومنافسيه . ومن ثم فقد كانت فجوة واسعة بين الطرفين فيما يتعلق باتفاق القاهرة ، وتبلورت نقاط الخلاف حول نسب التمثيل بين الجانبين ، فمثلا هل يجب أن تطبق المساواة فى التمثيل فى اللجنة الموجهة للجبهة السياسية المقترحة فقط أو تنطبق على مجلس الوزراء أو مجلس قيادة الثورة الوطنى ؟ وهل المساواة تعنى أن نسبة ٥٠٪ من أعضاء البعث ، و ٥٠٪ من المنظمات الثلاث المندمجة ، أو ٢٥٪ من أعضاء حزب البعث ، و ٢٥٪ من الآخرين ؟ أو هل يجب أن يشكل المستقلون خمس العناصر ؟ وحتى لو تمت الموافقة على صياغة ما ، فسببى — بعد ذلك — من يقرر أن يشغل أى منصب ؟ وبعد ذلك ماذا سيكون الدور العملى للجنة الجبهة ؟ ومن الذى يضمن تأثره على قرارات مجلس قيادة الثورة الوطنى ومجلس الوزراء ؟ وما هى هذه الأجهزة الوحيدة المخول بها السلطة الدستورية ؟ وكيف تتوصل اللجنة الى قرارات ؟

ولكن من المؤكد أن عدم التوصل الى اتفاقات على المستويات المختلفة سيثور في وقت ما فوق أية قرارات سياسية تتلو ذلك ، وخاصة في معمة الاعداد الخاص للانتخابات ، ومن ثم لا يمكن التنبؤ - وقتبا - الى أى مدى تصر كل مجموعة على وجهة نظرها وسط هذه الظروف التي تهدد بتفتيت هذا التحالف ؟

وفي المباحثات برزت الى الأفق مسألة الجيش ، وماهو تشكيل قيادته العليا ؟ ومن ستكون له الكلمة الأولى والأخيرة في شئون العزل والترقيات والتفلات ؟ وربما يوافق المرء من الناحية الاسمية ، على أن الجيش يجب أن يستبعد عن الشئون السياسية ، ففي واقع الأمر ، وبعد قيام الجيش بالانتخابات العسكرية الكثيرة ، فربما بكل اخلاص بصر أكثر من السياسيين المدنسن على ذلك ، ولكن ماذا يعنى ذلك ؟ غلو كان يعنى أن القيادة العامة يجب أن تدير شئون الجيش بدون تدخل من جانب السياسيين ، فعندئذ ما هو التأكيد بأن الضباط ذوى العقلية الحزبية أو السياسية لن ينفذوا مؤامراتهم ولو على أنفسهم ويدفعوا بمنافسسيهم خارج مواقع النفوذ ، وعندئذ يتذرعون بمبدأ الحكم الذاتى للجيش ؟

وفي الحقيقة ان الجيش لم يكن في حاجة لانتاذه من السياسيين ولكن العكس تماما ، فقد تطبع الضباط السوريون بشكل ملحوظ بهدف تصحيح النظم المدنية التي لا يوافقون عليها ، لأن أبة مجموعة سياسية مدنية مهما كانت نواياها على جانب من الأهمية ، كانت ملتزمة ، لتراقب عن كنب تلك التشكيلات والتطورات في الجيش ، ولا تشعر بالأمان الا اذا كان حزبها والموافقون عليه من الضباط كانوا في موقف أمين أو حتى موقف مسيطر ، ولكن سيأتى بعدها المدنيون يسيطرون عليها مؤبدين من العسكريين ، فقد حدث هذا على مر الأيام لحزب البعث .

كل هذه السياسات المتشككة كان لزاما أن تعتمد على المدى الذى سيشتجع فيه عبد الناصر حلفاءه السوريين لكى يدفع بمساومة صعبة مع حزب البعث أو يمنهم من عمل ذلك ، وأيضا يعتمد على تقدير حزب البعث لما يمكنهم أن يعملوه لينازلوا دون تعريض أمنهم للخطر ، وحيث أن هناك القليل للغاية من المعلومات حول المفاوضات فى دمشق فإن من الخطورة الحكم على حقيقة الشروط فى هذا النزاع .

وبعد انقلاب الثامن من مارس ، تشكل مجلس الوزراء برئاسة صلاح البيطار ، وشغل حزب البعث نصف المقاعد ، بينها أغلبية أعضاء مجلس قيادة الثورة الوطنى كانوا أعضاء حزب البعث المتعاطفين معه ، وقد تم قبول نهاد القاسم ، وهانى الهندي ، وسامى صوفان وزملائهم فى درجة تمثيل أدنى ، وقد وافقوا على هذا الترتيب لمدة من الزمن تحبب فيها بعد ، ولكن قبل انتهاء مباحثات القاهرة مباشرة كانوا يضغطون من أجل تصفية هذه المشكلة ولكن نشروا فيما بعد مذكرة يعلنون فيها أنه قبل مغادرة الوفد للقاهرة ، منذ وافقوا بطريقة واضحة لا عوج فيها مع حزب البعث أن النشاط فى الجبهة الوطنية المقترحة يجب أن يكون على أساس المساواة بين المجموعات الأربع ، وقد اثبتوا أن البعث تكث وعده فى هذه الاتفاقية ، وهكذا فإن كل ما قاله السيد سامى الجندى وزير الاستعلامات حول الاختلافات على عدد المقاعد فى مجلس الوزراء والمجلس الثورى الوطنى كان غير حقيقى ، وتم الاتفاق على هذه النقاط قبل توجه الوفد الى القاهرة ، وكان ذكر « الأنصاف » والأربع كان يدور فى عقل الجندى نفسه (١) .

(١) محاضر جلسات الوحدة ص ٢٦٨ .

ولكن فى الحقيقة كان من الواضح أن هناك منازعات واختلافاً فى وجهات النظر حول توزيع المقاعد ، مع أن الصياغة الدقيقة للقرار كانت فى حالة من الاضطراب ، واستمرت المساومة حول هذا الموضوع منذ شهر مارس ، ووضعت فى هذا الشأن مختلف الصيغ فى أوقات متعددة ، ولقد انعكس هذا الوضع فى تحريف تفسير الأحداث التى حملها الى المؤلف بعض المشاركين والمقربين ، وكذلك المؤثر العام الضمنى لهذه الترجمات . ان هناك تفهماً تم النوصل اليه خلال أو بعد محادثات القاهرة ، فان حزب البعث ومنافسيهم جميعاً سيشفلون عدداً مساوياً لمقاعد مجلس الوزراء ، ويتوازن مع المستقلين ، بينما فى مجلس قيادة الثورة الوطنى ، فان حزب البعث سيبقى مستأثراً بنصف عضويته ، بينما أعضاء حزب البعث فى العراق ، فمن المتوقع أنه سيوفر مكاناً للآخرين ، ولكن من المسلم به أن هذه الحاجة مجرد اسمية .

وهكذا كان البيان الحاسم فى دمشق باختيار المستقلين . كثير منهم كان يمكنهم أن يعتمدوا على الاستفادة على اتجاه واحد أو اتجاه آخر .

وقد اعترض الناصريون على قائمة البعث الخاصة بالمستقلين الموالين ، وكان واضحاً أن السبب كان وجبها ، وكان من المحتمل أن ما يتراءى لهؤلاء المستقلين أن صلاح البيطار قد أعلن المؤلف بـ « مفاجأة » (ولو أنها غير كاملة) حيث قال : « بصراحة أنه منذ ٨ مارس فصاعداً فان حزب البعث يصر بدون ميل على ابقاء غالبية السيطرة لنفسه » .

لقد كانت تلك النزاعات مرهونة بأخرى ، بخصوص الجبهة السياسية التى كان عملها توجيه مجلس قيادة الثورة الوطنى ،

ومجلس الوزراء ، ولقد حدد اتفاق القاهرة أنه يجب أن تكون القرارات بالأغلبية (حيث أن من المحتمل أن يتفوق بغالبية الأصوات بكل سهولة) وبطريقة مختلفة طلب أعضاء حزب البعث أن تكون قرارات الجبهة بالاجماع ، وأى شئ آخر بطريقة استشارية (وهكذا فى أية حالة يتركون الفترة الحاسمة الى مجلس قيادة الثورة الوطنى) وقد نادى أحد البعثيين المتواجدين فى محادثات القاهرة ان الفقرة الشرطية فى الاتفاق بأن تكون « لغالبية الأصوات » لم يتم حلها وتسويتها فى المفاوضات ، ولكنها أخذت خلسة الى سياق النص ، فى آخر دقيقة ، عن طريق المصريين ، مع الجملة التى تضمنت أن الحزب الواحد المتحد يمكن تشكيله ، ولم يد أن من الممكن سابقا أن تقوم الحقيقة بوضوح بخصوص المنازعات على الجبهة ، وهذه الأسئلة تعقدت عن طريق الاختلافات بين الأحزاب اللابعثية . وبعد اتفاقية القاهرة مباشرة كانت هناك مفاوضات عقيم بين حزب البعث والحركة الوحدوية الاشتراكية لسلامى صوفان ، وتهدف الى عودة الحركة الوحدوية الاشتراكية الى وحدة مع حزب البعث ، وهى التى ابتعدت عن عام ١٩٦١ ، ولو قدر لهذه الجهود بالنجاح ، فان حزب البعث كان من المحتمل أن يتقدم بمطلب ملح الى موقع متزايد ، يواجه الحركتين الباقيتين ، ولكن بمجرد أن بدأت المفاوضات التى تبشر بنجاحها ، وقع حادث هز هذا المطمح ، وألقى بخلال مخيفة على كل التطورات اللاحقة .

حدثت الحركة الفجائية لمجلس قيادة الثورة الوطنى فى نهاية شهر أبريل ، لكى يتم تطهير الجيش من عدد كبير من الضباط الناصريين ، حيث تم تسريح بعضهم من الخدمة ، وآخرون نقلوا الى مناصب أقل حساسية . وكان من بين هؤلاء المطرودين وزير الدفاع الجنرال محمود صدقى ونائب رئيس الأركان « ميجور جنرال رشيد القوتلى » ونتج عن هذه الاجراءات حدوث اضطرابات محلية

فى الجيش بين حزب البعث ، ومنتشيعى عبد الناصر ، وقد زعمت السلطات السورية أنه حدث تغيب فى مدينة حلب ، وبالقرب من مدينة دمشق بهدف التطهير وبحجة أن هذه المظاهرات الشعبية كانت تعد وتخطط لانقلاب ضد السلطات ، وذلك الاتهام أنكره بشدة الزعماء الناصريون ، وعلى هذا فقد قدم هانى الهندى ، والجاسم ، والصوفانى وآخرون استقالاتهم احتجاجا على تصرفات مجلس الوزراء ، كما أجبرت هذه الشخصيات البيطار على أن يقدم استقالته أيضا فى ١١ مارس .

ويبدو أنه حدثت مناورة غريبة ، وصنفها أحد المراقبين الموجودين عن قرب بما بلى : لقد عهد مجلس قيادة الثورة الوطنى الى الدكتور سامى الجندى ، وهو من المقربين السابقين لصوفانى فى الحركة الوحشية الاثـتراكية ، ولكن الآن له علاقة ودية مع حزب البعث بتأليف مجلس الوزراء ، وبعد يومين تخلى عن هذا العمل مبدىا شكواه ، بأن مجموعات من غير حزب البعث رفضت أن تتفاوض — فى هذا الشأن — رغم استعدادده لتحقيق رغباتهم ، وقد كان مبررهم لهذا السلوك أنه لم يستشرهم ولكن الملاحظ أنه فى هذه الأثناء — ومن خلف ظهر الجندى — احبط مجلس قيادة الثورة الوطنى آمالهم الحقيقية التى كانوا يعلقونها على الدكتور سامى الدروبي البعنى المعتدل ووزير التعليم فى تلك الوزارة التى أقبلت فى وقت كان فيه الدكتور سامى الدروبي بالقاهرة يحضر مؤتمر التعليم العربى . وفى هذه الأثناء استشار الدروبي عبد الناصر فى الأمر ، وعندئذ سارع بالعودة الى دمشق وتوصل الى تسوية مع الزعماء الذين لا ينتمون لحزب البعث ، وتحت رئاسته فى الوزارة المذكورة لأنهم لو بقوا فى مناصبهم فانهم بهذا سيحصلون على غالبية مقاعد كل من حزب البعث ومجلس قيادة الثورة الوطنى .

وفى هذه الأثناء استعرض — بدون تحيز — موضوع الضباط المطرودين وكذلك المنقولين ، وكل هذه الإجراءات كانت لصالح الدروبي ، كما وضعت خطة بديلة لصالحه فى تلك الأيام على أن يكون زعيم حزب البعث ، وقد رفضها ، وهذا الموضوع لم تكن الجماهير تعلم به ، وإن كانوا قد أدلوا بمعلومات مضادها : أن الجندى حاول تأليف الحكومة ولكنه منى بالفشل ، وعلى هذا عاد صلاح البيطار فى ١٣ مايو ليؤلف مجلس وزراء بسيطر عليه حزب البعث وأصدقاؤهم (حيث كان ستة من الوزراء الجدد من البعثيين ، وستة آخرون من المستقلين الموالين للبعث ويعتمد عليهم) ونركت ستة مقاعد شاغرة للأحزاب الأخرى الذين رفضوا — بالطبع — شغل هذه المناصب (٢) .

إننا لسنا متأكدين من دقة هذه القصة الغربية ، وهناك مصادر مختلفة أكدت جزءا منها ، وأنكرت باقى المعلومات الأخرى ، وقد أكد البيطار أن الدروبي زار عبد الناصر فى القاهرة ، والأتاسى ، ولو أن اسم الدروبي كان بين الآخرين الذين لهم الأولوية فى ذلك الجاسم ، وكان من المتوقع أن الدروبي يجب أن يؤلف حكومة مسئولة من الشخصيات الأساسية لحكم سوريا حتى استفتاء سبتمبر ، وما كان مؤكدا أنه لا أعضاء حزب البعث ولا منافسوه — أخذوا بكل صراحة — مسألة ترشيح الجندى بنوع من التهرب — وعدم الاكتراث ، ولكن هذه الفكره خدمت بصفة أساسية كغطاء لمناورة أخرى غامضة ، فربما ظن حزب البعث أن من المفيد أن يعرض لغز الجندى للجمهور ، حتى يقال بكل الصدق — ولو أنه

(٢) لقد اضاف المؤلف اخيرا بعد الرجوع الى « نزيه الحكيم » رئيس التحرير السابق لصحيفة « الوحدة العربية » بأن المسئولية تقع فى هذا الصدد على عبد الناصر ، وسامى الدروبي الذى أوحى اليه بذلك .

خال من أى معنى — أنه حتى اللابعضيون حاولوا وفشلوا باقناع الناصريين ليتفاوضوا بطريقة معقولة .

ومن الواضح أن زعماء حزب البعث وصلوا الى نتيجة بعد محادثات القاهرة هى أن أية انفعالات خطيرة تغذوها لأنفسهم كان من المحتمل أن تستخدم كلائعات معلقة لمطالب أكثر ضد هؤلاء ، وربما يهدف الاطاحة بهم من الساحة السياسية ، ولو أنه كان هناك تقسيم متساو حقيقى لهذه المناصب مع الشخصيات الأخرى ، ولكى يستعبروا اصطلاحا بوضعهم بين « المطرقة والسندان » أما بالنسبة لتطهير الجيش ، على الرغم من عدم وجود انقلاب تأمرى ضدهم ، فانه وضع كاحتمال دائم وخاصة أن الأزمة بين السياسيين المتشددين ، وضعت اسنراتيجيتهم فى ورطة ، حيث اتهم مالوا الى وحدة كوسيلة شرعية لهم مع الشعب السورى وكضمان لأنفسهم ضد الوسائل المصرية للمضايقة والتخريب .

وبالنسبة للرئيس عبد الناصر فانه اذا نظر اليهم بعين الرضا سيكون مكسبا كبيرا ، ومن ناحية أخرى فان الثمن الذى طلبه لنفسه وتياية عن مؤيدبه السوريين كان خطيرا جدا ، متذكرا تجاربهم معه أيام الوحدة فى عام ١٩٥٨ . من أمثال هؤلاء الرجال : ميشيل عفلق وصالح الببطار ، مما جعله حذرا لتجربة ثانية . ومن الواضح أن الحزب قد انقسم بين هؤلاء الذين يأملون بكل اخلاص قيام وحدة جديدة كنوع من الائتاع الأيدبولوجى ، وهؤلاء الذين هم فى غالب الأمر يقبلون وحدة بشروط تكون فى صالحهم الى حد كبير ، والذين فشلوا فى الحصول عليه ، ولكنهم أيضا يمكنهم أن يتدبروا تجارب عبد الناصر الخاصة مع سوريا منذ عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦١ ، وهذه المرة لم يكن عندهم أية رغبة لعرقلة قيام الوحدة ، وعلى هذا كان عبد الناصر باستمرار فى محادثات القاهرة يرى

ضرورة مشاركة كل القوى السياسية في سوريا ، أو على أقل تقدير أن يترك تمهيدا لقيام وحدة مشروطة ، وتقوم على أسس دستورية ، ويترك سيطرة سوريا بصفة أساسية لحزب البعث شرط أن يحتفظوا بمكانة اسمية في الحكومة لهؤلاء السياسيين السوريين الذين وثقوا بهم ، ألم يتحدث عبد الناصر تكرارا أثناء محادثات القاهرة ؟ وبرغم ما يساوره من الظنون ، فإنه يقبل أى شكل أو أى مستوى من الوحدة وليس مجرد وحدة لها أهداف عليا . عندئذ لماذا لا يمثل حزب البعث سياسة الأمر الواقع وذلك باحكام السيطرة الكاملة في سوريا ، وأيضا في العراق ، وعلى وجه الخصوص منذ أصبح من الواضح أن السياسيين السوريين الناصريين ان لم يكن عبد الناصر نفسه ، كانوا مصممين على حرمان البعث من أن تكون كفته أرجح من غيره من القوى السياسية .

وهكذا أعلن المتحدث باسم الجيش السوري في ٦ مايو ، أن عملية تطهير الضباط في القوات المسلحة ليست من عمل أحد ، ولكنها من فعل الجيش السوري نفسه ، وقد أضاف قائلا : أننا لن ندخل الوحدة على أساس ظروفنا في سوريا . . . وليس على أساس أنها رغبتنا مع الآخرين . وفي ٢٠ مايو صرح مصدر حكومي للصحافة « أن سوريا تعتبر النزاع الحالي بين المجموعات الوجودية ، نزاعا داخليا محضا ، وهي قادرة على إيجاد الحل لهذه المشاكل في داخل سوريا ولن تسمح لهذا النزاع أن ينعكس ، ويعرض قضية الوحدة للخطر ، ولهذا فمن الأفضل أن يترك هذا الأمر باعتباره مشكلة داخلية » .

وفي ذلك الوقت كان هناك بعثيون آخرون يشعرون باكتئاب شديد لأن حزب البعث — الذى كانت رسالته لمدة عشرين عاما التبشير بالوحدة العربية — يجد نفسه الآن في هذا الموضع المزرى .

صحيح أنه غاب عن الساحة السياسية رجال بارزون — وهم ثلاثة — عن مجلس الوزراء الثاني برئاسة صلاح الببطار : الدروبي، وجمال الأناسي ، وعبد الكريم زهور، وقد استمر الدروبي والأناسي في خدمة النظام ولكن بقدر أقل مما سبق (٣) فقد انفصل عن الحزب هاربا الى المنفى في بيروت ، وعلى الملأ ندم على مواقفه السابقة ، لقد أعلن أن وحدة عام ١٩٥٨ سيعاد تنظيمها قبل أى شئ آخر يمكن تنقيذه . بعد ذلك وبالقاء الضوء على محادثات القاهرة ، فإن رحيل عبد الكريم زهور كان حدثا دراميا فقد كان الشخص الوحيد المناسب من بين كل المشاركين في المحادثات ، وكان لديه الصلابه ويبدو شجاعا واثقا من نفسه ويتميز بالذكاء واليقظة التامة في حضور عبد الناصر ، ولكن الانتهازيين لعبوا دورا مهما في هذه الفترة ، ومن ثم يبادر الى الذهن سؤال حائر لا يمكننا الاجابة عنه ، هو : من المسئول عن هذا الموقف الشاذ ؟

لقد زعمت بعض الجهات المسئولة أنه كان غاضبا لأن يكون تحت إمامة مشيل عذلق وصلاح الببطار ، المكلفة لحد ما ، وكان يشك أنه قليل الامكانيات في مجال العمل السياسي (ومعروف عنه أنه دخل البرلمان عام ١٩٥٤ كمحام لأكرم الحوراني في حماة) . ولو أن سارته في القاهرة كان متماسكا . كان من الواضح أنه ليس بالصريح المرغوبة التي قررها زعماء الحزب والتي كانت تكتيكية ضرورية لمواجهة الموقف ، وكان يأمل أن يكتسب حظوة في الحزب ،

(٣) عين الدروبي بعد فترة سفيرا في المغرب ولكن بعد فترة قصيرة جدا قطعت العلاقات السورية المغربية حيث أمضى أربعة أشهر في الرباط ، بدون تقديم أوراق اعتماده ، وفي خريف ١٩٦٤ سئحت له فرصة أن يصبح رئيس الوزراء ورئيس الموقف السياسي في سوريا لأنه كره كما ذكر ذلك لصحفي أجنبي . وبدلا من ذلك قبل وظيفة سفير في بوسلافيا ، وأخيرا أصبح سفيرا في باريس .

وبعد انهيار العلاقات مع عبد الناصر لانتهاجه سياسة صعبة على الدوام ، كما كان غاضبا آنذاك عندما فشل في تطوير دوره نتيجة موقف بعض الأعضاء البارزين في الحزب ، ولكن ليس منبم بمشبل علق ولا صلاح البيطار اللذين تكفيا معه .

وخلال هذه الأحداث استمرت كل من الحكومة السورية والعراقية تتحدثان ونعملان كما لو كانا تتوقمان انجرا لافضة القاهرة ، وقد اضطررتا في الواقع الى ذلك ، ولو أنهم حملوا انطبعا بأنهم عاشوا منجاوزين التزامنهم المالية وأن مسؤولية فشل الوحدة تكمن في اجراءات الوحدة وأسلوب مناصرتها وقد حوصر الضباط الموالون لعبد الناصر واتخذت عدة اجراءات لمساندة صورة النظام الودوى الاشتراكى ، وقد تم القبض على عدد من السياسيين والضباط المحافظين ، وانهموا بجريمة اتصال عام ١٩٦١ ، الجريمة التى وقع عليها صلاح البيطار نفسه فى وقت ما ، بينما حرم الآخرون من حقوقهم المدنية ، فالبنوك السورية أمها عبد الناصر فى عام ١٩٦١ ، وقد أعلن سببا لذلك فى الاعلان التفسيرى الرسمى ، بأن البنوك كانت كبيرة ، ومن ثم كانت تميل الى السيطرة على الحكومات المتعاقبة ، وهناك سبب آخر ، أنها كانت صغيرة جدا ، ومن ثم عاقت الاقتصاد القومى ، وخطوة ثالثة هى تبنى سوريا والعراق لعلم جديد بثلاثة نجوم يمثل الوحدة التى لم يقدر لها أن تخرج الى حيز الوجود (٤) .

ان مصر لاتزال ترفع علما بنجمتين ممثلا للوحدة التى انهارت تماما فى عام ١٩٦١ ، وفى وسط كل هذه الأحداث يكمن عنصر عبث وبطلان ، وهذا ما يلائم الموقف لأنها كانت نتاج موقف سخيظ ظهرت

(٤) تصريح بتاريخ ١٩٦٣/٥/٥ (محاضر جلسات المفاوضات)

فيه الربوز لكى تحصى كل شىء ، وفى الحقيقة لاتحصى أى شىء ،
والغريب فى الأمر أن المتحدثين بلسان حزب البعث ينسبون
الناصرين السوريين بأنظاع الأسماء ، وفى نفس الوقت يمكنهم
الاستمرار فى الماضى فى محادثات الوحدة مع عبيد الناصر نفسه ،
ويصنعوا هذه الوحدة بقولهم : أنها حتمية تاريخية .

وبعد اخماد تمرد الناصرين فى حلب ، فان أمين الحافظ وزير
الداخلية ذهب الى الاذاعة لبدین المحاولة القذرة ، ويصفها بأنها
مؤامرة ضد الشعب ، وضد مستقبل الوحدة بنفذهها مجموعة رخيصة
تمرت على هذا السلوك ، وسرقت شعارات الشعب التى كان
غرضها أن تفرق مدينة حاب فى بحر من الدماء (٥) .

وهكذا ، وبعد أسبوعين من توقيع اتفاقية القاهرة بدأت
الدعاية تنجر لتبلغ ذروتها ، وقد أغلقت الصحف اللابعثية فى
سوريا وألقى باثنين من المحررين المؤيدين لعبد الناصر فى سجن
المرّة مع السياسيين الانفصاليين ، وهذا السجن سجن مظالم شهير
يسجن فيه كل السوريين البارزين ، الذين يمثلون كل ألوان الطيف
السياسي والذين أخذوا أدوارهم فى العيش تحت الأنظمة المختلفة ،
ومنهم ألقى سراح الجنرال لؤى الأتاسى ، الذى قال
مبتجعا لعبد الناصر « أنا سنجيله الى متحف » . وفى ١٤ يونية
عام ١٩٦٣ اختصت صحيفة البعث محمد حسنين هيكل محرر جريدة
الأهرام فى القاهرة ، والمعروف بصداقته عن قرب بعبد الناصر
بأنه مختص بالبلديات ، وببيروقراطى ، وبرجوازي ، والذى تناقض
عقليته واهتمامه تفكير الثوريين الحقيقيين ، وقد قتلت الصحيفة
يوم ٢٦ يونية عام ١٩٦٣ (ان حزب البعث قد قرر أن يتحمل
المسئولية كاملة للدفاع عن التوجه الودودي ، واعلاء صوت

(٥) اذاعة دمشق - حديث سياسى فى ٨/٥/١٩٦٣ .

الوحدة مع من يؤمن بها دون أن يكون هناك مكان لامثال هؤلاء أدوات اللعبة ، الانتهازين ورجال المباحث عملاء الخدمة السرية المصرية) .

وفى ١٣ مايو حدث فى العراق انقلاب حيث أعاد النظام العراقى البعثى تنظيم نفسه ، ونوالى الهجوم على العناصر الموالية لعبد الناصر فى وضع مشابه فى الشكل والموضوع مع نظيره السوري . أعلن مجلس قيادة الثورة الوطنى العراقى مدعيا أن جهوده للتسوية قد تم رفضها بالرغم من المحاولات الكثيرة للثورة لكى تقويم جبهة قومية فى أوقات قويات، محاولات متعددة « للاغاطلة » لكى تضع العراق فى طريق اقامتها ، وفى أوقات أخرى بتعطيل التخطيطات الرامية الى تسفيه هذا الهدف النبيل ، ومرت تلك اللحظة التآمرية ، والمحاولات الدنيئة التى نفذتها هذه المجموعات والتى كانت اسنهلالات لتنفيذ مؤامراتها الخبيسة ، وكان الهدف هو ضرب التنظيمات ، التى تحمى آنذاك الثورة وتدمر الحرس الوطنى ، وتذبح الجيش ، وتهاجم كل التنظيمات الشعبية .

لقد أرادوا فى البداية أن ينتشروا الفوضى ، ويفرقوا العراق فى بحر من الدماء بعدها تسقط كل الاتجاهات التقدمية الوحودية التى انبعثت من ثورة ١٤ رمضان . واقامة نظام دكتاتورى رجعى يعارض لشعب العراق « ان العناصر التى تأمرت ضدنا مجرد مجموعات ليس لها أهمية ، وقد انفصلت عن الشعب وهم أصحاب حركة القومية العربية الرجعيون ، ومن المحتمل أنهم أنصار عبد الناصر والانتهازيون ، والعناصر الفوضوية الأخرى التى خضعت لنظام عبد الكريم قاسم » (٦) .

(٦) محاضر جلسات الوحدة ص ٢٧٥ عام ١٩٦٣ .

ولم يحسب لتلك الاتهامات أن تسهل عمل بناء وتحالف مع الناصريين ، ولم يقم راديو بغداد بالرد في ٢٥ مايو ١٩٦٣ فقد قسرت " سميون والانتهازيون والجبنة في الكراهية والدناءة ، مثل خنثاء مذبذبة ، تخاف من الضوء ، وتخشى مواجهة النعيب ، استمر نشر الكراهية السوداء السامة ، والاشاعات المخللة ، انها تعكس روحهم الضعيفة الانتهازية ، ان الثورة مستحقة في تقدمها كل الأقسام الذين يتفنون في طريق العداوة الذين أرشدوا الشعب نحو مستقبلهم العظيم في صيحة ١٤ رمضان .

خلت الحكومة المصرية ابان شهرى مايو ويونيه ملتزمة بالصمت التام ، بينما الصحافة والاذاعة في القاهرة تنتقد بحدة اصرار حزب "بعث السورى في احكامه السلطة ، وخاصة تطهير الجيش السورى من غير البعثيين ، انها فعلت ذلك بكرامة نسبية اقترحتها وهى يحدوها الأسف والقضب ، وقد حذرت الأهرام في طبعة يوم ١٤ مايو ، بعنوان « سوريا في طريقها الى كارثة مروعة » وبعد ذلك بدومين اشارت أن البعث قد خطط لاستنزاف مصر لتسحب من اتفاقية الوحدة ، تاركة الطريق مفتوحا لوحدة ثنائية مع البعث العراقى ، أما عن العراق ، فان المصريين لم يذكروا الا القليل جدا ، لقد تركت لذلك اذاعة سرية تبث من الاقليم المصرى « صوت الأمة العربية » لترد على البعثيين العراقيين يوم ٢٦ مايو ١٩٦٣ .

« ان دم ميشيل عفلق والبيطار ثمن تصحيح انحراف حزب البعث ، اقتلوا هذين الخائنين ، فانكم ستقطعون ذيلا طويلا للاستعمار البريطانى ، وان اى انسان يقتلها فانه سيقدم طوقا للأمة العربية التى لن ينساها التاريخ العربى » .

وهكذا كانت أصوات الوحدة العربية تمثل تلك القوى ، التى انقضت لى تحتل بوحدة الاهداف « بتأليف تحالفات » وقد أخذ

أعضاء حزب البعث السوري خطوة أبعد لكي يعززوا موقفهم بطرد
 وتفى رئيس هيئة الأركان الميجور جنرال زياد الحرى في لقائه
 من يوليو أى بعد أسبوعين من المناورات الخفية التي بدأت باقية
 ثلاثين شخصا من مؤيديه بسلح الأكراد بينما كان مسافرا في
 زيارة إلى الجزائر ، وربما الجيش السوري يمكنه السيطرة على
 شتونه ، وذلك بالالتجاء إلى المؤامرات الخفية التي استخدمت ضد
 الحريري ، وكان معلوما أن رئيس أركان حرب الجيش ممنوع من
 زيارة الجبهة السورية العسكرية في سوريا ، وبقي في
 هذا الصدد أن الناصريين سالم حاتم ، وأبراهيم العلي من حزب
 البعث شجعاه لكي ينظم انقلابا ، وارتبا بعد ذلك الإجراءات لتجريبه
 إلى الجبهة في صدد مدونة سحرتهما ، ولكن الحريري ادعى
 بطريقة سليمة ، أبعاد هذه المؤامرة ، وهذه كانت مصيدة تعرضه
 للاتهامات بالتمرد والخراب والانهيار ، وبعد تعامل عدة
 أيام تم انعقاد مجلس قيادة الثورة الوطني وتقرر طرده ، ومع ذلك
 فإن الطموحات المزعومة للحريري قد أثارت عدم ثقة أعضاء حزب
 البعث والناصرين بطريقة مشابهة ، ويظهر صديقه الرئيس في
 بلاط الحكم ، لكي يكون البيطار في وداعه بالمطار تتفرق الدروع
 في عينه ، وعندئذ أصبح الحافظ الذي كان من قبل نائب رئيس
 الوزراء ، ووزيرا للداخلية ، ونائب الحاكم العسكري ، أصبح الآن
 رئيسا للهيئة ، ويعمل وزيرا للدفاع أيضا ، وقد رقى إلى قائد أعلى ،
 وبسرعة ظهر في الأفق كقوى شخصية في سوريا ، وبقي له أن
 يحل محل لؤي الأتاسي كرئيس لمجلس قيادة الثورة الوطنية والقائد
 العام للقوات المسلحة يوم ٢٧ يوليو ، وفي شهر نوفمبر التالي كان
 يلي البيطار ، وأضاف إلى مناصبه السابقة منصب رئيس الوزراء ،
 وأصبح هذا الوضع أمرا لا يصدقه أحد .

وفي ١٨ يوليو وعندما وصل القائد لؤي الأتاسي إلى الاسكندرية

بناقش مع عبد الناصر العلاقات السورية المصرية المتدهورة حدثت في دمشق أكبر حركة ناصرية على نطاق واسع ضد نظام البعث ، لقد كان شيئا مختلفا عن الانقلابات السابقة لسبب واحد حيث كان النمط التقليدي للانقلابات هو دخولها دمشق الساعة الثانية او الثالثة صباحا ويتم بكل هدوء القبض على الشخصيات البارزة ، وتحتل المباني الهامة ، وهكذا .

أما في مثل تلك المناسبة فقد ظهرت المحاولة على المسرح عند الظهيرة ، وعندما كان الناس في الشوارع كان هناك خلط من التمرد المدني والعسكري في أنحاء المدينة وقتها ، بينما في مناسبات عديدة تواجه الأنظمة بتمردات سلمية لا تشكل خطرا بالغا وسرعان ما تنهار .

كان البعثيون مصممين مهما كانت التكاليف أن يبقوا اليد الضاغطة ، وقد أحكموا قبضتهم على الجيش ، واستغلوا الحرس الوطني ليجرد التمرد بأية وسيلة بما فيها الدبابات والمدفعية والطيران ، وبدون أي تمييز صوبوا مدافعهم الطائشة . . وتم احصاء القتلى بما فيهم نسبة كبيرة من المواطنين الأبرياء بلغت عدة مئات .

كما لجأت السلطات الى نمط غريب في السياسة السورية ، حيث تم القبض على عشرين شخصا ، ووضعت وجوههم أمام الحائط وأطلق عليهم الرصاص ، وقد تمكن أعضاء أول وزارة برئاسة البيطار والجنرال لؤي الاتاسي وغيرهما من المشتبه فيهم من الهروب الى لبنان ، وفرض حظر في دمشق ، أما لؤي الاتاسي الذي لا يزال وقتها يمثل درجة من القبول على طموح حزب البعث فقد شوهد في أحداث ١٨ يوليو ، وهو منهار القوى للاطاحة بكل جهودته ويهدوء نحى من مكانه الى أمين الحافظ .

٢ — انهيار البعث وعبد الناصر :

مع فشل هذه المحاولة التي جرت في ١٨ يوليو ، فإن الحوار الذي كان بين حزب البعث وعبد الناصر قد انهار تماما والذي كان قد بدأ بمحادثات القاهرة ، ولم يعلم به عبد الناصر كما التزم حزب البعث الصمت التام ازاء اعداد اتفاقية ١٧ أبريل ، والتزم عبد الناصر — وقتها — الصمت التام ، كما ألقى في ٢٢ يوليو خطابا هاجم فيه بشدة حزب البعث وبطريقة لأذعة معلنا « اننا لا نعتبر أن جمهورية مصر العربية مرتبطة بالنظام الفاشي السائد حاليا في سوريا بأى هدف عام ، هذا مستحيل ، عندما يبنى نظام على الخداع والخيانة ، انه نظام لبرس وحدوي ولا اشتراكيا ، ولكنه الانفصال اللا انساني واللا أخلاقي ، اننا لا نعتبر أن حكومة دمشق تمثل سوريا ، التي معها وقع اتفاق الوحدة الثلاثية ، ولكنه مرتبط بالقوى العربية القومية الثورية » .

وأضاف قائلا : « ان سوريا وشعب سوريا منعزلون عن النظام الفاشي الحالي ، ولهذا قررنا أن هذا الاتفاق سارى المفعول كما أن سوريا الحقيقية جزء منه ، ولكن هذا النظام لا يربطنا بالنظام الفاشي البعثي ، ان موافقتنا على هذا النظام الفاشي كشريك في الوحدة سيكون عودة الى نفس الشيء ، عودة الى خيانة قضية وحدة العرب ، وخيانة للشعب السوري الذي يملك وحده حق اصدار وتسوية القرار ، اننا لا يمكننا ولا يمكن للشعب السوري أن نأمل أن نتوحد تحت ظلال من هياكل حمامات الدم والذبح بطريقة جماعية (٧) » .

(٧) مرجع سبق ذكره ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ — خطب جمال عبد الناصر

عام ١٩٦٢ ص ١١٨ .

والفائضة كانت الكبيبة التي أطلقت النار بدون سبب على الشعب السوري البريء ، وهذه الكبيبة هي التي انتهت الى الحزب الاشتراكي القوي السوري في ادانته لصلفه المتأصل وتنظيمه التأمري المضاد وطويحه الدكتاتوري ومدى تعطشها للعنف ، وكذلك علاقاتها المزعومة بالاستعمار الانجليزي الأمريكي .

لقد تبكنت الشيوعية في الاتحاد السوفيتي أن تؤثر على ميل هذه النظم الراديكالية في العالم بمثل هذه الشعارات التي لا تمت الى واقع الشعوب بأنة صلة ، ولو أن المرء يمكنه أن ينخدع في بادئ الأمر بمثل هذه الشعارات الزائفة والتي لا يمكنها أن تحقق رفاهية الشعوب اجتماعيا أو اقتصاديا .

وحزب البعث السوري ليس وحده الذي وقع في هذا الشرك كما أن حزب البعث السوري عجز عن تنفيذ القوانين الاشتراكية على مدى عامين ، كما أنهم عجزوا كذلك أن يصـددروا تشريعا اجتماعيا ذا أهمية فما هم الا جماعة ذات ميول فائضة ليس الا .

ولقد رد مجلس قيادة الثورة الوطني السوري على هجوم عبد الناصر وذلك بالحديث عن موضوع آخر كله اغتراءات واكاذيب بأن هاجموا التقارير الخاصة بمحادثات الوحدة الثلاثة والتي نشرت في صحيفة الأهرام ، وأذيعت من اذاعة القاهرة ، قالوا ان ما تم نشره به الكثير من المغالطات كما تم حذف الكثير منه خاصة فيما يتعلق بأقوال الوفد السوري .

وقال المجلس السوري الوطني في سوريا ان نقطة خلافنا مع عبد الناصر كانت حول وجود نظام تمهيدى يسبق الوحدة الحقيقية ، كما حدث خلاف حول نسبة تمثيل الشعب في كل اقليم بالاضافة الى مسألة التمثيل السياسى لكل القوى الوحدوية ، كما اعترض

عبد الناصر على عدم ادخال العناصر غير الوجدوبة والتي لبس لها تمثيل أو منظمة ، كما كان الجانب المصرى يصر بدوره على عدم المساس بالسلطات التى يتمتع بها الرئيس وكذلك المناصب الموكولة اليه .

وقال مجلس قياده الثورة الوطنى النورى : وبرغم هذا فقد وافقنا على الاستمرار فى المحادثات من أجل الوحدة العربية لتجنب الفرقة ، وحتى لا تخب آمال العرب .

ولكن حزب البعث رد على كل ما جاء فى هذا الحديث قائلاً : « لقد نشر المصريون محاضر الجلسات بكل دقة دون أن تحذف منها أو تضاف إليها أية جملة أخرى » .

وعقب عبد الناصر باستهزاء شديد فى خطاب له بقوله :

« لقد نشرنا نص المحادثات التى جرت فى القاهرة حتى لا يذهب ميشيل علق ويجلس فى مقهى ويقول : أنا جلست هنا لثلاث ساعات وعرضت أفلاسهم الفكرى وأنا عبرت بأفكار عظيمة » (٨) .

ولكن مجلس قياده الثورة الوطنى كافح لكى يلقى على عبد الناصر فشل الوحدة ، وذهبوا فيما وراء الحقائق فى بيانهم واشتكوا :

« لقد ادعى يوما الانفصاليون أنهم لم يريدوا وحدة مع عبد الناصر لذلك انه ليحزننا أن نسمع به الآن يعلن عن عدم وجود وحدة مع حزب البعث ، ترتفع الوحدة فوق الحزب ، وفوق الشخصيات . انه قدر تاريخى وتفتيته يشكل جريمة

(٨) أحاديث عبد الناصر ١٩٦٣ ص ١٥٢ .

تاريخية ويصر المجلس الثوري الوطني على الإعداد للميثاق ويعتبر الغاءه سواء كان نابعا من وهي الضهير أو كان غير ذلك فهو عودة الى نفس الشيء ، عودة الى الانفصال نظرا للتركيب العقلية الأيديولوجية كان الدرس الذي رسمه عبو الناصر (٩) .

((ان وحدة شرعية وطبيعية هي شيء أكيد وحتمي ، ولكن هذا يتطلب أن تحلل أسسها ، اعتقدنا سابقا أن الثورات العربية التقدمية ، تقدم وحدة محتملة ، ولكن في أيامنا هذه مفهوم الوحدة نفسه أزمة في حد ذاته ، أنني بدأت أشعر أن الثورات السياسية لا تسبب وحدة أوتوماتيكيا أو مشاهدة قضائية ((عبد الكريم قاسم)) التي تلاها البعث فيما بعد أن نتيجة هذه الثورات انحراف وأثنية وهشاشة ، وجدد ما في الماضي أننا يمكننا أن نتعاون مع كل المجموعات الوطنية أو المنظمات . لقد ثبت الآن أننا لسنا مخطئين ، ويبدو أن مثل هذا النوع من التعددية للأنشطة الوطنية تؤدي بنا الى صدامات ، ولهذا فإننا يجب أن نبدأ بأن ننظر الى الأمام ، الى المستقبل ونستخلص الدرس ~~المناسب~~ من هذه الأحداث ويجب أن ننظر الى المستقبل في ضوء جديد)) .

وبينما كل قطر يتفاخر بحزب ، تبدو الوحدة مستحيلة تماما ، ان المعارضة السياسية الحقيقية ستهبط الى الاقليمية ، فسوريا في نزاع مع مصر ، والعراق في نزاع مع سوريا وهكذا ، ولكي تبزغ الوحدة يجب أن تغلب على كل العقبات الانتهازية اللااخلاقية، يجب أن تنطلق حركة قومية عربية موحدة تضم كل الحركات التعصبية في العالم العربي (١٠) .

(٩) أحاديث عبد الناصر ١٩٦٣ ص ٣٥٦ .

(١٠) المرجع السابق ذكره ص ٣٣٣ .

وهكذا فإن مفهوم : أساس الوحدة العربية قد اضمحل الى خطوة أبعد » وجدنا أن الوحدة شعار يحض على تعاون كل الدول العربية بصرف النظر عن نظمها الداخلية وقد أصبح بعد سبتمبر ١٩٦١ وحدة أهداف مكتنفا كل الحركات القومية الراديكالية ، والآن أصبح ظاهرا أن الاشتراكيين والنوريين قادرون على التناصر مع بعضهم البعض لأنهم كانوا رجعيين ، وربما أكثر من ذلك لأن المنظمات الحزبية الراديكالية كان لديها مدل لأن تصبح سبجينة أيديولوجيات احتكارية ولكي ترى نفسها كمتفد قومي لا يمكن الاستغناء عنه .

ومع وقوع تمرد دمشق فى ١٨ يوليو ، فقد أخذ البعثيون الناصريون فى سوريا حذرهم ، بثوة منظمة ، لقد تم تنقية هؤلاء الوجوديين بالجيش أو قبض عليهم ، وان كانت معظم الزعامات المدنية قد تمكنت من الهرب لمنفى فى بيروت ، حيث شنوا حملة صحافة وإذاعة ضد نظام البعث ، ولكن بدون أية خطورة ، أملا فى استمالة متمردين أكثر ، وفى سوريا حطمت الأحداث منذ انفصال عام ١٩٦١ الطموح المعنوى لكل السياسيين فى وقت أصبح فيه السياسيون التقليديون هم الضحية مع أنانيتهم وخجلهم ، فى حين أصبح الناصريون مع هيمنتهم عاجزين عن أن يقدموا شيئا أفضل من العودة الى النظام المصرى الذى سيطر على وحدة عام ١٩٥٨ — ١٩٦١ وأصبح الآن البعثيون مع قسوتهم وتمردهم ، والصفقتان الأخيرتان ان لم تكونا تعزiza الجمهورية بطريقة أم بأخرى فانهما قد ساعدتا الحزب على أن يكون فى قوة ليحكم قبضته .

وفى ١٨ يوليو حدث التماحن البعنى الناصرى الذى لايزال لم يصل الى موقف واضح ، مع تعدد العناصر غير البعنية فى سوريا ولايزال باب التعاون مع مصر مواربا ، فان عبد الناصر لم يستنكر علنا اتفاق الوحدة ، ولايزال بفطرته وغطته يقسابل

بمعيين من دمشق ، ولا يزال محافظا بحذر شديد على العسلاقة
الودية مع حزب البعث العراقي ، وهكذا فان هناك صلة غير
مباشرة مع السوريين ، غالبعت يؤدي خدمة مهمة تسفهية الى
الوحدة والى عبد الناصر شخصيا ، بينما كان أعوانه
— المهرجون — يستنكرون تأجيل بيان عام كبديل لخطة وحدة
تلائية .

وبحلول ١٨ يوليو زالت كل هذه الملابس ، واختفى
الناصريون من الساحة السياسية ، لدرجة أن عبد الناصر نفسه
أعلنها حربا شعواء على حزب البعث حتى أن عبد السلام عارف
— الذي لا ينتمي الى أى حزب سياسى أو بعثى ويحتفظ بصداقة
وطيدة مع عبد الناصر — مازال يساهم بكل ما يملك فى تهدئة
الأوضاع فى الوطن العربى حتى نهاية شهر أغسطس .

وقد بدأت الآن رئاسة حزب البعث الوطنى تنشر بياننا على
الملأ ندين فيه النظام الحاكم فى مصر ننسها على أمل أن تصلح
من أوضاعها ، وكانت هذه محاولة جديدة ، ويتبادر الى الذهن
أن هذا كان نتيجة لما ورد فى كتابا المحدثات السابقة الخاصة
بالوحدة (١١) :

— عبد الناصر : ماذا تأمل لتحقيق هذه الوحدة ، صحيح
نظام عبد الناصر ؟

— البيطار : لا . . .

— عبد الناصر : هل تنوى تصحيحه أو لا تنوى ؟

— البيطار : ليس كله ، ما نريده هو تبادل التجربتين فى
—وريا ومصر .

— عبد الناصر : ما هى التجربة السورية ؟

(١١) انظر محضر المحدثات يوم ١٧ سبتمبر ١٩٦٣ — مرجع سبق ذكره ص ٣٧٧

٣ - المفاوضات العراقية السورية :

حقيقة كان تقريراً عظيماً ، بعد ١٨ يوليو بفترة قصيرة ، فان زعماء حزب البعث بدأوا الحديث عن إمكانية قيام وحدة ثنائية : سورية عراقية ، وبدأت المفاوضات التهديدية لهذه الفكرة تحرز تقدماً قبل نهاية شهر أغسطس ، وهكذا أيضاً سمح البعث العراقي أن تنتهي روابطهم مع عبد الناصر . وفي ١١ أكتوبر اعتذر عبد الناصر بنفسه في خطاب له الى عبد السلام عارف عن عدم القيام بزيارة مزمعة الى بغداد .

وأصدر حزب البعث بياناً في ١٧ سبتمبر باسم رئاسة الحزب الوطني التي شملت أعضاء بارزين في الحكومة العراقية بالمضي في محادثات الوحدة مع سوريا ، وأثناء زيارة عارف لسوريا ثم الانتهاء من اتفاقية الوحدة الاقتصادية ، وفي ١٨ أكتوبر وقعت معاهدة للوحدة العسكرية وأصبح وزير الدفاع العراقي الجنرال المهدي عماش القائد العام للجيش المتحدة للقطرين بالإضافة الى منصب رئاسة الأركان في دمشق ، وبعدها بفترة قصيرة أرسل لواء من القوات المسلحة السورية الى العراق ليشترك في عمليات ضد تمرد الاكراد في الشمال من العراق ، واتخذ المجلس الوطني للقيادة القومية لحزب البعث ، والمجتمع - في ذلك الوقت - في دمشق قراراً يطلب فيه الاعلان فوراً عن قيام وحدة فيدرالية كاملة بين البلدين (١٢) .

ان قيام وحدة فيدرالية بين القطرين : السوري والعراقي كان ينظر اليها بقلق شديد في القاهرة ، ولم يكن هذا الأمر هيناً

(١٢) في ٢٧/١٠/١٩٦٣ (النص الكامل لمحادثات الوحدة) ، مرجع

سبق ذكره ص ٤٣٨ ، ٤٤٤ .

على القاهرة نتيجة للأحداث الملاحقة في المنطقة ، وبالنظر لسباق الأحداث في الأشهر الحالية من حركة نضال بين البعث ومنافسيه القوميين العرب في دمشق وبغداد .

وقد أشار عبد الناصر أثناء محادثات القاهرة الى مطمح البعث في « المطرقة والسندان » الذي كان من المفروض أن تقع مصر بينه في أحداث الوحدة الثلاثية ، ولو أن ذلك — بدون شك — سيكون له أثر سيء بالنسبة للرأى العام حيث أن حادث الوحدة الثلاثية بين دمشق وبغداد يمثل انهزاما ساحقا — لدى الرأى العام — لسياسة الحكومات المصرية التي تعاقبت على الحكم في مصر منذ عام ١٩٤٤ والتي كانت تعارض أية وحدة في منطقة الهلال الخصيب تستعد منها مصر .

ان مصر كانت نحرص دائما أن تكون الرائدة في الوحدة العربية ، وحرصت على ذلك على وجه الخصوص بعد قيام ثورتها ، ولذا فقد كانت مصر تنظر بحذر شديد للرئيس شكري القوتلي حتى عام ١٩٤٩ وبعدما حسنى الزعيم ، وهناك في العراق نوري السعيد والأمير عبد الله ولغيف من قيادات حزب البعث ، ومن ثم بعد كل هذه المراحل قيام الجمهورية العربية المتحدة ، وما كان من عداوة بغيضة مع عبد الكريم قاسم بالاضافة الى العداوة التقليدية للشيوخيين العرب والابقاء — على كره وهضض — على العلاقات مع البعث العراقي الممز الى حد ما عن البعث السوري . كل هذه السياسات والاعتبارات كانت في مخيلة الرأى العام المصري ، وتطفو فوق الحدث الحالي الذي تشغل الرأى العام العربى وهو قيام وحدة بين العراق وسوريا ، أو بمعنى آخر خلق محور جديد في السياسة العربية بين دمشق وبغداد ، وآلآن في شهر نوفمبر عام ١٩٦٣ كان بدوي ليصر بأنه أصبح لا حول ولا قوة لها للتصدي لمثل هذه الوحدة .

ان فشل الوحدة السورية العراقية لا يرجع ذلك بسبب معارضة مصر لها بقدر ما يرجع ذلك الى عدم موافقة البعث العراقي على سياسة البعث السوري ، فان الجناح الأول قام بسبك الدماء والتآمر والابادة التامة للشيوعية والشيوعيين ، واستمر الوضع هكذا خلال العامين الأولين لحكم عبد الكريم قاسم ، فقد أسس البعث العراقي على قوتهم العسكرية والحرس الوطني الذي كان ولاؤه الذي زرعه بعناية في معظم القيادات البعثية المدنية الطموح « على صالح السعدي » نائب رئيس الوزراء ، وبناء قوتهم وامتيازاتهم لدرجة أنهم تملكوا وحسداتهم من القوات الجوية الخاصة بهم . هذا بجانب قوات الحرس الوطني بما في ذلك ضباطه المعارضون ، وضموا اليهم كذلك القوات العسكرية النظامية .

وقد كان لهذا التنظيم معارضة قوية من زعماء الحزب البعثي المدني ونخص منهم طالب شبيب ، وحازم جواد ، وتنامت الشكوك في تية السعدي لأن طموحه كان يوظفه من أجل أهداف سياسية خاصة به . وكانت شخصيته وسط هذه المجموعة عاملا معوقا نظرا لما امتاز به من صلف وكبرياء وميله الى عدم الاكتراث بسياسات واجراءات الحزب التي تم تأسيسها .

وفي يوم ١٣ مايو كان السعدي مايزال مصرا على المراوغة في اجتماع لمجلس الوزراء ولهذا تمكن الأعضاء من اقضاء السعدي من وزارة الداخلية ، تلك الوزارة التي ساعدت الحرس الوطني في نجاح الانقلاب العسكري ، وحتى لا يسعى - مرة ثانية - لاستغلال نفوذه وسلطانه ، وأسند اليه منصب وزير الاستعلامات والارشاد القومي ، ولكن خاب ظنهم اذ تمكن السعدي من أن يستغل امكانيات هذه الوزارة بما يتناسب مع تطلعاته وطموحاته .

وفى ١١ نوفمبر اجتمع المؤتمر الاقليمي للحزب العراقي ، وقرر اسقاط عضوية الحزب عن السعدي ، وحمدي عبد المجيد أحد مؤيديه (سكرتير الحزب الاقليمي) وتم شحنهما على أول طائرة متجهة الى مدريد . وعلى هذا فقد تفجر الموقف في الحرس الوطني المؤيد للسعدي ، وحدثت أعمال عنف دموية ضد العناصر المعارضة في الحرس الوطني ، بل اهدت أعمال العنف والقتل الى العناصر المعارضة في القوات المسلحة ، وأطلقت طائرتان بمائتان نيرانهما على قاعدة الرشيد العسكرية خارج بغداد ، وكذلك مهاجمة القصر الجمهوري حيث يتواجد خصوم السعدي ومعارضوه ، وشهدت شوارع بغداد معارك دموية بين الطرفين .

وتمكنت القوى المؤيدة للسعدي استمالة كل من سبب وجواد، ونفيهما الى خارج الحدود ببيروت ، وتم حل رئاسة الحزب الاقليمية وحل محلها مؤقلاً سلطة مباشرة من الرئاسة وتم التمثيل فيها بالتساوي بين الحزبين البعثيين العراقي والسوري ، وأصبح كل من : ميشيل عفلق وأمين الحافظ وصالح جديد يمثلون سوريا ، أما ممثلو العراق فهم : حسن البكر وعماش وعبد الستار عبد اللطيف ، ولكن لوحظ بعد ذلك أن حزب البعث العراقي بدأ يقلل من أهمية زعماء الحزب المدينيين ، كما أن الحزب بدأ حملة تطهير واسعة النطاق داخل صفوفه .

* * *

٤ - نظام عبد السلام عارف :

ولكى يواجه عبد السلام عارف ما حدث داخل الحزب ، وتمرد الجيش وكذلك الشعب الذي قام به الحرس الوطني اتخذ عدة اجراءات في ١٨ نوفمبر ، فقد أصدر أوامره باسم مجلس قيادة

الثورة الوطنى ، ومنح نفسه — عبد السلام عارف — سلطات واسعة النطاق فى ظل قانون الطوارئ ، وعلى هذا فقد أصدر قراره بحل الحرس الوطنى ، وشكل وزارة جديدة ، وأصبح الجنرال طاهر يحيى رئيس أركان حرب الجيش رئيسا للوزارة ، كما أصبح العميد حردان التكريتى قائد القوات الجوية وزيرا للدفاع ، كما أسند الى الجنرال أحمد حسن البكر منصب نائب رئيس الوزراء .

لقد كان أعضاء الوزارة هم أبرز الشخصيات فى حزب البعث العراقى ، وهم أبرز الشخصيات التى ظهرت بالعراق من خلال الأحداث طوال التسعة الأشهر الماضية ، ولكن قبل ذلك أصبح من الواضح أن كل السلطات فى يد عبد السلام عارف الذى كان له تحفظات دينية وغير متحمس للنظام الاشتراكى وله علاقة وطيدة بعبد الناصر مما جعل بقية أفراد حزب البعث غير مرتاحين لهذا الاتجاه ، ولكن من الملاحظ أن ركائز حزب البعث اخفت وتقلصت فى النظام الجديد بفضل تزايد الشعور القومى للقومية العربية .

وفى صباح ٢١ نوفمبر ألح عبد السلام عارف عن قصد فى مؤتمر صحفى بقوله : « ان الأحزاب غير السياسية منحت الاذن لى تعمل منذ ثورة ٨ فبراير عام ١٩٦٣ (١٤ رمضان) حيث كان يتناول الطعام مع كل من : طالب شبيب ، وحازم جواد — بوجود رئيس الوزراء — اللذين أخطأ بعودتهما الى بغداد قادمين من بيروت فى أوائل عام ١٩٦٤ وبدون الحصول على اذن السلطات وموافقتها، وعندئذ أجبروا على ركوب طائرة خاصة الى القاهرة لى يعيشا فى هدوء هناك تحت اشراف السلطات المصرية ، ومن قبل كان صالح العمائش قد أرسل الى القاهرة فى نوفمبر ، وأخبرا فان التكريتى قد تم نفيه الى استكهولم للعمل كسفير ، وانهم أحمد حسن البكر

بالتواطؤ والاشتراك في مؤامرة وتم وضعه في سجن بغداد ، وعاد نظام عبد السلام عارف الجديد نحو الصداقة مع القاهرة وفي خلال الأسابيع القليلة بعد ١٨ نوفمبر ، فإن المعركة الاعلامية في منطقة الشرق الأوسط لم تعد بين القاهرة ودمشق ، ولكن أصبحت بين دمشق وبغداد بحيث يراوح العراقيون والسوريون بأعلامهم المعروفة ذات الثلاثة النجوم في وجه بعضهم البعض ، وهكذا بدأ فصل جديد في أفق السياسة العربية .

* * *

الفصل الخامس

الردة - قمة القاهرة يناير عام ١٩٦٤

- ١ - عقد أول قمة عربية بين الملوك والرؤساء
- ٢ - أسباب أخرى لانعقاد مؤتمر القمة العربي بالقاهرة
- ٣ - الدكتاتورية العسكرية

لم يعد مفهوم الوحدة العربية يتطلب لقاءات لحكام الأمة العربية لتصوير الصمود بين حكوماتها ، لقد تجاوز مظهر الثورة الاجتماعية ، مثل هذا المفهوم السطحي للوحدة العربية ، والميثاق الوطنى لدولة الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦٢ . وبنية عام ١٩٦٣ دخلت دول عربية كبرى فى مشاحنات مع بعضها البعض فى آن واحد ، أكثر من ذى قبل ، فقد كانت سوريا والعراق مع مصر ، ومن بداية شهر نوفمبر بدأت المشاحنات بين سوريا والعراق ، وفى نفس الوقت كانت مصر والسعودية فى مواجهة عسكرية من أجل تحديد مستقبل اليمن ، حيث كان ما يزيد على ٤٠ ألف جندي من القوات المصرية على أرض اليمن تساعد ثورتها منذ اندلاعها فى سبتمبر عام ١٩٦٢ ، وفشلت القوات المصرية فى احراز نصر نهائى من أجل نزاع فيما بينهما على الحدود ، كما كانت الجزائر فى نفس الوقت فى نزاع مع جارتها الأخرى تونس ، ولهذا فترت العلاقات بين تونس والمغرب منذ اعتراف تونس باستقلال موريتانيا .

ولا ننسى أن مصر كانت تعادى الأردن ، وكذلك العربية السعودية . ونظرا لبدأ أيديولوجى انحازت مصر الى جانب الجزائر ضد جاراتها ، ورأت سوريا أنه من أجل الأيديولوجية المظهرة تعادى كلا من الأردن والمغرب ، ولهذا كانت تتبادل الشكاوى مع لبنان حول حوادث الحدود ، ومن بين الثلاث عشرة دولة من الدول العربية ، كانت هناك ثلاث دول على وفاق مع الجميع وهى : الكويت

(التى خضع لها نظام عبد الكريم قاسم فى العراق) والسودان وليبيا .

ولكن من الملاحظ أن الغالبية من هؤلاء تتناحر ، مهما كانت أحوالها الخاصة : النظام البورى ضد النظام المحافظة أو المعتدلة ، مصر والجزائر والعراق وجمهورية اليمن وسوريا ، وكل هؤلاء بطريقة مخابرة ضد بقية الدول ، ولكن من بين هذه النزاعات كانت أكثرها حرارة وأقلها قابلية للحل ما كان بين الحركات الثورية المتنافسة فى دمشق والقاهرة .

ومن الملاحظ أن العراق شاطعت جلسات الجامعة العربية فى عام ١٩٦٢ ، ثم تلنها مصر حيث كان الاستياء بسود الكويت وسوريا . كما اشتكى الودويون العرب الأكثر راديكالية ، اذ كانوا يعتبرون جامعة الدول العربية عقبة فى سبيل وحدة العرب ، بدلا من أن تكون عامل تجمع للعرب جميعا ، وأصبح لكل دولة مظهر للسيادة الداخلية ، والجامعة العربية كانت عقبة أمام المد الثورى فى الوطن العربى .

ان نجاح ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ترك أنرا عميقا فى أذهان الوطنيين العرب بأن الجامعة العربية لم يعد لها أى دور مؤثر فى الترابط العربى الداخلى أو أن تكون أساسا للتضامن العربى ، وأصبح العالم العربى تتنازعه قوتان : قوة ثورية وأخرى محافظة .

وان الصراع المصرى السورى فى غضون عام ١٩٦٣ ولد كراهية وبغضاء بين الحركات الثورية فى الوطن العربى ، وكانت الحركات الثورية طموحا ، فإن ثورة مصر كانت طموحاتها فى بعض الأحيان أكثر من قدراتها ، وعندما تشتد النزاعات المصرية العربية تتحطم ، فقد حدث هذا فى عام ١٩٥٨ حينما تأججت العداوة بين

مصر والأردن والعربية السعودية إذ كان الخلاف مركزاً بين نظام ثوري وآخر ملكي .

كما أن هذه الصراعات مع مصر يرجع تاريخها إلى عام ١٩٥٥ حينما اشتد الصراع حول مقاومة مصر لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط ، ثم تجمدت هذه الصراعات بين الدولتين إبان العدوان الثلاثي على مصر في نهاية عام ١٩٥٦ وأوائل عام ١٩٥٧ ولكنها بلغت أشدها عند زول القوات البحرية الأمريكية على أرض لبنان عام ١٩٥٨ .

وبلغت السياسة المصرية أقصى نجاح لها عقب انسحاب القوات المعتدية (انجلترا وفرنسا وإسرائيل) من أرض مصر ، وتألقت هذه السياسة عقب الوحدة المصرية السورية عام ١٩٥٨ ، كما تباعدت الخطوات بين مصر وبعض الدول العربية عقب مساعدة مصر لثورة اليمن في عام ١٩٦٢ .

١ — عقد أول قمة عربية بين الملوك والرؤساء :

في نهاية عام ١٩٦٣ ، ومى ذروة النشاحن والبغضاء الذي ساد العلاقات العربية ، حدث تقارب سريع ومفاجئ وبأسلوب درامي لا يصدق عقل ، ولا يتفق مع المنطق ، فبعد قليل كانت صحافة القاهرة تتبادل الاتهامات المعتادة مع دمشق وعمان والرياض ، وبعد ثلاثة أسابيع شهد مطار القاهرة مواقف غاية في الغرابة لحدوثها بدون مقدمات ، إذ أقبل عبد الناصر ليحتضن سعود وحسين في مطار القاهرة ، وبطريقة مؤدبة مهذبة ، كما أقبل عبد الناصر يسلم على أمسن الحافظ بحرارة شديدة ..

لقد اجتمع ملوك ورؤساء الدول العربية في القاهرة في اجتماع قمة للوحدة العربية ، وساد الساحة العربية روح الأخوة والصداقة ، وكانت المصالحة في فترة قصيرة لنسوية كل الخلافات العربية ، وعادت التمنيات القلبية ، والتسامح المتبادل ، تسودهم روح العصبية العربية كأن شيئا لم يحدث من قبل ، وكانت اسرائيل على وشك الانتهاء من مشروعها الخاص بتحويل مياه نهر الأردن ، وهكذا يتبادر الى الذهن أن اسرائيل وسياساتها كانت السبب المباشر في ازالة كل العقبات والعراقيل التي تعترض طريق الوحدة العربية (عملا بالمثل العربي : وقت الشدائد بعرف الاخوان) .

وانتا لن ندخل في تفاصيل النزاع الدائم بين اسرائيل والدول العربية حول استخدام مياه نهر الأردن . وهنا ملحوظة بسيطة « لا توجد خطط اسرائيلية لتحويل مياه نهر الأردن ، وبرغم هذا فقد نال هذا الموضوع اهتمام العرب جميعا منذ فترة طويلة » وقبل أن تستكمل اسرائيل الخطة أعلن جميع الزعماء العرب ، أن مثل هذا التصرف بشكل عملا عدوانيا اسرائيليا ضد حقوق العرب ، وهددوا بمواجهة ذلك العمل بالقوة ، كانت تلك الكلمات رخيصة في السنوات الماضية قبل استكمال اسرائيل للمشروع ، وارتفعت حدة المعارضة الوطنية في سوريا ، والتلويح بالقومية العربية في مواجهة السياسة الاسرائيلية ، وان كانت غير مستعدة للقيام بأى عمل عسكري لمواجهة السياسة الاسرائيلية .

ان التلويح بشن حرب من قبل مصر والأردن ضد اسرائيل يبدو أمرا خطيرا ، فالدولتان لا تتحملان تبعات اعلان الحرب ضد اسرائيل التي تتحرض دوما بسوريا ، فالأمر ليس هينا ، إذ من المحتمل أن يفقد الملك حسين الضفة الغربية لنهر الأردن ، وربما يفقد عرشه أيضا ، وبالنسبة لعبد الناصر ربما يفقد نفوذه وهيئته ،

وهو الآن في موقف لا يساعده على اعلان حرب ضد اسرائيل ،
فنصف جيشه مرابط على أرض اليمن ، والأسوأ من ذلك أن أية
هزيمة عسكرية تشكل عارا مهينا للأمة العربية كلها ، ووقعت
الدولتان عاجزتين عن تقديم أى عون عسكري لسوريا .

ان عبد الناصر كان في موقف لا يحسد عليه ، فأى عمل يقوم
به ، تنعكس آثاره ليس عليه فقط إنما على العرب جميعا ، وفي
نفس الوقت لن يسعد حزب البعث السوري رؤية عبد الناصر
منكشها ، ولما كانت مصر غير مستعدة لاعلان الحرب أو المشاركة
فيها ، اذن كان من الضروري جعل الحكومات العربية الأخرى
نشارك علنا في تحمل المسؤولية ولو معنويا لآى قرار يتخذ في هذا
الشأن ، ولذا فمطلوب من الدول العربية أن تتكاتف لتشارك في
الضغط على السوريين ليوقفوا حملاتهم الاعلامية ضد العرب ، ففي
تلك الأثناء كان يجب اتخاذ خطوات ايجابية ، اذ يمكن للعرب أن
يعلنوا حربا سريعة قصيرة ، محدودة ازاء اقدام اسرائيل على
تحويل روافد نهر الأردن في سوريا ولبنان والأردن ، وبرغم أن
مصر لن تضار من هذا الاجراء ، فان قدرها التاريخي يحتم عليها
أن تساند العرب ونشد من أزهرهم ولا تتخلى عنهم في مثل هذا
الموقف .

وفي ١٧ ديسمبر نشرت مجلة روزاليوسف الأسبوعية مقالا ،
تضمن موضوعين أساسيين : أولهما : أن الجمهورية العربية المتحدة
لن تزج بنفسها في معركة مع اسرائيل قبل أن تتوصل الى وحدة
شاملة مع العرب ، وثانيهما بدا كأنه يناقض النقطة الأولى وجاء
به أن الجمهورية العربية المتحدة تعرف كيف ومتى ستخرج اسرائيل
من فلسطين ؟ وهى تدرك قدر نفسها بأنها قادرة على حمل هذا
العبء وحدها .

وقد استنكر الشعب السوري ، وأعداء عبد الناصر المغال الذي نشر ببجلة روزاليوسف ، ونددوا بها ، مؤكدين بأنها ارتكبت جريمة قومية كبرى لم يرتكبها عملاء الاستعمار والرجعية (١) ، وجرّت مقارنة بين شخصية عبد الناصر والمارشال بيتان Pétain الذي سلم فرنسا الى الغزاة الألمان في عام ١٩٤٠ ، وعاقبه الشعب الفرنسي فيما بعد — بغض النظر عن مجده التليد — في معركة الفردن Verdun ، وكذلك هاجم السوريون عبد الناصر — برغم سابق مجده — في حرب السويس ١٩٥٦ (٢) .

وبينما كان حزب البعث لانزال يشن هجومه على مجلة روزاليوسف . كان عبدالناصر يخطب في جماهير بورسعيد ، مهاجما حزب البعث السوري ثم تحول الى موضوع فلسطين قائلا : « لابد أن نواجه إسرائيل التي تنحدي العرب جميعا ، والتي وقفت مسئولاها الكبار معطينين : أنها ستحول الماء من نهر الأردن وتعمل ضد ارادة العرب جميعا ، وعلى العرب أن يفعلوا ما في امكانهم أن يفعلوه » .

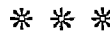
ولهذا فقد أعلن عبد الناصر قائلا : « لابد أن يجتمع العرب جميعا بغض النظر عن المنازعات و المشاحنات السائدة بينهم ، فمن أجل فلسطين يجب علينا أن نرتفع عما بيننا من خلافات ومشاحنات ويجب علينا أن نجلس جميعا معا ونتجادث بكل جدية في الاجتماع ولن يكون هناك أي عيب لو خرجنا ونحن نقول اننا لا نستطيع اليوم استخدام القوة ، اننا سنقول لكم الحقيقة ، سنقول لكم كل كلمة قيلت . . اننا لن نستخدم القوة اليوم لأن ظروفنا لا تسمح لنا فليس أمانا الا الصبر ، وبرغم هذا فان معركة فلسطين ستستمر ومعركة

(١) البعث السوري في ١٩ أكتوبر ١٩٦٣ .

(٢) نفس المصدر ٢٣ أكتوبر ١٩٦٣ .

بالأخصان ويدعون بعضهم البعض بالابتسامات وبأرق المشاعر الأخوية ، ولكن من الملاحظ أنه لم يشر أى وفد من الوفود المجتمعة الى الرغبة فى اعلان الحرب ماعدا أمين الحافظ الذى اتخذ مكانا ليتابع المتحدثين الآخرين حول موضوع تحويل روافد نهر الأردن فى سوريا ولبنان والأردن . ووضعت خطة قابلة للتنفيذ ، ومن ثم فقد تشكلت قيادة مشتركة للدفاع العسكرى تحت القيادة المصرية .

ولم يكن يهم كم من السنوات يستغرق تنفيذ المشروع العربى ، ردا على خطط اسرائيل ؟ ولكن الشئ الأهم الذى أدركه الوفد السورى للهولة الأولى : أن الحكومة المصرية لم يكن لديها أية خطط عسكرية لاعلان الحرب على اسرائيل ، وبذلك خابت آمال الحكومة السورية فى تحقيق رغبتها الجامحة لثوريطة عبد الناصر فى حرب ضد اسرائيل ، ووضعها فى مأزق يصعب التخلص منه .



٢ - أسباب أخرى لانعقاد مؤتمر القمة العربى بالقاهرة :

ذكرنا مسألة تحويل مياه نهر الأردن كحافز فى عملية مصالحة العرب . لقد كانت بدون شك السبب العاجل والرئيسى لاستقدام ملوك ورؤساء العرب الى القاهرة على عجل لعقد قمتهم الأولى ، ولكن هناك -- بدون شك -- أسبابا أخرى غالبة فى الأهمية .

وحكومة مصر ارتفعت بنفسها كثيرا دون التوقف عند بعض الملاحظات التى كانت منذ أيام قليلة مضت بينها وبين كثير من حكومات الدول العربية ، ومن ثم أصبح لازما على مصر أن تجابه خصوصا لها بتصفون بالرجعية ، وتتأخى مع منافسين ثوريين لها فى سوريا ، وأذابت كثيرا من ركाम الجليد المتراكمة فى طريق العلاقات المصرية العربية بمجئ شهر ديسمبر عام ١٩٦٣ .

ومن اللافت للنظر أن موقف كل من الملك سعود والملك حسين وكذلك حزب البعث السوري ، كان يتسم بالإيجابية بخلاف ما كان متوقعا منهم ، وكان من نتائج هذه القمة التوصل الى تسوية مسألة اليمن مع السعودية بطريقة ترضى كل الأطراف ، وانتهى بذلك الموضوع الذي كان يشكل عبئا ثقيلا مدمرا للاقتصاد المصري منذ سنوات مضت .

ويُتساءل المرء في حيرة ، لماذا كان من السهل بالنسبة للرئيس عبد الناصر أن يستأنف الصداقة مع الملوك المحافظين في الأردن والسعودية ، أكثر من هؤلاء الذين يشاركونه الاتجاه الاشتراكي في دمشق ؟ ربما يتخيل المرء أن هناك أبعادا في السياسة العربية كانت مصر تطمح في تحقيقها منذ يناير عام ١٩٦٤ .

وعودة مرة أخرى الى العلاقات المصرية السورية ، فقد كان الطريق الى الصنح والففران عما مضى أكثر صعوبة مما لو كانت توجد مشاكل مادية بين البلدين ، فقد أثر أمين الحافظ أن يظل يوما آخر في القاهرة على أهل رؤية عبد الناصر ، في وقت انبرت فيه الصحف البعثية في التكهّن بحدوث هذا الأمل ، ولكن في المقابل كان التقارب المصري العراقي قويا ، وأصبح على السوريين أن يفكروا في « المطرقة والسندان » وان كان البعث حقق لهم أدنى هدف لتثبيت سيطرتهم في سوريا . وان كانت دلالة للاستقبال الصامت الذي قوبل به أمين الحافظ في القاهرة ، ففي مصر يقدرون موقف البعث ، ولكن سياسته غير مقبولة لدى الشعب المصري .

ويرجع السبب في فتور العلاقات بين البلدين ، لأن الفتور في القاهرة أعرق مما في دمشق حيث أن مفهوم أعضاء حزب البعث واهتماماتهم السياسية يرجع في المقام الأول الى الأثر الذي تركه محادثات الوحدة التي جرت بالقاهرة من قبل .

كذلك كان في إمكان عبد الناصر أن يحسن من علاقاته مع كل من حسين وسعود ، إذ أن الخلافات بينهما ليست جذرية انما كانت بشكل طارئ ، وكان في إمكان الملكين أن يفعل ذلك أيضا ، ومن ثم ففي الامكان استئناف العلاقات معهما في أية لحظة يختارها الرئيس عبدالناصر وهما في نفس الوقت سعيدان بصداقتها له .

ويختلف الأمر حول علاقة عبد الناصر نحو البعث ، فالأمر يختلف ، فهم مجموعة من الراديكاليين ، ومن ثم كان لابد من مساومتهم لتعود العلاقات معهم الى سابق عهدها . وهم البعثيون — كانوا يبحثون عن نقطة البداية مع عبد الناصر للعودة لهذه العلاقات ، التي كانت — فى واقع الأمر — تشكل تهديدا لزعامة عبد الناصر فى العالم العربى ، وبرغم هذا فمازال موقف عبد الناصر منهم يتخذ طابع الرفض من الناحية الرسمية على أقل تقدير فى وقت كان فى امكانهم فيه قبول كل ما يشترطه عليهم ، لأنهم يدركون أن زعامتهم المحلية كانت رهينة بتقريبهم من عبد الناصر ، وكيف له هذا ، وقلبه يمتلئ مرارة من حادث الانفصال الأخير الذى مضى عليه تسعة أشهر ؟ وكيف له ذلك وهو يرى الفساد والرجعية هى التى تحكم — سوريا فى الوقت الراهن ؟ وبينما البعث يحكم سوريا فهو مازال يحكم مصر ، ومن ثم فليس فى امكانه أن يتحكم فى تصرفاتهم الشخصية فى سوريا ، وفى نفس الوقت لم يكن لديه أى سبب ليهنئهم على سياستهم هذه فى سوريا .

* * *

٣ — الدكتاتورية العسكرية :

واضح حتى الآن من مجربات الأحداث أن سياسة عبدالناصر فشلت تماما فى سوريا ، ولكن دون أن يترك أى أثر سلبي على شخصية عبد الناصر ، اذ لم يراهن على سمعته على المكسب ، ولكن لمنع هؤلاء من استغلال هذا الموقف لصالحهم للحفاظ على الاستقلال المعنوى من مخالب حزب البعث ، اذ كان مؤتمر القمة فرصة سانحة لهؤلاء القوم .

وبالنسبة لخصومة السوريين في حزب البعث فقد تقبل نتيجة هذه المعركة دون رد فعل سيء ، فبعد الناصر له دولته التي يحكمها ويدير شئونها ، أما الناصريون في الأوطان العربية فقد كان مؤتمر القمة في القاهرة نأيذا ونصرا لهم بطريق غير مباشر ، ومن ثم فقد توقف نشاطهم المعادي — في الساحة العربية — لكثير من الأمور وان كان مؤيدو عبد الناصر السوريون في بيروت والقاهرة قد اجتمعوا في تشكيل جديد تقليدا للتنظيم الجماهيري المصري ، يسمى « الاتحاد الاشتراكي العربي » ونصب نهاد القاسم نفسه ككرتير عام لهذا التنظيم ، ورغم النشاط الانفعالي الذي يحدث من حين لآخر ، فقد كرر نهاد القاسم زيارته للرئيس عبد الناصر في القاهرة والاتفاق الذي حدث بعد اجتماعات مغلقة طويلة في مايو عام ١٩٦٥ .

ومن الملاحظ ان من الصعب أن نشاهد أي عمل ايجابي لهذا التنظيم الجديد ، سوى أنه كان بمثابة ناد للمتفعين ، مدامت مصر لم تساعدهم بطريقة ايجابية في الاطاحة بالحكومة السورية . لقد كان هناك شيء مخز حول تورط أعضائها البارزين (رجال في الثلاثينات والأربعينات من العمر أمثال هاني الهندي ، ولؤي الأتاسي ، وعبد الحميد السراج ، الذين تقلدوا مناصب كبرى . انهم الآن قد أدينوا في فترة غير محددة بالكل والخمود .)

ربما استشار نهاد القاسم عبد الناصر ، وما الذي نوقش في اجتماعات المنظمة ؟ لم نجد اجابة شافية حول هذه التساؤلات ، ولكن المرء يتوقع أن رغبة سوريا في التقارب مع مصر كانت أكثر حرارة في العلاقات بين البلدين في ذلك الوقت .

والحقيقة المؤكدة في هذا الموقف أن سوريا كانت تروم عودة العلاقات مع مصر بشكل أكثر حرارة ، ولهذا تولي هذه المهمة

جاسم علوان وهو ذلك الشاب الذي حاول احباط التمرد الذي حدث في سوريا في ١٨ يوليو خاصة في مدينة دمشق ، وفي تلك الاثناء وقف بعض الزملاء القدامى بعيديا ، وفي ذلك الوقت عاد سامي الصوفاني ليعيش دون فضولبة لديه في مدينة دمشق ، أما عبد الكريم زهور فهو شخصية متفردة تتصف بالشراسة ، وقد ترك حزب البعث في مايو ١٩٤٨ .

وسط هذه الظروف غير المباشرة ، كان هناك وقت كاف لدى الناصريين السوريين لتحدثوا فيما بينهم حتى يدركوا ابعاد الدرس الذي أدى الى فشلهم . والسؤال الاساسي هل كانوا مخطئين في قبول موقف ثانوي في حزب البعث الذي تولى رئاسة الحكومة بعد ٨ مارس عام ١٩٦٣ ، وان يقبلوا الصيغة الخاصة بحزب البعث أثناء المفاوضات الثلاثية للوحدة بدلا من الاصرار على اعادة تشكيل الوحدة الاولى مع مصر ؟ وذلك من خلال اندماجهم في حزب البعث ويشروطه ، وكان حزب البعث يدعو الى استقلالهم ، لكي يثبت قضيته على سوريا .

وهناك أجوبة كثيرة عن هذا السؤال ، فقد أكد هاني الهندي بصيغة أكيدة أنها وجهة نظره من البداية ، لقد انضم الى الحكومة واثبتت الأحداث أنه كان على صواب ، ورغم ذلك اعتقد نهاد القاسم أنه لم يكن هناك بديل عن اختبار مشرف ، ومن ناحية ثانية يعد تعاوننا هزيلا مع البعث طلبا لوحدة عربية ، وقد نبه الجنرال لؤي الاتاسي الى ذلك .

كما المح لؤي الاتاسي الى المؤلف « أنهما كانا على حق » ورغم رغبة الاتاسي الواضحة في ابعاد الشك لتعاطف البعث الذي يمكن أن يثار من تسجيله في المكتب : لقد أخبرت أمين الحافظ والآخرين مرارا أنهم يقودون سوريا الى « دهاليز مظلمة » تحديا للتواجب والمنطق التاريخي .

لقد عبر عن وجهة نظره بأن الفرصة السانحة قد ضاعت ، فلو أن أنصار الرئيس عبد الناصر كان لديهم صبر كاف لقبول تسلط حزب البعث حتى حلول ميعاد الاستفتاء العام في سبتمبر ، لأصبح في إمكان الوحدة الظهور الى حيز الوجود الرسمي ، ولو حدث ذلك فربما يثبت للبعث صعوبة البقاء في مواقعهم ، وان كانوا غير مستعدين للانفصال وأن يتحملوا مسئوليتهم ، ولكن مثل هذا المسلك يترتب عليه الآتي :

❶ **أولاً :** بالنسبة لحزب البعث فقد نجح في تعبئة موقف عبد الناصر والمتأصرين له في دمشق . حيث وقف حزب البعث بطريقته التقليدية ، بنشد الوحدة العربية ، حيث يشعر الآن بالانزعاج التام في سوريا ، إذ نادرا ما يحدث تقارب بينه وبين العناصر العربية الوحدوية الأخرى ، انه غير قادر في المستقبل بالمساهمة في شيء ايجابي يتعلق بقضية الوحدة العربية وهكذا وجدت سوريا نفسها تقف وحيدة في الساحة العربية حتى عن جيرانها .

❷ **ثانياً :** دافع الحزب عن الديمقراطية ، والحريات المدنية ، وكذلك الحكم المدني ، واكتسب الثقة في هذا المقام في مقاومته لدكتاتورية أديب الشيشكلي وفي نقده لحكم عبد الناصر في سوريا بعد عام ١٩٥٨ ، بينما لم يكن غير مهتم تماما بأية سياسات عربية أخرى .

وفي أوائل عام ١٩٦٤ كان من الصعب أن ترى مفارقات مهمة بين حكم الجنرال أمين الحافظ ، وحكم أديب الشيشكلي ، وتوقف نشاط الجانب المدني في الحزب نظرا لطموحات ميشعل عفلق ، وصلاح البيطار حيث عاد صلاح البيطار وزيرا أول ، ثم خرج ثانية من الحزب بناء على دعوة أمين الحافظ وكذلك حزب البعث ، كما

حل «مئيف الرزاز» محل مبشيل عطلق ، مع ملاحظة أن مئيف الرزاز ، طبيب من أصل سورى أمضى معظم سنوات حياته العملية فى الأردن ، ولم يكن له نفوذ فى السياسة السورية ، وفى ذلك الوقت انضم الى مجلس الوزراء هيئة مدنية كبيرة العدد بتأييد بعض أعضاء حزب البعث المدنيين البارزين .

ورغم أن مجموعة الضباط الذين يحملون رتبة عسكرية مثل أمين الحافظ ، كانوا أعضاء فى حزب البعث ، أو متعاطفين معه ، ومع مضى الوقت أصبحت هذه الصلة بشكل مؤقت الى حد ما ، ولأن أعضاء حزب البعث كانوا يأملون فى يوم ما ، أن يستخدموا اسم عبد الناصر فى تدعيم موقفهم ، ولكنهم الآن يستخدمون الجيش السورى ، ومن ثم فقد انتهى النضال بين عبد الناصر وحزب البعث ، وذلك بتسليم سوريا مرة أخرى الى أيدي مجموعة من العسكريين الدكتاتوريين .

الفصل السادس

تخطيط القمة

- ١ - مصر والسعودية والمشكلة اليمنية
- ٢ - مصر والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية
- ٣ - التحالف السوري المصري
- ٤ - العراق
- ٥ - حرب الأيام الستة

ان عهد المصالحة الذى بدأ بقمة القاهرة ، والذى استمر حتى عام ١٩٦٦ سرعان ما انهار بسقوط مدو ، وان كان خلال فترة الهدوء ، ظهرت بعض التطورات الايجابية مثل اجتماعات القمة فى مدينة الاسكندرية فى سبتمبر عام ١٩٦٤ ، وبعدها بعام اجتماع آخر فى « كازابلانكا Casablanca بالملكة المغربية ، اذ شهدت هذه السنوات جهودا متواصلة من اجل تكريس الامكانات العربية تجاه سياسة اسرائيل العدوانية ، كما اجريت مفاوضات بين مصر والسعودية وأمكن التوصل الى اتفاق بخصوص حرب اليمن ، هذا بالإضافة الى وقف الحرب الاعلامية بين عواصم الدول العربية .

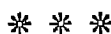
كان من بين الأسباب التى أدت الى تحطيم القمة العربية قسام مجموعة من السياسيين اليمنيين والمجهولى الهوية فى جمهورية اليمن بالاستيلاء على السلطة ، وشجعت مثل هذا العمل المملكة العربية السعودية وكان من نتيجة هذا العمل ردود أفعال سيئة فى الأوساط السياسية العربية ، خاصة مصر حيث كانت سوريا تجمع أمثال هؤلاء الأشخاص الطموحين نكاية فى مصر .

وساهمت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، وكذلك الاتحاد السوفيتى فى حدوث انهيار سريع فى اليمن وذلك بتشجيع ذوى النفوذ المتنافسين ، واستمر الوضع هكذا حتى نهاية العام ، وفى نفس الوقت كان العالم العربى قد انقسم على نفسه بشكل حاد ، وفى شكل محاور أيديولوجية .

ففى هذه المرة تواجه مصر محورا مكونا من السعودية والأردن وبذلك تم الفاء اجتماع القمة العربية المزمع عقده فى شهر سبتمبر بالجزائر ، ثم ظهور بوادر أزمة دولية كبرى تتدخل فيها القوى العظمى ومن ثم بات العالم مهددا بالخطر بشكل لم يسبق له مثيل منذ عام ١٩٥٨ .

وعلى هذا فان عودة الكفاح كان شيئا عارضا أو غير طبيعى بالنسبة للدول العربية ، وان أحداث اثني وعشرين عاما من تاريخ جامعة الدول العربية يوحى بأن الحزبية هى من الأمور العادية لأعضائها ، وكان فى إمكان الدول العربية التوقف قليلا لالتقاط الانفاس واعادة تنظيم صفوفهم بشكل أكثر جدية .

ولكن من الملاحظ انه بحلول شتاء عام ١٩٦٧ توقف النضال بين الدول العربية ، وبحماسة شديدة ، وان كانت هذه الحماسة قائمة على أساس من التناقض العميق فى الاتجاهات الأيديولوجية ، ومن ثم فمن الصعب إمكانية حدوث مصالحة عربية ، مادامت النظم الحالية فى السلطة .



١ — مصر والسعودية والمشكلة اليمنية :

فى سبتمبر عام ١٩٦٢ أيد عبد الناصر الثورة اليمنية كفرصة سانحة له لتخرجه من عزلته العربية التى فرضت عليه عقب انفصال سوريا عن جمهورية مصر العربية ، وليس استعدادا بذلك مكانته فى الشؤون العربية من أجل رفعة مصر ، باعتبارها تحتل الريادة الثورية .

أن مساندة السعودية للقوات الملكية اليمنية أصبح طريقا مسدودا وأمر لا طائل منه بعد أن ذهب الجيش المصرى الى أرض اليمن يساند القوات الثورية الشعبية ، وخلال هذه السنوات بذلت جهود مضنية من أجل إنهاء الحرب على أرض اليمن ، أولا عن طريق الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم عن طريق الأمم المتحدة كمرحلة تالية .

وفى أعقاب مؤتمر قمة الاسكندرية فى سبتمبر عام ١٩٦٤ وافق الرئيس عبد الناصر والأبىر فبصل — ولى العهد — على اجتماع الأحزاب اليمنية المعارضة معا ، على أرض محايدة فى السودان ، ولكن حتى هذا المؤتمر لم يتوصل الى أية نتيجة حيث كانت هناك كثير من الأمور والمشاكل والمصالح غير قابلة للحل أو التسوية بين مصر والسعودية من جانب ، وبين الجمهوريين والملكيين من جانب آخر . ومن الناحية النظرية كان من الممكن الاتفاق على رأى عام ، بحيث تتاح الفرصة لليمن لى يقرر مصيره بنفسه من خلال المصالحة العامة دون تدخل من أية أطراف خارجية ، ولكن السؤال المطروح هو أى طرف بمنى يمكن أن يقرر مصير اليمن ؟ وأية قوة خارجية تلك التى تحقق المبادرة بالانسحاب ؟ وبأية ضمانات ؟ أنها حقا مسائل معقدة .

لقد نشأ لدى الجمهوريين اليمنيين موقف سلبي ضد تواجد القوات المصرية على أرض اليمن ، نظرا لسيطرة هذه القوات على شئونهم . ولهذا فقد انشق بعض زعماء اليمن ليكونوا قوة ثالثة ، وحاولوا التفاوض — منفصلين — مع الطرف الآخر ، الملكيين والسعوديين وآخرين كان لهم نفوذ شخصى أكبر من أية قوة ، وخاصة شخصية مثل « أحمد النعمان » الذى كان رئيسا للوزراء وذلك فى ربيع عام ١٩٦٥ ، وكذلك شخصية مثل « عبد الرحمن الاريانى » الذى كان محتما بالوجود المصرى وكان على استعداد لتبادل وجهات النظر مع الحكومة السعودية ، وبقي صامدا متمسكا

برأيه المؤيد للنظام الجمهورى ، ومعادبا ومبفضا للنظام الملكى السابق .

وكانت مصر تؤيد ثورة اليمن لاعتبارات استراتيجية حيث ان حدود المحمية البريطانية فى عدن متاخمة لحدود الاتحاد الفيدرالى فى الجنوب اليمنى وكذلك العربية السعودية ، ومن ثم فقد كانت مصر تنظر الى ثورة اليمن باعتبارها مركزا ثوريا فى مواجهة الاستعمار البريطانى فى الجنوب العربى .

توصلت مصر أخيرا الى توقيع اتفاقية جدة مع العربية السعودية فى ٢٤ أغسطس عام ١٩٦٥ لانتهاء حالة الحرب على أرض اليمن ، حيث توقفت فجأة التهديدات المصرية بغزو الأراضى السعودية ، التى كانت تربل المساعدات منها الى الملكيين اليمنيين ، وسأغر عبد الناصر فجأة الى جدة لتبادل الاحضان الحارة مع الملك فيصل (وكان قد تولى الحكم بدلا من أخيه سعود فى نوفمبر ١٩٦٤) وتوصل كل من عبد الناصر وفيصل الى اتفاق يقضى باجتماع الجانبين اليمنيين الملكى والجمهورى فى « حرض » وهى قرية قريبة من الحدود السعودية ، وذلك بهدف ترتيب الأوضاع بانشاء نظام انتقالى بعدها ينظم الطرفان استفتاء عام على مستقبل البلاد ، ويتم ذلك خلال عام من تاريخه وستشرف لجنة (سعودية مصرية) مشتركة فى تلك الأثناء وهى فترة الهدنة التى تتوقف خلالها كل المساعدات العسكرية الخارجية الى الجانبين فى اليمن ، وعلى القوات المصرية أن تستعد من الآن للانسحاب من كل أرض اليمن على أن تستكمل جلاءها الكامل قبل التاريخ المحدد للاستفتاء .

ولكن من الملاحظ على اتفاق جدة (بين عبد الناصر وفيصل) فى ٢٤ أغسطس عام ١٩٦٥ أنه تم دون استشارة اليمنيين فى جدة ،

ولا حتى بتدبر ما كان اليمنيون يفكرون فيه ، على افتراض ان ما اتفق عليه عبد الناصر وفيصل سيكون مقبولا للجمهوريين والملكيين في اليمن ، ورغم ذلك فان اليمنيين كانوا أول من قلل من أهمية اتفاق جدة ، فقد تم حشد كل القوى المتنافرة في مؤتمر حرض ، وبذلك أصبح الطريق محدودا بالنسبة لرغبة الجمهوريين والملكيين ، فقد أراد الملكيون نظاما مؤقنا يعلن بعده عن تبسام « الدولة الإسلامية اليمنية » كوسيلة لتأجيل اعلان النظام الملكي ، أو النظام الجمهوري ، ولكن أصر الجمهوريون على « لقب الجمهورية » ، وأكثر من ذلك غير مستعدين لأن يشغل أفراد عائلة الأمام المخلوع أية مناصب سياسية بأي شكل من الأشكال .

ولم يكن معروفا على وجه التحديد ان موقف كل من المصريين والسعوديين كان سببا في عناد ورفض كل الأطراف اليمنية قرارات اتفاق جدة ، وفي نفس الوقت كان كل من عبد الناصر وفيصل يحاولان فقط كسب الوقت أثناء مؤتمر جدة ، حيث كان هدف عبد الناصر منع أى جدل حول موضوع اليمن حينما يتم اجتماع القمة العربية في « كازابلانكا » بالمغرب وحتى يكون أمام القوات المصرية متسع من الوقت لانسحابها من أرض اليمن .

أما فيما يتعلق بموقف فيصل ، فقد كان يهدف تجنب هجمات القوات المصرية ، وفي نفس الوقت تم ابرام اتفاق بين السعودية وأمريكا بشراء أسلحة دفاع جوى (انجليزية أمريكية) بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار ، وذلك على أثر فشل مؤتمر حرض .

ومما لاشك فيه أن مضمون اتفاقية جدة يمثل فشلا للسياسة المصرية ، التي تنص على انسحاب القوات المصرية من أرض اليمن ، على الرغم من تظاهر القوات المصرية بأنها كانت تمنى

فشل مؤتمر حرض بين الأطراف اليمنية المتصارعة ، ولكن مع مرور الوقت كان الفشل أمرا محتوما كما سنرى بعد قليل . اذ برزت اعتبارات جديدة تمنع القاهرة من سياسة المواجهة ، ولكن ذلك لم يبد في الأفق خلال المدة من أغسطس الى نوفمبر ، حيث جو المصالحة بين الدولتين العربيتين (مصر والسعودية) كان هو المظهر الوحيد في الأفق العربى .

لقد اعتقد كثير من الملاحظين في مؤتمر حرض ، أن معاندة اليمنيين (الطرف الجمهورى والملكى) كان عملية نفسية ، والملاحظ أن المصريين أبقوا على عبد الله السلال — وهو يؤثر الفتن والقتل للجمهوريين — بالقاهرة ، بينما رجل الساعة القوى فى اليمن هو « حسن العمري » رئيس الوزراء ، وكان معروفا أنه سيبقى فى العاصمة صنعاء ، تاركا الوفد الجمهورى فى حرض تحت رئاسة كل من الاريانى والنعمانى ، وكان من المفترض فيهما انهما من الشخصيات المعتدلة ، ولكن الاحداث أثبتت أن كلا من الاريانى وأنعمانى أظهرنا عنادا شديدا ، ليس حبا للمصريين ، وليس ابقاء للنظام الملكى المخلوع ، ومن جانب آخر ظهر أن العربية السعودية كانت ترحب بتسوية عادلة لصالح النظام الملكى المخلوع فى مواجهة النظام الجمهورى الذى كان يمثل موقفا شديدا الصلابة ، وربما يكون سبب توتر الموقف بين جانبي المفاوضين ، أن كلا الجانبين الجمهورى والملكى قد تعودا على تلقى المساعدات المالية الخارجية بسخاء ومن ثم يودان استمرار هذا الوضع بدلا من التوصل الى تسوية نهائية فى مؤتمر حرض ، وفض أسباب الخلاف والنزاع بينهما .

وعلى هذا أرجئت محادثات حرض حتى ٢٠ فبراير ، ولكنها لم تستأنف ثانية منذ هذا التاريخ ، وبحلول شهر مارس كان عبد الناصر يعلن أن جيشه قد تم اعداده ليبقى لفترة غير محددة ،

ثم جدد تهديداته بمواجهة القواعد السعودية مرة أخرى ، وبمثل هذه التصريحات حكم على اتفاقية جدة بالموت قبل تنفيذها .

ومما لاشك فيه أن سبب تهديد المصريين بالبقاء في اليمن يرجع بالدرجة الأولى الى تصريح وزير الدفاع البريطاني في ٢٠ فبراير بقوله : « أن القوات الانجليزية سيتم جلاؤها عن قاعدتها في عدن بجنوب اليمن بحلول عام ١٩٦٨ » مما جعل القيادة العسكرية المصرية تقابل هذا التحدي باستمرار بقائها باليمن .

ومن المحتمل أن القيادة المصرية تلقت وعوداً بمساعدة السوفيت وامدادها بما تحتاج اليه من أسلحة ، وان كان هذا احتمالاً بعيد الحدوث .

أو ربما يكون موقف الملك فيصل هو السبب في توتر القيادة المصرية ، وتهديداتها بالاستمرار العسكري على أرض اليمن ، وذلك حينما أعلن عن عقد « المؤتمر الاسلامي » من الدول الاسلامية لكي يعقد هذا المؤتمر في مكة . ومن الأمور اللافتة للنظر أن الملك فيصل قام بعدة زيارات رسمية للأقطار الاسلامية ، وتصريحاته العديدة التي تدعو الى التضامن الاسلامي ، الأمر الذي أوحى الى القاهرة أن مثل هذه السياسة تعد تحدياً لسياستها ، ومن المعلوم أن القاهرة كانت قد أنشأت « المؤتمر الاسلامي » عقب قيام ثورتها في عام ١٩٥٢ .

ولقد لاحظ المراقبون السياسيون أن زيارات الملك فيصل انحصرت على الدول الاسلامية المعتدلة - غير الثورية - فلم يتم زيارة سوريا والجزائر ومصر ، وكانت أهم سمة لهذه الدول الاسلامية التي قام بزيارتها أن علاقاتها مع مصر تتسم بالفتور ، وعلى سبيل المثال قام الملك فيصل بزيارة شاه ايران ، وكانت

العلاقات بين مصر وإيران يشوبها التوتر والكراهة خاصة بين شخصى عبد الناصر ومحمد رضا بهلوى .

وفى شهر ديسمبر عام ١٩٦٥ حينما وصل مؤتمر حرض الى طريق مسدود ، كان الملك فيصل مازال يواصل زياراته الرسمية نكابة فى مصر ، فذهب فى نهاية يناير لزيارة عمان كضيف على الملك حسين ، كما قام بزيارة تركيا والسودان وباكستان والمغرب وتونس (وكان رئيسها الحبيب بورقبة الذى كان معاديا للرئيس عبد الناصر) كما قام الملك فيصل بزيارة الأصدقاء النوريين لعبد الناصر غريبى الأطوار وهما الرئيسان المسلمان لقانا ومالى .

ولقد لاحظ المراقبون للأحداث أن جعية الملك فيصل احتوت على الكثير من المتناقضات ، فكيف يتم التواءم بين الاستقامة الدينية المتمثلة فى الملك فيصل والملكية الفكاكية المتمثلة فى الملك حسين ، كذلك بين الملك فيصل وكل من : شاه ايران والحبيب بورقبة ذوى الاتجاه العلمانى فضلا عن اتجاهات القادة الأتراك .

وعلى الجانب الآخر كانت الحكومات التى اقترب منها الملك فيصل ليس لها رغبة فى الشجار مع مصر ماعدا ايران وتونس ، وكان الملك فيصل لا يهتم بمثل هذه الجوانب ، ومستعدا نفسيا لتحمل هجوم مصر عليه ، وذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا كانتا تستخدمان فيصل ليعيد تنشيط النظم الدكتاتورية ، أو تنظيم المنظمة فى تحالف بساند الغرب ، وأن كان هذا الرأى مشكوكا فبا ، فليس من المنطق أن يكون هذا هو الهدف الأساسى لكل من الرباض ، ولندن ، وواشنطن . ان اصرار فيصل المتكرر ، بعد مهاجمة المصريين له ، أنه لن يكون تحالفا أو ينظم حملة ضد مصر ، بل أنه يرغب فى تشجيع عبد الناصر الزعيم البارز لأكبر دولة عربية اسلامية . ولأشك أن زيارات فيصل المنكرة اتت بنتيجة عكسية متناقضة مع ما كان يهدف اليه الملك فيصل .

لم يرحب أحد من العالم العربى بحدث القمة العربية مثلما رحب فيصل وحسين لأن عبد الناصر قدم اطار عمل للتعايش السلمى بين الدول العربية ، وكان عبد الناصر هو الزعيم الوحيد بين الزعماء العرب الذى بإمكانه الدعوة الى عقد قمة عربية ، وهو الذى بإمكانه أن يفعل ذلك ، حتى السوريون قبلوا حضور القمة العربية كوسيلة ضرورية لتخفيف ضغط القاهرة الساخن عليهم .

وكان القرار ، أى قرار بنهى حدث القمة ، كان حتما أن يكون قرارا مصريا ، ولقد كان خطأ أوليا بالنسبة لدور فيصل أن يتخيل أن بالإمكان تولى شئون المبادرة بدلا من عبد الناصر ، وأن يوسع دائرة نشاطه وقاعدته ، وهو دون أن يدري كان يسعى الى هدم اتفاق جدة . ولهذا يحق للمرء أن يتساءل : ما المعنى الحقيقى لمؤتمر جدة ؟ من أى منطلق قوة أو ضعف كان فيصل وعبد الناصر يتفاوضان ؟ لقد كان طبيعيا أن تبدو صحافة القاهرة المهالكى تؤكد أن عبد الناصر قد أجهد نفسه بتهديداته لمهاجمة الأراضى السعودية قبل لقاء جدة . وقد أبدى فيصل مخاوفه من أن مؤسسته العسكرية والسياسية ستتهار لو واجهتها مثل هذه الأزمة .

ومن استقراء صحافة القاهرة ، فإن عبد الناصر ذهب الى جدة باعتبار أنه القائد المظفر . . صانع السلام . . ورحل عن جدة — باعتراف السعوديين — وهو يعتقد أن الثورة تمخض عنها النظام الجمهورى فى اليمن ، كان لزاما على مؤتمر حرض وما يليه من اجراء استفتاء أن بصادق على مثل هذه النتيجة التى فى ذهن عبد الناصر ، وعلى هذا فإن القوات المصرية ستسحب من أرض اليمن بعد أن تكون قد أدت مهمتها على أكمل وجه ، لتبدأ بعد ذلك فى مواجهة اسرائيل ، وهكذا أكدت مصر دورها التاريخى والريادى فى الوطن العربى .

أما عن وجهة النظر المعاكسة لاتفاق جدة ، كما هو فى مخيلة كثير من الزعماء العرب ، فهى تصور أن عبد الناصر وهن عزمه ، وضعف على أرض اليمن بعد جهد متواصل على مدى ثلاث سنوات ، ومن ثم فإن سياسة عبد الناصر تعد سياسة فاشلة ، وأنه هزم على أرض اليمن ، ولهذا فقد كان عبد الناصر يبحث عن مخرج يحفظ له ماء وجهه حينما ينسحب بجيشه من اليمن .

ولكن لو حدث هذا فإن كثيرا من نداعيات الأحداث سوف تترتب عليه ، إذ سينهار صمود الجمهوريين فى مؤتمر حرض لأنهم يعتمدون فى موقفهم الصلب ، على تأييد مصر لهم ، وقواتها التى ما تزال مرابطة على أرضه . كما سبترتب على ذلك اعتراف الجمهوريين بالملكين على قدم المساواة ، وثالثة هذه النتائج أنه سوف يحدث رد فعل سئىء للزعامة المصرية خارج الحدود تحت صدمة هذه الهزيمة ، وستظهر مرة أخرى كما حدثت فى انفصال سوريا عام ١٩٦١ من الجمهورية العربية المتحدة ، ويقول كثير من الزعماء الشامتين بقولهم : « ان الثورة المصرية كانت غير قادرة على ضبط الأحداث فى أراض عربية أخرى ، وهى التى ورطت نفسها فيها عن كسب » .

وحقيقة ان مثل هذا التورط أثار ردود فعل غامرة مضادة ، إذ كانت اليمن أرض اختبار للنضال من أجل انتصار المد الثورى المصرى خارج حدود الوطن ، ولو قدر للملكيين الانتصار كان هذا سيشكل ضربة قاضية للنفوذ المصرى ، والمد الثورى فى كثير من أرجاء الوطن العربى وربما ينعكس هذا على الأوضاع الداخلية فى مصر ، التى كانت تعاني أزمة اقتصادية حادة بسبب حرب اليمن هذه ، والشعب يتحمل فوق طاقته .

وفى الحقيقة ان وجهتى النظر المتناقضتين فى اتفاق جدة ، لا نجد ما يبررها ، ورغم ذلك فإنها تعكس تباين المصالح التى

سادت بطريقة واضحة بين القاهرة والرياض ، بينما تهرب الزعماء الجمهوريون البعثيون في حرض (وكانت القاهرة تشجعهم قليلا) حيث باشر الملك فيصل حملته من أجل التضامن الاسلامي ، كانه قد افترض انه صاحب اليد العليا ، وأن ذلك عارض به عبد الناصر في مؤتمر جدة ، وأنه آجلا أم عاجلا فان الجمهوريين اليمنيين سيتم ارغامهم على أن يجتمعوا حيث ان مصر لم تعد تتحمل أن تساند عنادهم ، ولقد كان على حق ، فان المصريين اعتبروا اليمنيين بصدر غيظ كبير ، ولم يبدوا احتراما لهم بصفة خاصة ، ولكنه اخطأ في افتراض أنهم سلموا بالهزيمة .

لقد كان عبد الله السلالة رئيسا سوريا ، ولم يتخذ من الاجراءات منذ حدوث انقلابه العسكري عام ١٩٦٢ الا اقل القليل ، وكان الرئيس الرسمي لجمهورية اليمن ، وكان يذيع اعلانات طنانة بين حين وآخر ، كما أعلن نفسه مشيرا ، وشارك عبد الناصر وعبد السلام عارف ونيكيتا خروشوف Nikita Khrushchev في جولة نيلية على ياخت عبد الناصر عام ١٩٦٤ .

وقيل ان عبد الناصر شرح لخروشوف الذي انتابه الغيظ (١) (مجرد اني أردت أن أريك ما اضطرني الى أن اتحملة) وبعد ما يقرب من عام بعد اجتماع جدة كان عبد الله السلالة في منفاه بالقاهرة بينما كان العمري رئيس مجلس الوزراء وآخرون يديرون نظام الحكم في صنعاء .

وفي يوم ١٢ أغسطس ١٩٦٦ عاد عبد الله السلالة فجأة الى اليمن — صنعاء — ثم طرد مجلس الوزراء من مقارهم وأصبح

.. (١) يشير المؤلف بأنه رجع الى الملحق الصحفي السوفيتي بالقاهرة .

النعمان بدلا من العمري رئيسا للوزارة ، وهو الذي نصب نفسه بنفسه ، أما الارباني وبهه أربعون من أتباعه فقد هربوا الى القاهرة وتخلف عدد آخر تم اعدامهم كما حاول اللاجئون مقابلة الرئيس عبد الناصر ولكن دون جدوى ، كما رفض طلبهم بمغادرة مصر ، ولهذا فقد اشتكوا بمرارة لرجال الصحافة . وقد أبقى المصريون على سرية المفاوضات التي أجريت في أغسطس مع ممثلي السعودية في الكويت ، واتهمت جمهورية مصر العربية العمري بأنه كان مهتما كثيرا بالجزيرة وراء طموحاته في جنوب شبه الجزيرة العربية ، أكثر من اهتمامه بحل المشاكل اليمنية .

وقد زعم العمري أيضا أنه عندما زار الكسي كوسيجين Alexei Kosygin القاهرة في شهر مايو السابق ، فإن السلطات المصرية منعتة من مقابلة رئيس الوزراء السوفيتي (ربما خشي المصريون تكرار انهيار لقاء السلال وخروشوف) وعندما نجح العمري أخيرا في رؤية كوسجين قبل رحيله بساعة ، وطلب المزيد من إرسال السلاح السوفيتي ، رد كوسجين أنه قد أرسل من قبل ما يكفي لتسليح جيش قوامه ٥ ملايين جندي ، وعندما طلب السلال تسليم اللاجئين اليه رفضت القاهرة بطريقة مهذبة ، ولكن عودة عبد الله السلال الى السلطة لن تحدث دون اقتناع المصريين ، وكان رمزا متناسبا لتصميمهم لاجاد أفضل وضع لهم باليمن ، والآن لم يعد هناك أثر للاتفاق الودي ، وتفضل عليهم عبد الله السلال بخدمة ، وذلك باعطائهم تأييدا مبتغا لحملة حرب العصابات المصرية المعززة لأول مرة ضد الانجليز في جنوب شبه الجزيرة العربية .

أما عن النعماني والارباني اللذين ارتابا كثيرا في أن الجمهورية العربية المتحدة على استعداد للتضحية بسعادة اليمن أكثر من

طموحاتها العريضة ، فقد ندما ندما شديدا على عنادهما في مؤثر
حرص ، وفي تلك الاثناء تحدث الملكيون عن مثل هذه المخاوف في
أن طموح الملك فبصل لبروج لتنظيمه الاسلامي الجديد ، ربما يجعله
يساوم في غير صالحهم في تعامله مع عبد الناصر (٢) .

كان الموقف داخل البعث متأزما الى اقصى حد ، بين الجمهوريين
والملكيين ولكن بانتهاء عام ١٩٦٦ تم حسم الامر لصالح الجمهوريين
اليمنيين . فقد اختفت مطامح المؤثر الاسلامي الذي كان يدعو
وبروح له الملك فبصل سواء بالنسبة للنظم الثورية او غير الثورية ،
اذ هاجم عبد الناصر الاقتراح منذ الشتاء السابق ، وفي يوليو
اعلن عبد الناصر رفضه حضور اجتماع القمة العربية في وقت
لم تصل فيه المحادثات المصرية السعودية في الكويت الى أية
نتائج . وهما يؤكد هذا الفشل عودة عبد الله السلال الى صنعاء
كرئيس للجمهورية .

ان الملك فبصل لم يساوم من خلف ظهر الملكيين ، كما أنه لم
يتمكن من تجميع البائعات الكافية من الدول التسع التي قام
بزيارتها خلال العام الماضي ، كما أنه لم يتمكن من تشكيل تحالف
ذى أهمية من نظم محافظة أخرى تقف ضد المصريين ، فربما
تستر زعماء كل من : باكستان وتركيا والسودان وليبيا والكويت
وكذلك المملكة المغربية على أن يتفوا في جبهة واحدة ضد مصر ،
ويسببوا لها مضايقات ويكيلوا لها الاتهامات ، ولم ترغب أية دولة

(٢) انظر التحليل المعزز للتطورات اليمنية في صحيفة الايكونومست
الصادرة في ٨/١٠/١٩٦٦ وتم اقتباس الفقرات بعاليه من هذا التحليل .

فى مجابهة سياسة مصر ، حتى الملك حسن لم يجد فى نفسه الشجاعة الكافية لمجابهة مصر (*) .

وهكذا وجد الملك فيصل نفسه فى وضع دفاعى على الرغم من الجهود المبذولة ، والأموال التى أنفقها سدى فى شراء صفقة المقاتلات النفاثة ، والصواريخ من ماركة « هوك » بالإضافة الى أجهزة الرادار التى تم شراؤها خلال هذا العام من بريطانيا وأمريكا ، والتى تستخدم كرادع ضد غارات قاذفات التنايل المصرية لأن الاطمئ الجوية الأرضية لم تتمكن من استخدام مثل هذه الاسلحة .

وفى ١٨ ديسمبر كسب المصريون جولة دبلوماسية لتضاف الى خسائر الملك فيصل ، وذلك حينما سمحت السلطات المصرية بحق اللجوء السياسى للملك سعود شقيق الملك فيصل ، الذى اخذ ينتقد بشدة سياسة أخيه من خلال اذاعة وصحافة القاهرة ، وهكذا فضل الملك المخلوع الإقامة فى القاهرة كعاصمة ثورية اشتراكية عربية أفضل من قبوله الدعوة للعودة الى وطنه الرياض .

٢ - مصر والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية :

منذ انعقاد قمة بنابر عام ١٩٦٤ ، استغل الملك حسين أول فرصة أتاحت له ليكسب احترامه فى الدوائر الثورية وقام بعدة زيارات متكررة للقاهرة ، وقف فيها مع عبد الناصر فى مكتب رسمى فى سيارة مكشوفة ، يشق بها شوارع القاهرة ، وتحيط بها

(*) خطب وتصريحات عبد الناصر ، ج ٥ ، ص ٣٥٣ وما بعدها - تحليل للسياسات العربية - خطاب بمناسبة عيد الثورة ١٣ لسنة ١٩٦٥ .
(المترجم)

الجماهير الغفيرة ، واعترف كذلك بجمهورية اليم ، كما تقبل راضيا
الزعامة المصرية على الوطن العربى ، كما لم يعترض على قرارات
قمة القاهرة التى تدعو الى تأسيس منظمة « التحرير الفلسطينية »
وتكوين جيش لها (برغم المشاكل التى قد تحدث للملك حسين من
جاء ذلك) .

كما لم يعترض الملك حسين على انشاء القيادة العربية الموحدة
تحت قيادة « قائد مصرى » بهدف الدفاع عن أعمال تحويل روائد
نهر الأردن فى كل من سوريا ولبنان والأردن ، وأدرك الملك حسين
كذلك أنه من أجل عبد الناصر قبل كل هذه القرارات ، ولكن لم
يتبادر الى ذهنه أن الأحداث ستتطور سريعا مع إسرائيل لحدث
التلاحم الدامى ، وعلى هذا انشاق الملك حسين وراء عبد الناصر
دون أن تكون حساباته دقيقة بالنسبة للمستقبل القريب .

وهناك أسطورة عربية مفادها : أن قضية فلسطين توحيد
الدول العربية عندما يكونون منقسمين على أنفسهم ، كما يمكن القول
بأسلوب أكثر دقة ، انه عندما تكون الدول العربية فى حالة مزاجية
معتدلة لابد أن يتعاونوا معا ، وذلك يحتم ايجاد تعبير فى
الاتفاقية العربية « كل هذا لتجنب العمل على أرض فلسطين » .

ولكن العرب عندما يختارون أن يتشاجروا ، فان القضية
الفلسطينية - عن طيب خاطر - تصبح موضوع النزاع ، أما اذا
حدث أن إحدى الدول العربية أثارت العداوات مع إسرائيل فان
ذلك يثير مخاوف الآخرين من الدول العربية حفاظا على سمعتهم
السياسية .

لم يكن نزاع الملك حسين مع منظمة التحرير الفلسطينية الا
أنها السبب الحقيقى لنهابة شهر العسل مع عبد الناصر . كما كان
هناك سببان آخران للشقاق مع عبد الناصر :

● السبب الأول في جمع شمل النضال العربي من أجل إنهاء الصراع الخفى بين عبد الناصر و فيصل . فقد سمح للملك حسين أن ينحاز الى جانب فيصل ، ولهذا وافق ووقع على « التنظيم الاسلامى » المقترح من قبل الملك فيصل منذ قام فيصل بزيارته في يناير ١٩٦٦ وكان الملك فيصل بصرح بين الحبن والآخر، أن مثل هذا التجمع الاسلامى ليس موجهاً ضد سياسة الجمهورية العربية المتحدة ، مما يكون سبباً مباشراً بارتقاء الجمهوريين اليمنيين في أحضان عبد الناصر .

● السبب الثانى : فيما يختص بالشقاق الذى يمثل ضغطاً على القاهرة من قبل اليساريين في سوريا ، وكان التكتيك السورى هو انتهاز أية فرصة لينتقدوا النظم الرجعية ، وبصفة خاصة مع الأردن حيث الحكومات المحافظة وسلطتها المفروضة على منظمة التحرير الفلسطينية .

لقد كان هدف سياسة البعث السورى هو الضغط على الأردن لتحدث شرخاً في القمة العربية وقراراتها التى ينظرون اليها بحقد شديد ، ولكى يجبروا الجمهورية العربية المتحدة على حتمية التحالف مع النظم الثورية في الوطن العربى ضد تلك الدول المحافظة .

حقيقة ان الأردن لم تكن تخشى من اقدام اسرائيل لتحويل روافد نهر الأردن ، بل كانت تخشى من المشروع الذى وضع موضع التنفيذ وهو اقامة « سد المخيبة » بالأردن على نهر اليرموك وان هذا المشروع له جوانب اقتصادية مهمة بالنسبة للأردن ، ولا يشكل أى ضرر للمصالح الاسرائيلية ، ومن ثم فالأردن لا تكاد تشكو أبداً لأن الدول العربية الأخرى كانت ملتزمة بدفع جزء كبير من التكاليف بنسب متفق عليها .

واسندت العملية الى « شركة مقاولات خاصة » ببناء السد العالي ، وان كان هذا يوحى بمدى التفارب بين عمان والقاهرة في مواجهة أى عمل من جانب اسرائيل ، وان كان هذا على حساب العلاقات السورية المصرية ، كما كانت هناك مشروعات اخرى لم توضع موضع التنفيذ نظرا لعدم ثوابر الحماية العسكرية ضد هجمات اسرائيل المتوقعة .

كما ترتب على هذا أن منظمة التحرير الفلسطينية أصبحت تواجه مشكلة جديدة سببها وجود الفلسطينيين بالأردن ويشكلون ثلثى عدد سكانها ، كما أن الأردن معرضة لخطر المواجهة مع اسرائيل بشكل مباشر ، نظرا لطول الحدود الأردنية مع اسرائيل وهذا يتطلب جهدا عسكريا من الدفاعات على طول الحدود المشتركة .

كما كانت منظمة التحرير الفلسطينية لها تقدير كبير في نظر كثير من الدول العربية ، وبهذا يمكن أن تكون المسؤولية الكاملة واقعة على كاهل منظمة التحرير الفلسطينية بشكل مباشر . ولهذا كان اختيار « أحمد الشقيري » زعيما لمنظمة التحرير الفلسطينية يبدو كأنه يؤكد أن « المنظمة ستبقى بدون فعالية » لأن أحمد الشقيري بصفته محابيا فلسطينيا ومتقدما في السن ، كما كان سفيرا للسعودية بالأمم المتحدة ، ومعروفا عنه أنه يتصف بالانتهازية والدجل ، وعلى هذا كان رد الفعل لدى الفلسطينيين سيئا للغاية وبمثابة صدمة لهم ، وخيبة أمل لدى اللاجئين الفلسطينيين . وأن كان أول عمل طالب به الشقيري هو تكوين « جيش التحرير » من المجندين الفلسطينيين في الأردن ، وبالتالي يمكن وضعهم على الحدود للدفاع عن الأردن وحدودها الطويلة مع اسرائيل .

وكان الأمر مختلفا بالنسبة للأردن ، إذ كانت تخشى خوض حرب مع اسرائيل في وقت غير مناسب وغير مستعدة لها . كما

كانت العلاقات بين الملك حسين وأحمد الشقيري على خير مايرام ،
وان كانت هناك بعض المشاكل قد حدثت خلال الفترة من يناير الى
مارس ١٩٦٦ مما عكس صفو العلاقات بين الشخصيتين ، وفى ٢٠
أبريل أعلنت الحكومة الأردنية أنها بصدد الحصول على طائرات
نفاثة أمريكية الصنع ، وان الحكومة الأردنية رغبت عرضا سوفيتيا
بشراء طائرات الميج ، بواسطة القيادة العربية الموحدة ، وبسعر
أقل من الطائرات الأمريكية (٣) .

ولكن الملاحظ أنه بعد اعلان تسليح الجيش الأردنى بأبام
قنبلة ، ألقت السلطات الأردنية القبض على ٢٠٠ شخص من
المخربين من بينهم عدد من البعثيين ، والشووعيين ، وأعضاء من
الحركة القومية العربية ، وفيهم أعضاء من منظمة التحرير الفلسطينية
فى عمان ، الأمر الذى جعل العلاقات بين الملك حسين والزعيم أحمد
الشقيري نصاب بالتوتر الشديد ، لدرجة أن أحمد الشقيري اشتكى
كثيرا من أن الملك حسين كان مشغولا ولم يتسع وقته لمقابلته فى
حين أتاحت له مشاغله بأن يقابل وفدا رياضيا إيرانيا .

وفى هذه الأثناء اتهم الملك حسين الزعيم أحمد الشقيري بأنه
كان يقوم بتسهيل نشر الشيوعية (ودليله على ذلك أن قام أحمد
الشقيري بزيارة بكين ، وأعلن تأييده للسياسة الصينية وتحدث
عن ارسال بعض المجندين فى جيشه الى فيتنام بهدف التدريب على

(٣) بعد عدة أشهر أدمى مصدر أمريكى أن الطائرات المطلوبة تم
تسليمها للأردن ، ولكن الجمهورية العربية المتحدة اتهمت الأردن فى مارس ١٩٦٧
بالاستيلاء على الأموال العربية الخاصة بإنشاء سد الخيبة على نهر اليرموك ،
واشترب بها طائرات أمريكية ولهذا أعلن ممثل الأردن أن مدفوعات مجلس
الدفاع العربى كانت ٣٦ مليون دولار ، وأن مساهمة مصر فى هذا المبلغ كانت
مدفوعة بالعملة المصرية التى لا قيمة لها .

حرب العصابات) وفيما بعد أعلن الملك فيصل توقف مساهمة العربية السعودية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وأوضح أحمد الشقيري أن الهدف من تدريب الفلسطينيين في الجيش الفيتنامي هو اكتساب الخبرة ، فضلا عن مساهمة الجيش الفيتنامي في تحرير فلسطين بعد تحرير فيتنام ، ولكن في ١٤ يونية أعلن الملك حسين على الملأ انتهاء كل تعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية ، وأعلن الشقيري والزعماء السوريون أن تحرير الأردن أولا من الملك حسين يأتي أمرا ضروريا وخطوة أولى لتحرير فلسطين .

وكانت الجمهورية العربية المتحدة ترقب الأحداث التي شهدتها المنطقة العربية ، وبرغم تقارب العلاقات المصرية الأردنية ، فإن التزامات عبد الناصر القومية كانت تحتم عليه الوقوف بجانب منظمة التحرير الفلسطينية بنشاط ملحوظ ، وكان لها دور إيجابي في مواجهة التحرشات الإسرائيلية عبر الحدود المشتركة ، وأصبحت منظمة التحرير الفلسطينية قوة سياسية بجانب أنها قوة عسكرية وذلك بفضل المساعدات المالية التي كانت تقدمها دمشق للشقيري رئيس المنظمة .

وبرغم ما ساد المنطقة العربية من توتر فإن مصر استمرت على موقفها دون حدوث أى تغيير ، وإن كان موقف الملك حسين ضايقها كثيرا نظرا لتذبذبه من جانب إلى آخر ، حيث كان يظهر ميله إلى محور الملك فيصل بعد أن وقع على قرارات مؤتمر القمة الاسلامي ، ولقد سمحت مصر لإذاعة صوت فلسطين أن تبث برامجها وتصريحات أحمد الشقيري من خلال الاذاعة المصرية .

صبرت السلطات المصرية طويلا على موقف الملك حسين واستمر الوضع هكذا حتى أول سبتمبر ، وأعلن عبد الناصر في

٢٣ ديسمبر بعد طول انتظار أن موقف الملك حسين مثل موقف الملك فيصل وكذلك الحبيب بورقيبة ، وأنه على استعداد لبيع القضية العربية بنفس الطريقة التي باع بها الملك عبد الله عام ١٩٤٨ فلسطين (والملك عبد الله هو جد الملك حسين والذي عقد مفاوضات سرية مع الاسرائيليين قبل دخول الجيوش العربية أرض فلسطين عام ١٩٤٨) .

وفي خطاب لعبد الناصر يوم ٢٣ ديسمبر عام ١٩٦٦ أعلن :
(أن الملك فيصل أعلن عن قيام التحالف الاسلامي بالهام من أمريكا في مواجهة القومية العربية ، وأن الملك حسين هز ذيله عرفانا بفضل أمريكا عليه) كما أعلن عبد الناصر بعد ذلك بشهرين بقوله :
(ان ملك الأردن الفاجر ... الفاسق ...) وقد احتجت الأردن على مل هذا الهجوم الشديد ، وقطعت علاقاتها بمصر فوراً وسحبت بالتالي سفيرها من القاهرة .

٣ - التحالف السوري المصري :

حدث تقارب قوى بين الجمهورية العربية المتحدة وسوريا ، وهما النظامان الثوريان المتنافسان ، وهذا التقارب يعد تطوراً له أهمية عظمى ، لقد كان موقف القمة العربية يكره حزب البعث السوري بهدف عزله من العالى العربى . وكانت مصر حقيقة تنزعج هذا الاتجاه ، فقد كان الهدف من الصداقة بين عبد الناصر وفيصل والحسين هو محاصرة حزب البعث فى مجال السياسة العربية ، كما كان هدف حزب البعث كذلك هو التقارب مع الأنظمة الثورية ليس من الناحية الايدولوجية انها أيضاً من الناحية السياسية ، الأمر الذى أدى الى التقارب بين النظم الملكية : الأردنية والسعودية .

ونتيجة لتباعد الأنظمة الملكية من النظام الثورى المصرى ،

حدث تقارب قوى وسريع بين حزب البعث السورى ، والقاهرة ، وذلك لاصباح الشرعية على نظامهم فى سوريا ، هذا التقارب المصرى السورى أدى الى لقاءات قمة بين مصر وسوريا ، وهذا أدى بالتالى الى المساواة بين الجانبين ، على عكس ما كان عليه الموقف بين الدولتين منذ سنوات قريبة . وفى هذه الأثناء ساد مبدأ بين الزعماء العرب الثوريين أن تكون المشاركة على أساس المبدأ الذى أقره المتحالفون وهو « من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته » .

ومما هو جدير بالذكر أن زعماء حزب البعث السورى والعراقى اقتترفا خطأ فادحا مدمرا أثناء مفاوضات الوحدة ، انهما كانا يصران على اعلان وحدة اندماجية بدلان قيام تحالف ثلاثى بسيط فى بداية الامر الذى كان يشغل بال وفكر عبد الناصر ، ويسأل لماذا هذا! الاصرار العنيد ؟ فى وقت لم يكن يستطيع فيه أن يتبين من الذى كان يحكم سوريا والعراق ؟ ظل هذا الخاطر يخامر فكر وبال عبد الناصر طوال محادثات الوحدة فى القاهرة .

وفى دمشق سلم ميشيل عفلق وصالح البيطار وآخرون وهم الذين تفاوضوا فى القاهرة ، مثاليذ الزعامة الى عصبة أصدقاء أمين الحافظ ، ولم يخفوا من الساحة ، واستبقى ميشيل عفلق لحالة معنوية باعتباره أكبر رجل فى دولة لحزب البعث ، لقد نصب البيطار كرئيس للوزراء ، وكان منيف الرزاز يدير شؤون الحزب ، وبقي الثلاثة فى وفاق تعاونى مع أمين الحافظ ، ومادام عفلق والبيطار فى الساحة فقد استمر تقارب الحكومة السورية مع القاهرة كرمز للوحدة السورية المصرية ، وبسبب عقدة الذنب مهم يشعرون نحو عبد الناصر بالود والصدقة ، وأنهم لا ينبذون الفكرة كلية ، وهذا ما حاول تأكيده كل من أمين الحافظ ، ومهد الشاعر ، ومحمد عمران وضباط آخرون .

ولكن الملاحظ أن هؤلاء كان بتحداهم مجموعة أخرى من ضباط ومدنيين أقل كثيرا منهم في السن ، ولم يشاركوهم في الظروف التي مروا بها ، وهؤلاء تحركوا وهم ذوو ميول مختلفة أيديولوجيا ولهم طموحاتهم الشخصية ، بعضهم كانوا أعضاء في أقليات دينية من العلويين والدروز ، الذين يسكنون في المناطق الفقيرة . وفي أقصى سوريا ، وكان أكثرهم ظهورا شخصيات مثل صلاح جديد ذلك الرجل الغامض المنافس لزميله « علوي عمران » الذي تمكن من ازاحته كرئيس للهيئة في ديسمبر ١٩٦٤ ، وكان أكبر المدنيين الجديرين بالذكر ثلاثة أطباء بشريين ، كلهم في منتصف الثلاثينات وهم : نور الدين الأناسي وإبراهيم مبخوس ويوسف زعين ، وهؤلاء الثلاثة تحلوا بالصبر إزاء تصرفات أمين الحافظ ، وحدث تقارب مع صلاح الدين البيطار فيما يتعلق بالشئون العربية وهؤلاء قد القوا باللوم على أمين الحافظ نظرا لاستعداده لحضور مؤتمر القمة العربية الذي دعا اليه المصريون وذلك بدلا من سياسة الضغط السياسي من أجل الكفاح لخوض حرب ضد إسرائيل . وكان البعثيون في سوريا لا يقدرون تجربة عبد الناصر في مصر ، ولو أن أعضاء البعث السوري لم يطبقوا نظام التأمين الذي طبق في مصر ، لأن المسألة لم تكن واضحة أمامهم خاصة لكل من ميشيل عفلق والبيطار حيث كان شاغلهم الوحيد هو تطبيق أيديولوجية البعث على الوحدة العربية ، ولهذا فإن هذه الوحدة — في نظرهم — ماركسية ، اجتماعية ، راديكالية ، ومن هنا نشأ الصراع الطبقي (٤) .

(٤) لقد تضابق الجناح الماركسي لحزب البعث ، وخاصة عند نشر مقالات صلاح الدين البيطار في صحف البعث في دمشق ، وبيروت ، التي هاجم فيها بشدة مفهوم من الثورة الاشتراكية ، والوحدة العربية ، وأعلنوا أن الماركسية ليس لها مكان في العالم العربي « مقتبسة من صحيفة الاحرام في ١٦ أكتوبر عام ١٩٦٥ » .

ولأشهر مضت من عام ١٩٦٥ شاركت هذه المجموعة في السلطة بشيء من الصعوبة مع أصدقائهم في مرحلة الدراسة ، وأصبح زعين رئيسا للوزراء ، كما عين الماخوس وزيرا للخارجية ، والاتاسى عضوا بمجلس الرئاسة وترك منصبه كرئيس للهيئة ، ولقد اكتسب الحزب العسكرى غالبية مناصب القيادة الاقليمية السورية لحزب البعث واصبحت القيادة الوطنية — بأعضائها السوريين وغير السوريين — تحت زعامة الرزاز ، وبقيت هذه المجموعة متعاطفة مع أمين الحافظ وهم الذين أداروا ظهورهم لمبادئ حزب البعث ، وكانوا يستغلون مناصبهم لقضاء مصالحهم الشخصية^(٥) وكان من الصعب عليه أن يتعرف على أحد من أصدقائه القدامى ، وقد أعلن الاتهامات الموجهة اليهم ، الأمر الذى أدى الى مواجهة مكشوفة بين الفريقين المتناحرين ، كما أعلنت القيادة القومية حل القيادة الاقليمية ، حتى صدور اشعار آخر ، وأخذت على عاتقها الاشراف على الحكومة السورية ، ولا شك أن هذا المسلك أدى الى استقالة حكومة زعين ، وحل بدلا منه أمين الحافظ كرئيس للوزارة ، ولكن سرعان ما أسندها الى صلاح البطار ، وأعيد صلاح جديد (وهو خصم قديم لمحمد عمران) من منفاه بأسبانيا ليتولى وزارة الدفاع وأصدر البطار بيانا يدين فيه — على وجه الخصوص — التدخل العسكرى في السياسة ، وذهب جديد عمران سرا الى القاهرة لاجراء محادثات مع عبد الناصر حول تقارب البلدين^(٦) .

لقد ساهمت الاتهامات التي وجهت للضباط ، وكذلك عودة الضباط الفجائية الى عدم الرغبة في تولى المناصب العليا في

Al-Jaridan

(٥) نشر نص حديث ميشيل علق في صحيفة الجارديان

في ٩ يناير عام ١٩٦٦ .

(٦) نشر النص في صحيفة الأحرار بتاريخ ٥ يناير ١٩٦٦ .

الجيش ، لأن شعبية أمين الحافظ كانت في تدهور مستمر من جراء تلك المعارك مع مجموعة الضباط ، التي لا طائل منها والتي استمرت لمدة عامين .

وعلى ضسوء تاريخ سوريا فيها يتعلق بالانتخابات العسكرية التي حدثت منذ عام ١٩٤٩ ، ينأدر إلى الذهن ، مدى استطاعة أي زعيم أن يكون له بأسد واسع النطاق في صفوف القوات المسلحة من عدمه ، فمنذ عام ١٩٤٩ حتى ٢٣ فبراير عام ١٩٦٦ شهدت سوريا تسع حكومات متتالية ، وفي آخر انقلاب تم هدم بيت أمين الحافظ بالمدفعية ، كما لقي عدة مئات حنفيهم في شوارع سوريا ، كما تم القبض على أمين الحافظ ، وكذلك على صلاح الببطار ، وميشيل عفلق ، وعدران ، والرزاز وآخرين ، كما عاد الأطباء الثلاثة إلى مناصبهم .

كما أصبح نور الدين الأتاسي رئيسا للدولة بدلا من أمين الحافظ ، كما تولى منصب رئيس أركان الجيش الجنرال جديد ، كما نصب شخص غير معروف وزيرا للاتصالات ، كما سمح لخالد بكدانس بالعودة إلى سوريا من أوروبا الشرقية لأول مرة منذ غادرها في عام ١٩٥٨ .

أما فيما يتعلق بالجنرال جديد فقد نصب نفسه سكرتيرا لرئاسة حزب البعث الوطني الاقليمي ، ومعروف عنه أنه العقول المدبر للانقلاب العسكري ومن الملاحظ أن القيادة الوطنية توقفت عن العمل مع مرور الوقت .

ومن الملاحظ أنه منذ أخرج حزب البعث منافسيهم الناصريين من الحكومة والجيش عام ١٩٦٣ ، اقترح بعض المعلقين أن سوريا اكتسبت نظاما ثابتا وحكما مستقرا ، وبعد كل هذه

الأحداث أصبح لا يوجد على الساحة سوى حرب البعث السوري، والعيب في هذا التحليل أن البعث لم يكن متماشكا ، فالدنيون كانوا تحت رحمة العسكريين . فالشعور بعدم الثقة والاستقرار هو السمة السائدة بين كل الأطراف . فبعد ستة أشهر قاد ضابط يدعى سالم حاتم حملة عسكرية على بيت أمين الحافظ ، وقام بمحاولة انقلاب ضد الرجال الذين ساعدتهم ليتولوا السلطة، إلا أنه فشل وهرب إلى الأردن ، وهناك ندد بالنظام الجديد في دمشق ووصفه بأنه جبهة للشبوعيين (وفى حرب عام ١٩٦٧ عاد سالم حاتم إلى دمشق ، وتم القبض عليه بعد ادانته بالخيانة) .

لم يكن الانقلاب الذى حدث فى فبراير هو الذى أيعد مؤسسى حزب البعث عن السلطة فى سوريا فقط ، إنما ساهم هذا الانقلاب فى زعزعة مكانة الحزب فى الأقطار العربية ، وجدير بالذكر أن جبران المجدلانى العضو الحاكم فى لبنان كان موجودا فى دمشق لكى يحضر اجتماع القادة القومية ، ولكن حدث انقلاب فبراير ، وتم القبض عليه باعتباره مؤيدا للنظام القديم ، كما تم التمسك على زعماء الحزب بتهمة القيام بنشاط غير قانونى (٧) .

كذلك استنكر حكام سوريا الجدد القضاء الحكومة اللبنانية القبض على الذين انتقدوهم ، على أساس أن النزاع كان نزاعا أخويا داخل الحزب ، ودون جدوى بحثت السلطات اللبنانية إطلاق سراح جبران المجدلانى ، ولكن نبكت الحكومة السورية من القضاء القبض عليه بواسطة اللبنانيين الموالين لهم ، وظل معتقلا فى دمشق لمدة عام دون تهمة محددة .

(٧) لم يكن لدى الحكومة اللبنانية أى تعاطف خاص بقيادة الانقلاب ، ولا ادانة عامه للانقلاب اللاقانونى فى حد ذاته . . حزب البعث اللبنانى كمنظمة غير مصرح بها ، ومناقض للقانون بالتدخل علنا تحت لافتة حزبهم .

وجدير بالذكر أن كلا من ميشيل عفلق وصالح الدين البيطار تمكنا من الهروب الى بيروت ، كما أن القائمين على الانقلاب احتفروهما نظرا لاستمرارهما في احتضان مبادئ الوحدة العربية والتمسك بشعاراتها وتقربهم من ذلك الرجل القابع في القاهرة (يقصد الزعيم عبد الناصر) الذي أذلهم في محادثات عام ١٩٦٣ ومع هذا فانهم الآن ينتمون لبناء روابط تكون أكر تقارباً مع مصر منذ حدث الانفصال عام ١٩٦١ ، ان هذا يعد وهماً في نظر قادة الانقلاب .

لم يكن الزعماء السوريون الجدد مهتمين بضم الوحدة العربية ، من أجل قيام الوحدة في حد ذاتها ، بل كانوا تواقين أكثر من أسلافهم لكي يروا نهاية مرحلة التعايش السلمي مع هؤلاء الرجعيين ، ولن يترددوا في محاولة لدفع مصر الى قيام تحالف ضد الرجعيين ، فان احدى خططهم كانت محاولة دفع قضية الشقيري ومنظمة التحرير الفلسطينية ضد الملك حسين ، كما كانوا يحاولون مساعدة النظام القائم بالعراق ، ولو أن هذا المسلك سيسبب المشاكل للقاهرة ، اذ لم تكن استراتيجة القائمين على السلطة هناك أن ينتهجوا سياسة تتفق مع سياسة عبد الناصر .

والجدير بالذكر أن عبد الناصر استجاب — بحذر شديد — واستقبل في خلال شهر يونية عام ١٩٦٦ وزير الخارجية مأخوس، ووافق عبد الناصر — بعد هذه المقابلة — على تبادل التمثيل السياسي والدبلوماسي بين القاهرة وسوريا ، وبعدها سافر وزير الخارجية المصري محمود رياض ، الذي عمل سفيراً لمصر في سوريا قبل اعلان الوحدة عام ١٩٥٨ ، وتعد هذه أول زيارة رسمية لسوريا قام بها مسئول مصري منذ قيام الوحدة ، وفي هذه الأثناء كان السوريون يسعون الى إلغاء القمة العربية المزمع عقدها

بالجزائر في سبتمبر ، الأمر الذي دفع الرئيس عبد الناصر الى الاعلان في ٢٢ يوليه بأنه لن يكون لديه رغبة في عقد اجتماع مع الرجعيين ، حتى يغيروا أسلوب سياستهم .

ان السوريين مازالوا يضغطون أكثر ، وذلك بتشجيع الغارات التي يقوم بها الفلسطينيون ، بهدف توريط جيشهم في مناوشات عسكرية مع الاسرائيليين على طول خط الهدنة ، ومن ثم غقد ساد المنطقة قلق وتوتر نتيجة هذا الطيش السوري غير المحسوب .

وبما أن عبد الناصر لم يعد قادرا على مناصرة الرؤساء العرب عقد قمة عربية ، فانه دعا رئيس الوزراء السوري زعيم لزيارة القاهرة في ٧ نوفمبر ، ووقع معه معاهدة دفاع مشترك ، وذلك في ظل عودة العلاقات السياسية بين البلدين منذ حدوث الانفصال .

{ — العراق :

كان من الضروري على العراق أن تحتوى الهجوم السياسي على سياستها ، كما كان عليها أن تساند السياسة المصرية لتتمتع بتأييد الجناح اليساري القوي في العراق .

والجدير بالذكر أن الجزائر كانت تلعب نفس الاتجاه سابقا ، ولكن في الوقت الحاضر فانها تلعب دورا هامشيا بعيدا عن الأحداث ، فقد كانت الاطاحة بأحمد بن بيللا في بونية عام ١٩٦٥ ضربة للنفوذ المصري وكان من الطبيعي — على الجانب الآخر — أن يرشح العراق لهذا الدور ، فهي من الناحية

الاستراتيجية تقع على طول الجانب السوري ، هذا بالإضافة الى ثلاث دول أخرى ، وبسكانها كثر العدد ، ولها جيش كبير الى حد ما ومعد اعدادا جيدا . هذا بالإضافة الى دخل يترولى معقول ، ولكن من الناحية غير المباشرة ، فان انهيار القمة كان راجعا في جزء منه الى فشل العراق في تنفيذ هذا الدور ، تاركة النظام المصري بين الراديكالية في دمشق والنظام المحافظ في كل من الرياض وعمان .

لقد كان العراق مجالا مفتوحا للمؤامرات والدسائس المتنافسة منذ سقوط النظام القديم عام ١٩٥٨ بازاحة حزب البعث، ففي نوفمبر ١٩٦٣ تحرك الرئيس عبد السلام عارف ليقيم صداقة حميمة مع القاهرة ، ويضع مئون الدولة في بغداد في أيدي تحالف قوى من الضباط والمثقفين . ويعهد اليهم بالمحافظة على هذا التشكيل الذي كان بمثابة حجر الزاوية في سياسة العراق العربية ، ومع ذلك فقد كان وراء هذا المبدأ مجال فسيح لانفتاح أيدولوجي ، ومعركة من أجل الاستحواذ على السلطة خاصة فيما يتعلق بالمسائل الداخلية التي استمرت في العراق ، وكان لابد من مواجهتها . لقد استفند تمرد الأكراد الذين يعيشون في المناطق الشمالية من العراق كل اهتمامات الجيش العراقي ، وقوض هيبة الحكومة منذ عام ١٩٦١ ، كما استفند تمرد الأكراد الموارد الاقتصادية ، في وقت كانت فيه العلاقات العراقية مع تركيا وإيران الجارتين اللاعريبتين — اللتين تمتد الأكراد عبر حدودهما — غير مستقرة .

وفي مايو عام ١٩٦٤ وافقت الحكومتان : العراقية ، والجمهورية العربية المتحدة أن تكونا اتحادا لمدة عامين ، وبمرور الوقت ضاع هذا الهدف وأصبح في طي النسيان ، لم يكن لعدم الثقة أو التنافس ، مثلما حدث من قبل وجعل العلاقات المصرية

السورية نتسم بالقلق والتوتر ، ولكن الملاحظ أنه بسبب عدم تحقيق الاستقرار السياسى داخل العراق ، وأيضا لأن الاحتياجات العراقية كما كان يفهم عبد الناصر جيدا ، يعلن أن من الصعب للغاية تنسيق المؤسسات الكبرى ، وعلى الجانب السياسى قدمت ميناقتا لتشكيل اتحاد اشتراكى عربى عراقى ، وهو منظمة تحل محل الأحزاب الموجودة على نمط الاتحاد الاشتراكى العربى فى مصر ، ولكن لم يكب لهذه الجهود أن تتقدم كثيرا ، اذ لم يستطع النظام الاقتصادى الجديد أن يدار بفعالية ، وذلك لنقص فى الخدمة المدنية الكافية ، وعلى هذا فشل الاتحاد الاشتراكى العربى لأنه لا يوجد توافق بين الأحزاب المختلفة بسارا و. لنا نحو البيانات الأساسية ، ولأنها صدرت عرقبا من سلطة عابا من خلال رجال عسكريين يفتقرون الى الحساب القانطلى مع السياسيين المدنيين .

لقد أعلن وزير شئون الوحدة فى تعليق له عن العجز فى مواجهة جدل العاملين : أن العقبة الأساسية هى فشل الاتحاد الاشتراكى العراقى أن يكون له جذور ، وفى رأيه أن هذا الفشل يعزى الى المفاهيم المختلفة للاشتراكىة .

وأضاف الى قوله : « بالنسبة لبعض المجموعات ، فالاشتراكية تعنى العدالة الاجتماعية ، بينما بالنسبة للآخرين تعنى الاشتراكية الماركسية متضمنة كل قوى الانتاح والتجارة ، وتحت هذا المفهوم للاشتراكية فان الدولة يجب أن تستولى على كل ثروة البلاد » .

كان الرئيس عبد السلام عارف رجلا محافظا ، وأكثر وضوحا من عبد الناصر فى مثل هذه الأمور حينما أعلن عبد السلام أن « القومية العربية يجب أن تقوم على السلام ، ان مبادئنا تنبثق من تقاليدنا ، اننا لن نأتى بالجديد منها » .

حاول عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء من سبتمبر عام ١٩٦٥ الى أغسطس ١٩٦٦ والمدنى الوحيد الذى رأى منذ عام ١٩٥٨ أن يطبق حلولا معتدلة لمشاكل البلاد مع التأكيد بالألا يلجأ الى مزيد من قرارات التأميم مع اتخاذ موقف تصالحي نحو تمرد الأكراد وعلاقات متطورة مع جيران العراق ، ليس مع الدول المحاذية : ايران وتركيا والكويت والسعودية والأردن ولكن أيضا مع البعث السورى ، وأضا مع الجمهورية العربية المتحدة وحدث تقارب بطء نحو وحدة مصرية عراقية معروضة .

كان عبد السلام عارف يؤيد هذه السياسات ، وبعد وفاة الرئيس عارف فى حادث طائرة هيلوكبتر فى أبريل عام ١٩٦٦ تلاه فى منصبه أخوه الجنرال عبد الرحمن عارف ، وكان جل اهتمام البزاز الرئيسى أن يضع نهاية للحرب الكردية ، فالشروط التى قبلها الأكراد فى بونية عام ١٩٦٦ لم تتضمن المطالب الأساسية من أجل حكم ذاتى ، حتى ان البزاز كانت لديه حاسسة طيبة ليقدم ضمانات لنواياه الطيبة (وفى ١١ نوفمبر وبعد ثلاثة أشهر سلم البزاز مكتبه الى جنرال آخر ، وقد احتج الزعيم الكردى بأن تأكيدات البزاز لم تكن كافية ولم تحقق الشرف والكرامة ، وأن التاريخ هو الذى سيحكم عما اذا كانت المشكلة الكردية فى طريقها الى الحل ، او بعبارة أخرى كانت بمثابة نار بلا لهب . . نار من تحت الرماد) .

وبرغم السياسات التى مارسها اخوان عبد الرحمن عارف والبزاز ، والتى كانت تتفهمها القاهرة ، عاشت العراق مرحلة مؤسايوة ، اذ قام عارف عبد الرازق فى ١٥ سبتمبر عام ١٩٦٥ — أى بعد عشرة أيام من تنصيبه رئيسا للوزراء — بالسعى الى خلع عبد السلام عارف من الرئاسة تحت شعار الوحدة القومية

مع مصر ، بينما كان عارف في كازابلانكا يحضر مؤتمر القمة ، وعلم شقيق الرئيس عارف بهذه المؤامرة ، مما اضطر عبد الرزاق الى الهروب للقاهرة ، ولكن لم يسمح له بالبقاء فيها ، واضطر للعودة ثانية الى العراق حيث حاول القيام بانقلاب آخر ، وتم القبض عليه ، ووضع في السجن ، وقد كان من المشكوك فيه أن تكون للقاهرة يد في مثل هذه الحماقات والمؤامرات ، وشهدت العراق مرحلة من التوتر والقلق ، فلقد استنكر عبد الرحمن عارف تمرد عبد الرزاق وطيشه وعدم تقديره للأمور .

أما في دمشق — في هذه المرحلة — حيث تمكن مجموعة من الشباب الفوضويين من القفز الى السلطة في شهر فبراير ، مما شكل عقبة أمام النظام القائم في العراق ، حيث طلبت الحكومة السورية من شركة البترول المراقبة المملوكة للغرب أن تدفع مبالغ كبيرة كضرائب لاستمرار الامتياز من أجل ضخ البترول في أنابيب عبر سوريا من شمال العراق الى البحر المتوسط ، ورفضت الشركة مثل هذه المطالب ، وفي ديسمبر عام ١٩٦٦ أغلقت الحكومة خط الانابيب ، فسوريا تدرك يقينا أنه لا يمكنها أن تتحمل المخاطرة بمبلغ ٢٨ مليوناً من الدولارات في العام كضرائب امتيازات ، والشركة ستعوض مثل هذه الضرائب بزيادة الانتاج ، ومن المعروف أن حوالى نصف انتاج العراق يعتمد على خط الانابيب ، وكانت قيمة الضرائب المقررة ٢٥٠ مليون دولار سنوياً .

ان مثل هذه المطالب السورية تشكل ضغطاً اقتصادياً وسياسياً على بغداد ، مما قد يدفع النظام القائم في العراق الى القيام بأعمال عنيفة ضد العناصر الراديكالية أو تأميم شركة البترول وكان على الحكومة العراقية أن تختار بين أمرين كلاهما صعب : التأميم أو الانهيار ، وتم توقعي هذا ، ففي ٢ مارس عام ١٩٦٧

توصلت سوريا وشركة بترول العراق الى تسوية مرضية ، اذ قدمت شركة بترول العراق تنازلات ضخمة الى سوريا لتنتهي الازمة القائمة فى بغداد ، وقدم السوريون كذلك تنازلات ، « ولكن ليس من أجل سواد عيون النظام العراقى » بل ربما كانوا يرغبون فيما هو أكثر من الأموال ، ولو أن هذه المسألة كانت محل أخذ ورد لأنها برغم أهميتها فقد كان السؤال الملح هو : هل النظام السورى يستسلم للنظام المصرى المعتدل ، أو لنظام الاتحاد السوفيتى المتشدد ؟ ، ولو كان هذا قد حدث فكيف تم اقناعهم به ؟ .

٥ - حرب الأيام الستة :

بحلول الأشهر الأولى من عام ١٩٦٧ كانت الدول العربية تعيش حالة من الفوضى والقلق والنوتر ، وكان اجتماع مجلس جامعة الدول العربية فى منتصف شهر مارس دون أن يتوصل الى أى قرار ، الاقرارات حادة بالشجب والاستنكار وكذلك التهديد والتنشهير بالتفرقة العنصرية فى الولايات المتحدة ، وهكذا لم يعد أى تأثير لمؤتمرات القمة العربية ، فحتى الآن لم يتم استغلال روافد نهر الأردن وكذلك انشاء القيادة العسكرية الموحدة ، هذا بالإضافة الى عدم انشاء منظمة التحرير الفلسطينية ، كل هذا بسبب نقص التمويل المالى والافتقار الى التعاون : حيث ان الأردن والسعودية تقاطعان اجتماعات مجلس دفاع جامعة الدول العربية ، وارتفعت الاصوات الكثيرة بضرورة طردهما من عضوية مجلس جامعة الدول العربية ، كما أبدى كثير من الأعضاء (ليبيا والسودان ولبنان والكويت وكذلك العراق) استيائهم الشديد من الانشقاق الأيديولوجى الحاد بين القاهرة ودمشق وصنعاء .

وعلى هذا تحالفت عمان والسعودية ، معتقدين أن الشقاق لن يسبب لهم ضررا ، كما فضلوا أن تظل العلاقات طيبة مع كل الأطراف ، وكرهوا الخسوف عليهما لنحازا الى الأغلبية ، وعلى هذا استمر الطعن والنشهر الأيديولوجي الذي يمارسه السوريون وكذلك عمليات التخريب التي يمارسها المصريون ، كما اعتبرت العراق - في نظرهما - دولة محررة بواسطة الجمهورية العربية المتحدة ، وليس بواسطة سوريا ، في وقت كانت فيه لبنان بؤرة للمؤامرات والدسائس ، بينما كانت الحكومات في كل من ليبيا والسودان والكويت ذات أنظمة متميزة .

لم يكن سعيها أن نتدخل في أوائل مايو عام ١٩٦٧ أن درجة التوتر المتصاعده في منطقة العالم العربي يمكن أن تؤدي الى نوع من اندلاع العنف العسكري ، لقد كان النزاع بين كل من السوريين والمحافظين العرب قد وصل الى أقصى درجات التوتر ، في حين بدت المعركة التقليدية ضد اسرائيل على هامش الأحداث ، وغجأة ظهرت اسرائيل على مسرح الأحداث في الأسبوع الأول من شهر يونيو عام ١٩٦٧ ، وكان الأمر يبدو كأنه كرة قدم بالنسبة للعرب ، ركلات يقوم بها السوريون الساخطون ، وعندئذ ترد الكرة مرة أخرى عن طريق عبد الناصر ، وبالطبع اتخذ الاسرائيليون لأنفسهم وجهة نظر مختلفة الى حد ما ، لقد أصبح الموقف العربي بمثابة ركلات لاعبي كرة القدم ، وكان لعبد الناصر مواقف أكثر أهمية بقوم بها ، بدلا من شن حرب ضد اسرائيل ، فقد أعلن مرات عديدة : ان تحرير فلسطين لا بد أن ينتظر الى وقت آخر حتى ينتهي من تحرير الدول العربية ، ومن أجل نشر النورة الاشتراكية وأيضا من أجل اعداد الجيوش العربية ، لقد أثار كثيرا من القضايا لدرجة أن نارت الشكوك في أنه سينوى في وقت ما على تحرير فلسطين ، وعلى أية حال لم يكن عام ١٩٦٧ من أجل هذه الحرب ، فكبير من جيشه قد

تمزق وتلطح في وحل اليمن ، وخزائنه حاوية الوفاض ، وبتكاثر عليه الانجليز والأمريكان بجانب الملوك العرب ، في وقت كان شاغله الأول فيه أن يؤمن قاعدته الأساسية : مصر والمشاركة السوفيتية بجانب زعامته لليسار العربى .

حتى علاقة عبد الناصر مع اليسار أصبحت مهددة ، إذ تفجرت مشاكل عديدة جعلت التحالف بين عبد الناصر والبعثيين متوترة للغاية ، فبدلاً من ردعهم من استفزاز اسرائيل ، نجده يشجعهم بالتصدي للتهديدات والاستفزازات الاسرائيلية ، ويحرضهم بالانتقام ، نفى هذه الحالة لو أن عبد الناصر حاول أن يعوق اسرائيل ويتصدى هو بنفسه ، فانه بذلك يخاطر بشن الحرب ، ولو ترك السوريين بدون حماة ، نفى هذه الحالة قد كشف نفسه أمام العرب بأنه غير جدير بالثقة ويكون بهذا غير ثابت في عزمه ، ولا يوجد أى رصيد عملى لكلامه ، ومن ثم يكون عاجزاً عن تقديم الحماية لسوريا .

لقد اختار عبد الناصر طريق المغامرة التى لم يحسب لها أى حساب ، فكان عليه أن يتخلص من قوات الطوارئ الدولية التابعة للأمم المتحدة والمتمركزة في شبه جزيرة سيناء ، وبعد أن نفذ هذه الخطوة كان لابد أن يتخذ الخطوة التالية ، وهى فرض الحصار ضد الملاحه الاسرائيلية في شرم الشيخ ، التى كانت تمثل نقطة ضعف في موقف عبد الناصر من اسرائيل ، وهو التنازل الوحيد الذى أجبر عليه كنتيجة من نتائج حرب عام ١٩٥٦ وهذا ما كان يعيره به الأردنيون وكذلك السعوديون ، أنه لن يجروا على تنفيذ مثل هذا العمل .

ولكن الأحداث تطورت ووصل بها عبد الناصر الى مدى بعيد ، ومن الصعوبة بمكان أن تحدد ماذا كان هدفه الأول ؟ وبذلك ذهب

عبد الناصر فى موقفه فيها وراء البصدى لاسرائيل ، فقد كان احراز نصر سياسى على اسرائيل امرا ميسورا ، وبعدها يتلقى الهتافات والتصفيق والتأييد من قبل العرب جميعا .

ولكن من الملاحظ أن عبد الناصر لم يبدأ بمواجهة اسرائيل انما بدأ بمواجهة سوريا ، التى بدأت تعبىء الشعب من أجل معركة التحرير ، ومما يلفت نظر المراقبين السياسيين أنه رغم مضى أكثر من عشرين عاما فى مناورات حزبية عربية سواء كانت داخلية أو خارجية ، فان توجهه السياسى كان يسعى نحو التخلص من ملكى الأردن والسعودية أكثر من اهتمامه بحرب اسرائيل أو النحرش بها ، وكانوا تواقين الى أن يتأكدوا أن عبد الناصر سيصعد الحرب ضدتهما ، أو على أقل تقدير استمرار الحرب الاعلامية ضدتهما ، وعندما أمد السورىون الفدائين الفلسطينيين بقاعدة عمليات عسكرية داخل اراضى سوريا ، كانوا يعلمون أن الملك حسين كانت لديه مخاوف أكثر من اسرائيل ، وخاصة عندما تقدمت حرب العصابات نحو اسرائيل عن طريق حدود الأردن ، واضطرت اسرائيل فى نوفمبر عام ١٩٦٦ الى القيام بعمل انتقامى بأرى ضد قرية أردنية تقع على الحدود ، لقد اجتاحت الضفة الغربية موجه من الهياج والثورة ، واحتج سكانها الفلسطينيون على مدى ضعف الجيش فى مواجهة اسرائيل .

وقد أعلن السورىون وبعض الفلسطينيين أن الطريق الى تل أبيب يمر من خلال عمان . وفى أواخر مايو عام ١٩٦٧ تفجرت عربية محملة بمتفجرات مهربة من سوريا عند محطة أردنية تقع على الحدود ، وترتب على ذلك أن لقى عدد كبير حتفه . مما استقر الحكومة الأردنية وكانت النتيجة قطع العلاقات الدبلوماسية مع

بمشق ، هذا مجرد مثال ليدل على نوع المعارك التي كانت سوريا تريد أن نخوضها في ذلك الوقت .

لقد كانت اتهامات الملك حسين دفاعية بطريقة ايجابية وعندما طار نجاة الى القاهرة في ٣٠ مايو لوقيع على التحالف مع عبد الناصر ، فقد صادق على منطلق عبد الناصر وسياسته ، وبهذا تم نسف الميناق الاسلامى ، وأقلع الملك حسين عن مشاركة الملك فيصل ، فقد غير موقعه وموقفه بسرعة هائلة . ولكن الملاحظ أن هذه سياسة مؤقتة ، ومربطة بالموقف المتأزم ، ولم يكن هذا مطيحا مؤكدا له . ورغم نجاح موقف عبد الناصر ضد اسرائيل ، فإنه لم يكن مدينا بشىء للملك حسين ، وفى بهجة الانتصار فإنه سيجد كفته أرجح .

ولكن الملك حسين لم يكن له مكان لى يختبئ فيه ، فإنه لو لم يأت لزبارة عبد الناصر ، فإن أى نجاح مصرى على اسرائيل سينزكه تحت رحمة أعدائه نهما ، ولو أن لعبة عبد الناصر سارت الى الأسوأ ، ومن ناحية أخرى فإنه لايزال أكثر أمنا لى يظهر التضامن أكثر من أن يبدو راكبا على ذيل الحصان الاسرائيلى ، وبالطبع كانت حساباته خاطئة ، مكافاته على نهالنه هذا - غير المحسوب - حدثت بعد أسبوع باختفاء : بيت المقدس ، وبيت لحم وهاروت نابلس ، كل هذه المواقع اختفت من مملكته ، وأيضا دفع فبشمان جديد من اللاجئين الفلسطينيين ، وترتب على ذلك حدوث مشكلة فى الضفة الغربية ورغم ذلك ناه من النتائج أن تكون نه سلوى ان لم تعد مصر اهتمام اسرائيل ، أو الجمهورية العربية المتحدة . لقد كبد نصر اسرائيل الملك حسين ضباب الضفة الغربية ولكن ربما يكون ذلك أفضل من ضباب عرشه ، أو بمعنى آخر فان تقارب الملك حسين من عبد الناصر فى هذا الوقت العصيب ، ربما يكون ذلك أنقذ عرشه من الضياع .

الفصل السابع

محور عبد الناصر وحسين والمقاومة الفلسطينية ١٩٦٧ - ١٩٧٠

- ١ - النقطة الفاصلة
- ٢ - حركة المقاومة الفلسطينية
- ٣ - مؤتمر الخرطوم
- ٤ - الأردن والفدائيون
- ٥ - حرب سبتمبر الأهلية
- ٦ - وفاة عبد الناصر وميراثه

من الملك حسين الى الرئيس عبد الناصر فى

: ١٩٧٠/٩/٢٦

((اننا لم نفكر .. ولن نفكر فى المستقبل فى تصفية

المقاومة الفلسطينية التى نمت وترعرت تحت حمايتنا))

لقد كانت حرب يونية بمثابة صاعقة البرق التى حولت كل السياسات العربية الداخلية الى حطام .. لم يعد الزعماء العرب راكبي خيل فى سباق من أجل السيادة والنفوذ فى سلوكهم القديم الوافر ، لم يتبق لهم اليوم سوى أن يحملقوا فى الحطام ، وبحاولوا أن يأخذوا شيئاً عديم الفائدة من كارثتهم الشاملة ، لقد كانت نى يشاعتها هزيمة عسكرية لمصر والأردن وسوريا ، امتد أثرها الى الأقطار العربية الأخرى بطريقة مؤثرة أيضاً ، فعلى مر الأيام توقفت الزعامة المصرية فجأة عن أن تكون ذات طموح جامع ، وبالكاد فان لديهم منافسة على بقايا نفوذ حيث لم يتبق لهم أى نفوذ .

لقد مُقّدت النزاعات الأيدولوجية القديمة معناها ، وبعدها تمكن الاسرائيليون من هزيمة الناصرية المصرية ، وكذلك البعثية السورية ، والهاشمية الأردنية ، فهم قطاع عريض من العرب تم هزيمتهم بكل سهولة ، ففيما مضى كان طبيعياً أن يصبح عبد الناصر وحسين حليفين متقاربين .. الكل مشغول بنفس الاحتجاجات : أن

يعيش وأن يسترد الأرض المفقودة .. ان العداوة التي بددتهم مؤخرًا ليست مناسبة تمامًا الآن .

لم يكن عبد الناصر وحسين شريكين في الكارثة فحسب وإنما شريكان بطريقة مذهلة في حظهما السعيد .. فرغم ما حدث فقد تمكنا ونظامهما أن يبقوا ويعيشوا .. وعاش النظام في دمشق كذلك رغم وجود ألف علامة استنفهام .. لماذا ؟ بل يجب أن يسقط في أية لحظة .. وأخيرًا حدث في نوفمبر عام ١٩٧٠ انقلاب آخر في دمشق ، حيث تمكن حافظ الأسد — وزير الدفاع — من الاستيلاء على السلطة وبتزعمها من زملائه ، ولكن تلك قصة أخرى خارج نطاق البحث .

لقد حدثت تغييرات أخرى للنظم في أماكن أخرى الى حد كبير ، ولأسباب لها صلة بالحرب ، ففي يوليو عام ١٩٦٨ طارت كتيبة عسكرية الجنرال عارف ورفاقه في بغداد ، وأعاد أحمد حسن البكر ومجموعة أخرى من رفاقه البعثيين الى السلطة التي فقدوها عام ١٩٦٣ . (وهؤلاء يمثلون الجناح البعثي المعادي للحزب الحاكم في سوريا) واستمرت العلاقات السعودية العراقية متوترة . كما حدث في ليبيا في شهر سبتمبر انقلاب عسكري عام ١٩٦٩ ، وله أهميته الكبرى في تاريخ ليبيا ، حيث تم خلع ملك كبير السن ، الملك إدريس ، وأعلنت الجمهورية من خلال مجموعة من الثوريين العسكريين الشباب ، وكان النظام السابق هو بمثابة السياسة العربية الرزينة التي لا يكاد أن يكون لها وجود ، وحل محلها مجموعة مندسعة من الشباب العسكريين ، وفجأة أدرك كل انسان أن ليبيا تملك ثورة نفطية هائلة ، وبها عدد من السكان متباعد ، ودولة لها حدود غير واضحة المعالم مع حدود الجمهورية العربية المتحدة ، كل هذا لكي تمهد الطريق لشببه وحدة مع الجمهورية

العربية المتحدة والسودان وسوريا ، وان كان هذا الموضوع خارج نطاق خطة البحث ايضا .

وفي تلك الأثناء حدث في السودان انقلاب عسكري آخر في شهر مايو عام ١٩٦٩ قام به مجموعة من الضباط لهم سياسة راديكالية خاصة ، كما حدثت تغييرات أخرى في اتحاد الجنوب العربي السابق الذي منحته بريطانيا الاستقلال في شهر نوفمبر عام ١٩٦٧ ، وأطلق عليه اسم « الجمهورية الشعبية لليمن الجنوبي » وبعدها بعامين انشقت جبهة التحرير القومية الحاكمة الى ثقتن وأطيح بالحكومة التي كانت قائمة وقت ذاك .

وكان المصريون مهتمين للغاية بشل استقلال اليمن الجنوبي بالتأثير على مستقبلها خاصة بعد توريط أنفسهم بشدة في اليمن المجاورة ، ولكن جاءت حرب يمنية أخيرا لتضع نهاية لمغامرة الخمس السنوات لعبد الناصر في اليمن ، وباتفاق مع الملك فيصل عاهل السعودية انسحبت آخر جحافل الجيش المصري من اليمن في نوفمبر عام ١٩٦٧ ثم تبعهم الفنيون المدنيون المصريون على عجل ، ولم يضيع اليمنيون الجمهوريون وقتا بعدها في تخلص أنفسهم من الرئيس عبد الله السلال رمز السيادة المصرية في اليمن ، وأيضا رمز العناد والحق في تسيير شئون البلاد ، واستمرت الحرب ضد الملكيين لبعض الوقت ، ولكن جاءت النتيجة عكسبة اعظم التكهات اذ تمكنت الجمهورية اليمنية أن تعيش بدون التواجد المصري ، كما لم تعد السعودية تنظر اليها كمصدر تهديد لها . وفي عام ١٩٧٠ اعترف الملك فيصل أخيرا بالجمهورية اليمنية ، وتم تبادل المنزلاء بين البلدين ، ورغم ذلك كان هذا الحدث قد تم بكل هدوء دون أن يلاحظه العالم الخارجي .



١ - النقطة الفاصلة :

لم تكن هذه التغييرات في النظم العربية لها تأثير جذري على الأزمة التي استمرت تسيطر على مسرح أحداث الشرق الأوسط بعد حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، وأخيرا برز الى الوجود نزاع عربى داخلى جديد كنتيجة لهذه الحرب ، التي لعبت فيها المصالح المتصادمة ، كما لعبت الطموحات والاعتقادات المتضاربة دورها ، لقد تفجر هذا النزاع فى سبتمبر عام ١٩٧٠ فى حدوث مذابح دموية فى الأردن وادت بالنالى الى وفاه الرئيس عبد الناصر ، ولكنه نوع مختلف جدا من النزاعات ، حيث تغلب عليه الأهواء ، ومثير للوضاء مثل ألعاب الأوبرا الفكاهية لسنوات سابقة ، وان كان تم السيطرة على الموقف ، على الرغم من أن هذا الحدث بمثل موقفنا خطيرا جدا .

فى أنون هذا النزاع كانت مسألة التسوية مع اسرائيل تجرى على قدم وساق على الرغم من التعقيدات التي واجهتها ، لقد أخذت الحكومات العربية مواقف متباينة فى حالة موافقتهم أو رفضهم قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ ، الذى أصدره مجلس الأمن للأمم المتحدة فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ ، والذى تضمن المبادئ والأسس التي يجب أن تقوم عليها السلام بين العرب واسرائيل .

أعلنت الجمهورية العربية المتحدة والأردن موافقتهم على هذا القرار وامنعت سوريا ، كما استنكرت منظمة التحرير الفلسطينية ، وكذلك المنظمات القومية الأخرى هذا القرار ، بل اعتبرت الموافقة عليه خيانة عظمى ، لقد كان معنى قبول العرب لاسرائيل كدولة ذات سيادة جريمة فى حق القضية الفلسطينية ، لأن القرار تجاهل تماما مطالب وحقوق الشعب الفلسطينى ، ولم يشر الى مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بعد وقبل عام ١٩٦٧ .

لقد خلقت مسألة التسوية السلمية مع اسرائيل — بقتضى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ — مشاكل حادة ، تدخل فيها الحكومات العربية ، وكذلك بعض الشخصيات العربية العامة ، اذ كان من المتعارف عليه لدى الرأى العربى العام عدم التحدث علنا فى اسلوب التعامل مع اسرائيل ، ونتيجة لذلك ، فان المدافعين عن هذا الاتجاه كانوا يميلون الى تغطية موقفهم وآرائهم بالتظاهر بقبول قرار مجلس الأمن ، واعتباره مسألة مناورة تكتيكية لتضوية وتدعيم موقف العرب للجولة القادمة مع اسرائيل ، ولكى يوضحوا للرأى العام ، سياسة اسرائيل العدوانية ضد العرب ، وبرغم هذه الادعاءات ، فان فريق العرب المؤيدين ، يمكنهم أن يتصوروا أن هذا القرار ما هو الا وسيلة من اجل التوصل لتسوية سلمية ، اذ كانت هناك بعض المميزات الإيجابية والتي أمعن المؤيدون النظر فيها بهدوء .

وهذا البصور يتناقض تماما مع تصريحات عبد الناصر بين الحين والآخر عن حتمية الحرب ، وأن ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ، وأنه مستعد لتحرير سيناء شبرا شبرا مهما يضح به من بحر الدماء ، وفى نفس الوقت كان جادا فى الميل الى مبدأ النعاش السلمى مع اسرائيل فى مقابل عودة الأراضى العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ (*) .

(★) ان عبد الناصر لم يقبل مبدأ النعاش السلمى مع اسرائيل بعد ١٩٦٧ ، اذ حينما عرض عليه هذا الرأى مقابل استرداد سيناء والتخلى عن مساندة العرب ، انهر فرسة والقى بالتصريح التالى « ان استرداد القدس قبل سيناء ، واسترداد الحولان قبل سيناء ، واسترداد الضفة العربية قبل سيناء » كما انه اعلن بعد مؤتمر الخرطوم « انه لا صلح ولا اتفاق ولا تفاوض مع اسرائيل » .

(المخرج)

فمثلاً قبل حرب بونبة ١٩٦٧ كان أكثر من ٢٠ رمايا الملك حسين فلسطينيين ، وكانت ثقافتهم فيه لا تزيد على تقديرهم لجده الملك عبد الله (ساعد فيلق الملك عبد الله الانجليز فى اخماد الثورة العربية الفلسطينية فى أواخر الثلاثينات) وفى عام ١٩٤٨ أبدى رضاه للحاجز الفلسطينى القائم بينه وبين الدولة اليهودية الجديدة ، واغتيل على يد أحد الفلسطينيين فى عام ١٩٥١ نتيجة لما قدمت به) .

وبعد حرب يونية فقد الملك حسين السيطرة على بيت المقدس في الضفة الشرقية، وكذلك الضفة الغربية ، ولكنه شعر بالتزام قوى الاستعاضة وكذلك شعبها ، ان لم يكن من اجلهم ، فقد أعلن مرارا ان يكون ملكا على فلسطين الغربية ، بالاضافة الى الضفة الشرقية المكتظة بالسكان الفلسطينيين ، فاستقر كثير منهم هناك في اعوام تسبق عام ١٩٦٧ ، وان كان أكثر من ٣٠٠.٠٠٠ تمكنوا من الهجرة من الضفة الغربية وقطاع غزة .

ولكل هذه الأسباب فإن مقاتلى المقاومة الفلسطينية أو
 الفدائيين خلقوا مشكلة خاصة للملك حسين ، أنهم لم يقروا بموقف
 الملك حسين ، لأنهم كانوا يرون حل القضية بطريقتهم الخاصة ،
 فقد تحدوا وجود اسرائيل كدولة صهيونية على أرضهم ، بينما
 كان جل رغبة الملك حسين هو عودة أرضه بالإضافة الى ايجاد
 خطة ما لرعاية اللاجئين الفلسطينيين ، ولكن الفدائيين الفلسطينيين
 قاموا بغارات مدمرة لاسرائيل على طول امتداد الحدود الأردنية ،
 ولا شك أن وجود المقاومة الفلسطينية شكل بديلا ضميا للملك
 حسين كسيادة معترف بها لآى جزء من فلسطين والفلسطينيين ،
 ويعطى انطبعا عاما بمرارة شديدة لاسرائيل ، فقد كان الملك
 حسين واقعا تحت ضغط القوى الفلسطينية بحتبة مساندة نخاليم
 برغم صعوبة موقفه والظروف التى تحيط به .
 فى حين كانت علاقات عبد الناصر مع الفلسطينيين امرا
 مختلفا ، وان كانت ليست حيوية بالنسبة له ، وليس نتيجة تحكم
 مصر فى قطاع غزة بسكانها ذوى الكثافة السكانية الشديدة ، إذ
 يوجد بهذا القطاع ما يزيد عن ٤٥٠.٠٠٠ فلسطينى منذ عام ١٩٤٨ ،
 ولم يحدث على الاطلاق ضم هذه الأراضى ، ولا اهتم بها أحد ،
 ولا سمح بحرية الحركة لسكانها فى مصر ، ولحد ما كان هذا
 القطاع موضوع نفوذ لعبد الناصر كدرع رئيسية للعرب ضد
 اسرائيل ، ومازال فى نظرهم المحرر المرتقب لفلسطين ، وكحام
 مهمين على المنظمات العسكرية والسياسية الفلسطينية المختلفة ،
 كل هذا لم يمنح عبد الناصر الشعبية الجماهيرية فى الدول العربية ،
 ولكن برغم هذا الشعور كان يمسك بزمام المبادرة فى يده ، ولذا
 فإن فلسطين لو تحررت فى وقت ما ، فإن ذلك سيتم عن طريقه ،
 وبموافقة قيادات المنظمات الفلسطينية العديدة ، ومثلما وضع

الفلسطينيون بديلا ضمنيا للملك حسين ، فان عبد الناصر وضـع لهم البديل سواء كان مهتما بتحرير فلسطين حقيقة من عدمه . فى وقت كان فيه للملك حسين والعسكريين المحيطين به أهداف مختلفة ، كذلك كان عبد الناصر والعسكريون والقريبون منه ، يتناقشون مع الطرف الأردنى حول هذه القضية ، ولكن حرب يونية ونشائجها ألقت شكا كبيرا على اختيار عبد الناصر حيث أثبت جيشه عجزه الكامل فى الدفاع عن مصر ، ومنذ ذلك الوقت فصاعدا تأكد للفلسطينيين ان تحريرهم أصبح أمرا بعيد المنال ، وليس له أولوية مطلقة بالنسبة لعبدالناصر وان بقيت في حساباته أمرا حقيقيا .

٢ - حركة المقاومة الفلسطينية :

ان ظهور الوطنية الفلسطينية العسكرية ترجع فى واقع الأمر الى جذور تسبق حرب يونية بمدة طويلة ، وعلى الأحرى نرجع الى الثلاثينات من هذا القرن ، ولعمد آخر تلا حرب فلسطين عام ١٩٤٨ أو ما يزيد ، وقد سببت الهزيمة التى حدثت فى ٥ يونية عام ١٩٦٧ ، والتمزق العربى الذى نتج عنها ، فقد حدث اضمحلال واضح فى الحماسة الوطنية ، وميل الدول العربية ان تتخذ من قضية فلسطين ذريعة من أجل تحقيق مصالح شخصية .

وبحلول عام ١٩٦٤ نم انشاء منظمة التحرير الفلسطينية استجابة لمطلب ملح ، ومشاعر متزايدة بين الفلسطينيين من الجبل الثانى من الفلسطينيين ، وفى نفس الوقت هناك حقيقة مؤداها : أن مذمة التحرير الفلسطينية نشأت كحركة مستأنسة الى حد ما تحت رعاية الحكومات العربية ، وعلى رأسها مثل هذا الرجل « أحمد الشقيرى » ونتج عن ذلك ظهور منظمة فلسطينية أكثر تشمدا

تحت زعامة طبيب بشري فلسطيني يدعى جورج حبش George
Habash لكي يكون الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين^(١) .

وفي عام ١٩٤٨ تكللت حكومة البعث السورية بتأسيس
(الصاعقة) وبدأت منظمة فتح عملياتها عام ١٩٦٥ وتقودها مجموعة
مجهولة من الشباب تجمعوا حول مهندس يدعى «ياسر عرفات»
وبدأت هذه المجموعة تقوم بعمليات عسكرية فدائية ضد إسرائيل ،
انهم أكثر مواجهة من منظمة التحرير الفلسطينية الالبنة ، ومن قبل
كانوا قد توصلوا الى استنتاج ان الحكومات العربية حكومات
لا يعتمد عليها من أجل القضية الفلسطينية ، لأن مثل هذه الحكومات
مشغولة بمصالحها الخاصة ، وما شابه ذلك .

لقد كانت هزيمة الجيوش العربية في حرب ٥ يونيو ١٩٦٧
كارثة على القضية الفلسطينية ذاتها ، ولذلك كان ظهور الفدائيين
الفلسطينيين رد اعتبار للحكومات العربية ، برغم اعتمادهم على
هذه الحكومات العربية في الحصول على الأموال ، والنواعد
المسكينة ، وكذلك التعاون العسكري ، وكذلك التأييد السياسي

(١) لم ينس السلاطون السورية ان حركة القومية العربية كانت مانعا
لها في معركة السلطة في دمشق عام ١٩٦٣ ، ونتيجة لهذا تكونت وجهة نظر
كثيرة نحو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ولقد كان هاني الهندي ، وهو
أحد رفاق جورج حبش في الجبهة الشعبية كان معارضا لحزب البعث ، وكان
وزيرا في حكومة التحالف في وقت لاحق لانتلاب مارس ، وشارك كذلك في
مظاهرات الوحدة في القاهرة ، لقد كان جورج حبش وهاني الهندي رفيق
الممكن الواحد كطلبة في الجامعة الأمريكية في بيروت ، وفي زيارة للمسرح
عام ١٩٤٨ قبض البوليس السوري على جورج حبش وأودع السجن لما يريد
على سبعة أشهر مع ثلاثة من رفاقه ، والحقيقة أن حبش والجنساح اليساري
لحزب البعث الحاكم في سوريا ايدولوجية مشابهة لاركس ليس لها تبة .

لا تزال التهمكات قائمة ، فقد دخلت التشهيرات عالم السياسة ، وكان لا يزال كثير من العرب بعد عبد الناصر عام ١٩٦٧ محترماً ، ولو أنه لم يكن مناسباً للموقف والوقت ولكن مهما ادعى ثباته بمنجزات عظيمة في الماضي ، غانته لا يوجد شيء قام به للمستقبل ، وكل ما يمكن أن يتقدمه للعرب هزيمة عسكرية أخرى أو استسلام دبلوماسي ، وبرغم هذا عاش الشارع العربي دائماً على أمل حدوث معجزة يقوم بها الفدائيون الفلسطينيون .

وبعد الحرب ظلت منظمة التحرير الفلسطينية تعاني من الموقف العربي والفلسطيني أيضاً ، لأن كثيراً من عملاتها وكوادرها العسكرية المسلحة كانوا بقطاع غزة أو في الضفة الغربية ، وكلا الموقعين يبرز تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلي .

ولو أن منظمة فتح والجهة الشعبية لتحرير فلسطين قد أخذتا زمام المبادرة ، حيث كان لا يزال عدة آلاف من الرجال يخدمون في وحدات جيش التحرير الفلسطيني ذات الصلة بجيوش سوريا والعراق ومصر ، كما خدموا في الأردن كأعضاء عاملين بالقرارات المسلحة الوطنية حيث يعتبرون مواطنين أردنيين ، واستطاعت أيضاً منظمة التحرير الفلسطينية أن تنظم وحدات فدائية لها جنباً إلى جنب مع منظمات المقاومة المستقلة (٣) .

(٣) كانت منظمة فتح أكبر من كل الفصائل الفدائية مجتمعة (١٠.٠٠٠) ، وقوات الصاعقة ربما تزيد على ٥٠٠٠ ، والجهة الشعبية ٣٠٠٠ بالإضافة إلى مجموعات صغيرة ظهرت عام ١٩٦٧ ، وكان أكثرهم شهرة هو الجناح اليساري الذي انشق عن الجبهة الشعبية عام ١٩٦٩ ويقودها نايف حداية ، وكذلك جبهة التحرير العربية ، وجبهة النضال الشعبية ، ومنظمة العمل لتحرير فلسطين .

لزيد من التفاصيل انظر : ولیم كالدات : سياسات التوسعة الفلسطينية عام ١٩٧٦ .

وبدون شك كان أحد الشقيري الشخص الذى فقد ثقة الجميع ، نتيجة لحرب يونية ، لقد كشفت هذه الحرب الغياب شبه الكامل للعرب ، وبالتالي فقدوا التعاطف الدولى نحوهم ، والذى كثير من الناس اللوم على أحمد الشقيري ، اذ كانت السمعة التى يتصف بها هى الكلام الغوغائى الخالى من أى معنى .

لم يوجد فى العواصم العربية من فكر فى نبذ هذا الرأى قبل هزيمة بونية ، فقد كان أحمد الشقيري فى بيت المقدس وعندما بدأت الحرب هرب من امام القوات الاسرائيلية ، وبعد هذا الموقف المخزى بستة اشهر قدم استقالته واعتزل الحياة السياسية ، وآثر الاعتكاف فى قصر له ، كان قد بناء من قبل أثناء عمله كسفير للعربية السعودية . وتولى من بعده يحيى حمودة .

لقد كان من الواضح أن منظمة التحرير الفلسطينية لا يمكنها القيام بمهامها وهى منفصلة عن المنظمات الدائبة الأخرى ، لقد تم تعيين الهيئة التشريعية من مائة عضو ، وهى تشرف على منظمة التحرير الفلسطينية ، وتم تخصيص نصف المقاعد فى المجلس الوطنى الفلسطينى فى شهر مايو عام ١٩٦٨ ، لمئتين للمجموعات الدائبة الرئيسية (٣٨ مقعداً لمنظمة فتح ، و ١٠ مقاعد للجبهة الشعبية ، و ٥٠ مقعداً خصصت لمئتين عن منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطينى ، واتحاد الطلاب والعمل ، وقبل منتصف عام ١٩٦٩ اختار المجلس الفلسطينى ياسر عرفات كرئيس للجنة التنفيذية . وفى نفس الوقت استمر يحيى حمودة كرئيس للمجلس الوطنى الفلسطينى ، وفى شهر بونية عام ١٩٦٩ أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية قرارها بتحصيل « ضريبة التحرير » على الفلسطينيين فى أنحاء العالم ، وتعاونت الحكومات العربية فى تحصيل هذه الضريبة من الفلسطينيين المتواجدين لديها

(مثلاً ٦٠ من مرتب الفلسطينيين العامل بليبيا ، ٣٠ من العاملين الفلسطينيين في مصر .)

وبرغم كل الجهود المبذولة لاعادة تنظيم المنظمة الفلسطينية ، فانها ابتليت بالمنازعات والخلافات ، لدرجة أن بعض فصائل الفلسطينيين حاولت القيام بانقلاب عسكري ضد رئيس اللجنة التنفيذية ياسر عرفات . علاوة على ذلك لم تستطع منظمة التحرير الفلسطينية الحصول على تعاون « الجبهة الشعبية » لتحرير فلسطين ، التي لم تكن مقتنعة بعدد المقاعد التي خصصت لها ، وتخصصت الجبهة الشعبية في القيام بأعمال عدوانية ينبذها الجميع ويستنكرها مثل اختطاف الطائرات . . والهجوم على المطارات . . واغتيال بعض الشخصيات . . ووضع المتفجرات في الأسواق والسينما والمرح . . والتجمعات السكانية . . وعندما شكلت مجموعات فدائية في أبريل عام ١٩٦٩ قيادة النضال المسلح الفلسطيني لكي تنسق عملياتها الفدائية ضد إسرائيل ، انسحبت الجبهة الشعبية من الموقف ، ورفضت هذا الأسلوب ، وظلت مقتنعة بأسلوبها البغيض .

ومن الواضح أن الزعماء الفلسطينيين الجدد لم يكونوا بمنأى من المرض العربي المزمع القدم ، فسرعان ما دب الخلاف بينهم ، وساد الصراع والنفاس فيما بينهم . وهي نفس السمات التي اتصف بها قادة العالم العربي حينذاك ، ورغم ذلك وداخل صفوف حركة المقاومة كانت منظمة فتح تمثل أهم عقبة ، وان كانت تبدو انها بعيدة عن الصراعات والمشاحنات الداخلية ، وكان على رأس هذه المنظمة ياسر عرفات الذي طاف حول العالم في وشاح الرأس العربي الفلسطيني ، ونظارته السوداء وهو يتسم بالغموض ، وكانت

الدول تعامله كرئيس دولة ، على قدم المساواة — تماما — مع رؤساء الدول ، وينير دائما حماسة الجماهير العربية باصراره العنيد على حتمية تحرير فلسطين واستمرار النضال ضد اسرائيل حتى النهاية .

* * *

٣ — مؤثر الخـرطوم :

وهكذا واجه عبد الناصر وحسين نتائج الهزيمة العسكرية ، فكما زاد الفدائيون ضغطهم العسكري بعد عام ١٩٦٧ أصبحوا أكثر تهديدا لكل من عبد الناصر وحسين ، ومن ثم كلما زاد اهتمام هذين الرجلين فى التوصل الى تسوية عادلة مع اسرائيل — قبل فوات الأوان — حاولا اخفاء الصراع الخفى بينهما وبين الفدائيين الفلسطينيين ، وبرغم كل هذا فان اسرائيل كانت ماتزال تصر على عنادها وموقفها المتشدد بعدم الجلاء عن الاراضى العربية التى تم احتلالها ، وفى نفس الوقت كانت الحكومتان — المصرية والأردنية — تأملان فى أن العمليات الفدائية تشكل ضغطا على اسرائيل لى تخفف قبضتها وموقفها المتشدد المتعنت اذ كانت الحكومتان تريان أن أية تسوية مع اسرائيل لن تكون مناسبة ولا يمكن رفضها بحجة أنها غير مقبولة للفدائيين .

وبالنسبة للدول العربية الأخرى (الجزائر ولبنان والعراق وسوريا) فالموقف بالنسبة لهم مختلف تماما ، اذ اكتفت هذه الدول بالاعلان عن تأييدها التام للعمل الفدائى الفلسطينى . ولكن السؤال هل كان فى امكان حكام بعض الدول العربية أن يأخذوا مكانة عبد الناصر فى الزعامة العربية ؟ بالنسبة للسوريين ربما يقال ان هذه اللعبة قد بدأت من قبل ، وقد أدت الى الحرب .

وبالنسبة للجزائر والعراق لم يكن لديها شيء بخسرانه ، بينما كان السوريون معرضين لتقدم عسكري اسرائيلي في اراضيهم ، اذ كانوا يشجعون الفدائيين الفلسطينيين — تحت حمايتهم — بالقيام بأعمال عسكرية من اراضي لبنانية وأردنية على أمل أن يشكل هذا العمل ضغطا على اسرائيل .

وكانت الجزائر تعتقد أن المشكلة يمكن حلها بالوسائل الدبلوماسية ، اذ كان من الملاحظ أن كلا من الجزائريين والعراقيين وكذلك السوريين الذين انتهجوا سياسة اعلامية تتسم بالكلام والمزايدة والفوغائية دون تقديم أى عمل ايجابى ، معتقدين أنهم بمثل هذه السياسة يخرجون عبد الناصر ، وبماكانهم أن يحلوا محله فى قيادة العالم العربى وزعامته ، أو على الأقل بنفسم عرى التحالف بينه وبين حسين ، وأن يجبروه على ترك القضية الفلسطينية ، وكذلك قضايا العالم العربى الأخرى .

ان الملوك المحافظين مثل : السعودية والكويت وليبيا ، كانت لهم وجهات نظر أخرى ، أنهم كانوا يرغبون فى توصيل عبد الناصر وحسين الى تسوية مع اسرائيل ، حيث كانت مجتمعاتهم الصحراوية التقليدية تفرض عليهم التعلق بخيالات سياسية للعالم العربى اذ كانوا يرغبون فى اخضاع المشكلة الفلسطينية لاعتبارات دينية وعرقية ، وقد اكتفوا بأنهم رفعوا شعار الدفاع عن الاسلام والمسلمين ، ومحاربة الكفار ، معتقدين أنهم بمثل هذه السياسة يمكنهم أن يدفعوا العرب الى شن حرب ضد اسرائيل وفى نفس الوقت هم بعيدون كل البعد عنها ، وفى هذه الحالة هم مستعدون لتقديم الأموال اللازمة للفدائيين ، ويشجعونهم للقيام بمثل هذه الاعمال الفدائية الانتحارية ضد اسرائيل بدلا من توجيهها ضد الاردن .

لقد أثبت الواقع العربى أن مثل هذه السياسة لا طائل من ورائها ، خاصة بعد الاطاحة بملك ليبيا ، عندئذ تضاعفت حماسة الملك فيصل ، وتراجع فى سياسته السابقة ، وأدرك العرب المحافظون أن مساعدة الجمهورية العربية المتحدة بالأموال اللازمة لها لدعم اقتصادها ، وإعادة تسليح جيشها أفضل من السياسة السابقة ، إذ فى هذه الحالة ينشغل عبد الناصر بالاستعداد لمحاربة إسرائيل بدلا من تكثيف مجرمه على نظام الحكم الحلى ، وكانت النتيجة حدوث تقارب بين عبد الناصر والاتحاد السوفيتى لإعادة بناء النظام العسكرى المصرى ، كما ترتب على هذه السياسة حدوث تباعد بين الرجلين : عبد الناصر وحسين .

وواضح أن وجهات النظر العربية أصبحت متناقضة ، متضاربة بعضها مع بعض ، ومن المؤكد ظهور تقارب فى وجهات النظر العربية فى مؤتمر الخرطوم الذى انعقد فى نهاية شهر أغسطس عام ١٩٦٧ ، ومن ثم بدأت السياسة العربية تتبلور بشكل واضح ، إذ أمكن قيام تحالف بين كل من : عبد الناصر وغيصل وحسين حيث وافقت ليبيا والعربية السعودية والكويت على تقديم مساعدات مالية لكل من الأردن والجمهورية العربية المتحدة تعويضا لهما عن الخسائر التى منيتا بها فى حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، وبلغ حجم الدعم ٣٩٢ مليون دولار فى السنة (يخص مصر ٢٠ هذا المبلغ) كما أن المشكلة فقدت أهميتها الآن بالنسبة لكل من مصر والسعودية خاصة بعد اتمام انسحاب القوات المصرية الباقية من كل الأراضى اليمنية ، دون التدخل فى شئون هذا البلد .

وفى مؤتمر الخرطوم كان المجتمعون مازالوا لم يعطوا المثلثة الفلسطينية الاهمية المطلوبة ، ولكن قبل مرور ستة أشهر على مؤتمر

الخرطوم حدثت معركة الكرامة بالأردن ، وأبلى فيها الفلسطينيون بلاء كأبطال عرب ضد إسرائيل ، وفى الأشهر الأولى بعد حرب يونيو ، كان الفلسطينيون مازالون مثل العرب الآخرين فى ذهول وغيوبة نتيجة لحجم الهزيمة العربية أمام إسرائيل !!

وبرغم هذا كان السوريون والجزائريون مازالوا يتحدثون عن إيمانهم بحتمية الاستمرار فى النضال ضد إسرائيل ويرغضون أية حلول سلمية ، ويبعدون عن نترك المفاوضات مع إسرائيل ، لدرجة أنهم أقتنعوا مصر فى أروقة الأمم المتحدة بالعدول عن سياستها التى نرى الى التوصل الى تسوية سلمية .

ولكن فى مؤتمر الخرطوم تبكى عبد الناصر وحسين من اقتناع الفلسطينيين ينقضهم الحل السلمى السياسى للمشكلة ، الذى تحدد بشعار « ازالة آثار العدوان » وبهذا يكون هناك فرق ناسع بين هذا القرار والموقف العربى فى { يونيو } ، ومن ثم كان فى امكان العرب القاء اللوم على عبد الناصر وحسين اللذين بلغت بهما الحماسة فى ذلك اليوم حدا لا يمكن أن يوصف بحتمية تحرير فلسطين ، وبرغم هذا تفاضوا عن عقابها الآن . وأمكنهم الضغط عليهما لتعديل هذا الموقف بأن يكون فى المرحلة القادمة : لا اعتراف ولا تفاوض ، ولا صلح مع إسرائيل .

ان التأثير النهائى لكل هذا لم يكن محددا ، بل كان مرنا الى حد ما ، انها الشىء المؤكد أن العرب ساعتها وجدوا الصياغة المناسبة التى تعكس القاسم المشترك ، والتى تمثل الحد الأدنى لمواقفتهم الى حد ما ، مثلما فعلوا فى مؤتمر القاهرة فى يناير ١٩٦٤ ، الأمر الذى دفع ابراهيم مآخوس وزير خارجية سوريا أن ينسحب

من المؤثر ، ويجزم حقائبه ، ويفادر أرض السودان متجها الى المطار ، حاملا حقائبه ، وعندما سألته الصحفيون الى أين أنت ذاهب ؟ أجاب الى أى مكان وإلى أى اتجاه تتجه اليه أول طائرة نصل أرض المطار !

٤ — الأردنيون والفدائيون :

بعد معركة الكرامة ، كان لابد أن تسعى اسرائيل للانتقام ، وأصبح التهديد مركزا ضد لبنان الذى كانت تسمح للفلسطينيين بالعمل من داخل أراضيها ، والمجتمع اللبناني بكيانه الاجتماعى قابل للتمزق بسرعة امام ضغط اسرائيل عليه . وقد اتضح هذا بعد الهجوم العسكرى الاسرائيلى على مطار بيروت ، ومن ثم حدث تصادم عسكرى بين جيش لبنان الصغير والضعيف ، والفدائيين الفلسطينيين ، ونم التفاوض بين الجانبين فى عام ١٩٦٩ بواسطة عبد الناصر ، ولكن بحلول عام ١٩٧٠ تركز الهجوم الاسرائيلى على قواعد الفدائيين فى لبنان وأصبحت هذه المصادمات أمرا عاديا .

وفى الأردن كان الموقف أكثر خطوره حيث انتقد الملك حسين من قبل (سبتمبر عام ١٩٦٧) عمل الفدائيين الفلسطينيين ، وفى عشية معركة الكرامة التى حدثت فى ٢١ مارس عام ١٩٦٨ كان الملك حسين مازال يقف موقفا سلبيا منهم ، وكان مايزال يطلب من الفدائيين الحصول على اذنه بعبور نهر الأردن ، ولكن من الملاحظ أن الفدائيين الفلسطينيين بدأوا يطلقون المعونات المالية والتأييد الثام من الجماهير العربية ، ولم يعد رأى العام العربى مقتنعا بموقف الملك حسين من موقفهم بالاستمرار فى عملياتهم الفدائية ، اذ كان

المخالفات بسيطة ، ولكن أرادت حكومة الأردن أن تختبر قوة العمل
القذائى ولكى تكون مثالا يمكن تطبيقه لاحقا ، وجرت مفاوضات
بين الطرفين نخضت عن مطالبة الفدائيين الحصول على حكم ذاتى
سياسى وعسكرى لكى يكون بالتالى تعاون بينهم وبين الجيش
الأردنى رافعين شعار « لا غالب ولا مغلوب » وهذا يذكرنا بالحرب
المدنية اللبنانية من عشر سنين مضت .

وفى الحقيقة ان هذا شعار يصف العلاقة بين الحكومة
ورعاياها ، لقد كان هذا شعارا شاذا بدأ منذ عام ١٩٤٨ ، فهل
كان الفلسطينيين أردنيين أو لا ؟ حقيقة كانت مصالح الجانبين
متعارضة بطريقة واضحة ، وبرغم هذا كان حرص الملك حسين
وياسر عرفات على تجنب حدوث صدام بينهما ، فمازال كل منهما
يحتاج الى الآخر كقناة للاتصال بأطراف أخرى خارجية محددة ،
وكدرع ضد أى هجوم من أية جهة معينة ، وكل منهما اعتمد على
التعاون الوثيق مع عبد الناصر ، كل منهما كان يرى الطرف الآخر
كحليف له لوقت ما ، أى تحالف ضد اسرائيل فى وقت ما . والأكثر
من ذلك لم يادل أى طرف منهما أن بهزم الآخر دون أن يسبب له
مشكلة ، بحيث لا يبعد الجماهير الفلسطينية التى لم تتركب خطأ
بمن فيهم هؤلاء الذين يمثلون ٦٠٪ من القوة العاملة للجيش الأردنى
نفسه ، علاوة على ذلك لم يكن لدى زعماء منظمة فتح وكذلك معظم
قيادات المنظمات الفلسطينية الأخرى الرغبة فى أن يحكموا الأردن
بل لم يجدوا الفرصة لإعلان هذه الرغبة لأنهم يدركون يقينا أنهم
لو فعلوا ذلك فإن مثل هذا العمل يمتص الاهتمام والنشاط المطلوب
للحرب ضد اسرائيل ، وبدون الحماية الأمريكية التى يتمتع بها
الملك حسين ، فإنهم سوف يكونون جبهة مفتوحة للهجوم الاسرائيلى،
والى جانب ذلك لا ننسى أن المنظمات الفدائية كانت منقسمة على
نفسها لدرجة أنه بدون الملك حسين فالأردن سوف يكون مستنقما
للفوضى والفوضى .

ومن وجهة نظر الملك حسين ، فإنه كان يعتقد أنه سيأتي يوم يحسم فيه النزاع مع الفدائيين ، ولكن بعد أن يكون قد توصل إلى اتفاق مع إسرائيل على عودة الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ، فإن هذه لو حدثت ستكون لعنة للفدائيين ولكنها نعمة لكثير من الفلسطينيين المتعطشين لانتهاء الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية ، فأوقام الفدائيون بمعركة ضد إسرائيل ، فإن الملك حسين سيجدها فرصة طيبة لكسب انتصار سياسي وعسكري حاسم عليه . . ووضعت وحدة المظلات المعروفة بالوحدات الخاصة على أهبة الاستعداد لمثل هذه المناسبة ، ولكن حتى حين الوقت لم يحدث الصدام ، فإن الملك حسين يكون قد نضل معركة أكيدة على أبواب معركة مخترضة من المحتمل أن تحدث .

وبرغم تقدير كل من الملك حسين وياسر عرفات فقد حدثت المعركة الضاربة بين الطرفين في سبتمبر عام ١٩٧٠ دون أن تلوح في الأفق أية بادرة لحدوث تسوية مع إسرائيل ، فقد كان الفدائيون الفلسطينيون — دون النظر إلى المجموعة التي ينتمون إليها — يتصرفون بطريقة مثيرة حيث كانوا يركبون عربات الجيب الخاصة بهم ويطوفون بها حول عمان وهم شاهرون أسلحتهم المخبأة بالذخيرة ، بل أكثر من هذا لجأوا إلى نهب وسلب المحلات وممتلكات الأفراد ، وأحبابنا الأجانب ، وكانوا يداعبون المنازل ويغتصبون ما بها من ممتلكات منتهكين كل الحرمات ، كما أنهم لم يلتزموا بقوانين المرور ، فهذه المركبات كانت تسير بدون ترخيص من وزارة الداخلية، ويرفضون الوقوف في مراكز التفتيش ، فقد ركبهم الكبرياء والغرور ونسوا دورهم ضد العدو إسرائيل ، وأصبح تواجدهم داخل عمان بعيدا عن نقاط المواجهة مع إسرائيل وعن أرض المعركة الحقيقية . وفي نفس الوقت كانوا يتحدون — بتصرفاتهم — نظام وقوانين المملكة الأردنية .

وبحلول عام ١٩٧٠ ساد الجيش الأردني سخط شديد ، والذين أدركوا أن العمليات الفدائية ضد إسرائيل كانت عملاً فاشلاً ، انهم لم يتواجدوا في الأراضي المحتلة ، ولم يحدث سوى بعض الأضرار الثانوية البسيطة للدوريات الإسرائيلية على الحدود حيث كان مساعدهم من أجل قيام دولة فلسطين الديمقراطية العلمانية الموحدة (المسلمين والأقباط واليهود) وحتى هذا الشعار لم يزل رضاء السكان الاسرائيليين .

اذ كانت دوائر اليسار الاسرائيلي والحمايم توافق على هدف الفلسطينيين القاضي بإقامة دولة لهم ولكن ليست على أرض اسرائيلية ، وعلى ضوء ذلك فإن الفدائيين يرفضون أية محادثات للتسوية كالتي كان حينئذ يسعى اليها .

لقد ترتب على القوضى التي سادت الفصائل الفلسطينية نتائج أخرى أكثر خطورة من سلوكهم وتصرفاتهم داخل العاصمة عمان ، حيث لجأت الأقلية المتطرفة ، والجهة الشعبية لتحرير فلسطين الى أن تنتهجوا عملاً طائشاً قلب كل الحسابات والموازن .

لم يعترف جورج حبش زعيم الجهة الشعبية لتحرير فلسطين بمنطق ياسر عرفات بضرورة التعاون مع الحكومات العربية الحالية لأن من الضروري على كل من حكومات : السعودية والكويت ولبنان والأردن أن تعتمد على الولايات المتحدة ، بالرغم من أنهم غير راضين عن سياسة إسرائيل . بينما جهة تحرير فلسطين كانت ترى أنه لا مناص من أن يكون الطريق الى تل أبيب من خلال عمان ، كما قاطعوا منظمة التحرير الفلسطينية البيروقراطية التي تعمل ضد الثورة . وبرغم هذا فقد وافقوا على المشاركة في القيادة

الموحدة للثورة الفلسطينية ، كما شكلت لجنة بعد الضغط على الأردن - في فبراير عام ١٩٧٠ - من أجل تنسيق العمليات العسكرية ، ولشاركونا في اللجنة المركزية للمقاومة الفلسطينية التي تألفت في شهر يونيو التالي ورغم هذا غنّد احتفظوا بحقهم في حرية التصرف والممارسة ضد إسرائيل بما لا يخلط الطائرات ، والهجوم على المطارات . .) دون الاهتمام بوجبة نظر إسرائيل ، ولذا كان هدفهم في الاشتراك في اللجنة المركزية هو الضغط على زملائهم في اللجنة لكي ينضموا اليهم .

لقد كانت منظمة فتح والزعماء الآخرون آخرون آخرون وحدة محاطة بكل التكالب ، لقد أغضوا أعينهم عن الموقف المتردي الذي تمر به القضية الفلسطينية على إثر استعادة الموقف وترديد الصفوف ضد العدو الإسرائيلي وكذلك الملك حسين . وبذلك رغم التحذيرات - للجبهة الشعبية - السبب في مواقف متحيزة نفسية وسياسية لمنظمة فتح بسبب الأعمال التي كانت تقوم بها .

لقد بات النديةور سبنا في أحداث يونيو ١٩٧٠ ، حادث إطلاق النار ، ومن ثم حدثت صدامات بين الفلسطينيين والجيش الأردني استمر لمدة أربعة أيام ، وحدثت مئات الاصابات وأعلن الملك حسين وعرفات عن اتفاق مشروط لوقف إطلاق النار ولكن الجبهة الشعبية رفضت الاذعان لهذه الشروط ، وقامت الجبهة بفرض الحصار حول فندقين ووضعوا تحت سيطرتهم حيث وضعوا عشرات من الضيوف الانجليز والأمريكان والألمان الغربيين كرهائن بل هددوا بنفس الفندقين ، وطالبوا الملك حسين بطرد العديد من ضباط الجيش البارزين بمن فيهم عم الملك حسين نفسه ناصر بن جميل قائد أركان ، وابن عمه زايد بن شاعر ، وأن تحل القوات الخاصة (وحدة المظلات) ، ودون مقدمات أعلنت منظمة فتح انضمامها الى موقف الجبهة الشعبية والمطالبة بحقوق هذه

٥ - هرب سـمـيـتـمـر الأهلـية :

ان عدم نشوب حرب شاملة بين الجيش والفدائيين في يونية يرجع ذلك الى أن الملك حسين تمكن من كبح جماح قواته من البدو، غربا استغفرت الاهانات التي حدثت من قبل جورج حبش فضلا عن اقتحام الفنادق وطرده النزلاء ، ربما يكون كل ذلك استغفرت وقتا من أفكار الملك حسين على الرغم من ان هناك عناصر معينة كانت تنتظر مجرد إشارة منه ، فعلى مدى عامين ، تحمل الملك حسين الكثير من تصرفات القوات الفلسطينية المتعجزة ، لقد اختلط التوتر السياسي عن كذب بالاختلافات الاجتماعية بين رجال ذوى كرامة قبلية ، تم تدريبهم في معسكرات الجيش الانجليزي وكل حياتهم قائمة على خدمة التاج الهاشمي حيث الأمانة والاخلاص والتفاني فهم سباب جندوا أنفسهم لخدمة الملك حسين .

في أعقاب أحداث بوننة - كانت خطة روجرز Rogers في عمان والتي سارعت بحسم الموقف بين الجيش الأردني والفدائيين بتأييد التسوية السلمية مع اسرائيل ، ووضع عبد الناصر جزءا من الأساس الذي كان حتى عام ١٩٧٠ ، يقضى بأنه في حاجة ماسة لأي مخرج من هذا الموقف المتوتر مع اسرائيل بدلا من الترائق بالمدفعية عبر قناة السويس ، بالإضافة الى الغارات الجوية من الجانبين ، لقد طرح عبد الناصر على رفاقه العرب في مؤتمر قمة الرباط في ديسمبر عام ١٩٦٩ تقديره للموقف مع اسرائيل ملوحا بما اذا كانت الدول العربية تؤيده في موقفه ، لقد طلب منهم اما تأييده في موقفه ، واما توضيح موقفهم ، فمدول النفط الثرية حتى ليبيا الثورية ، سحبت أقدامها من المساهمات المالية المفروضة عليها .

وفي نفس الوقت أعلنت سوريا والعراق اعلانات تشبیهة مألوثة من الناحية الحربية ، ولكنها لا تعبر عن التزامات حقيقية ،

والوحد الذي تطوع بإرسال قوات حربية كبيرة الى الجبهة هواري بومدين رئيس الجزائر . وان كانت رغبته مرهونة بقبول عبد الناصر هذه المساعدة من حده . لقد أدرك عبد الناصر أن موقف الأقطار العربية غير جاهر لأن تحارب ، وعلى هذا فان عبد الناصر سيتخذ قراره على مسؤوليته ، لقد كانت النغمة حربية ، وان كان لا توجد وسيلة حربية يمكن اقرارها ، والشئ الذي يمكن فعله هو السلام ، لقد خرج عبد الناصر من الجلسة وقد تبمه ياسر عرفات ، وعبد الخالق حسونة السكرتير العام ، وانتهى المؤتمر في اليوم التالي وهو يتخبط في الفشل التام . لقد قاطعت كل من سوريا واليمن الجنوبي والعراق الجلسة النهائية ، لم تتمكن الوفود من الموافقة حتى على صيغة بيان رسمي ، لقد غاصت القمة العربية في مشاكل جديدة ، ورغم ذلك كان هذا يلاءم وهدف عبد الناصر .

لقد وضحت كل المناورات أمام عبد الناصر في مؤتمر الرباط وعلى هذا فقد أعلن في ٢٣ يوليو قبوله خطة روجرز ، تلك الخطة كما اقترحتها وزاره الخارجية الأمريكية ، والتي تدعوا الى تجديد وقف اطلاق النار ، واعادة جهود الدكتور جارينج Dr. Jarring الوسيط الدولي للأمم المتحدة بهدف الترتيب لتحقيق قرار مجلس الأمن عام ١٩٦٧ ، ومن الواضح — نتيجة للمناقشات السرية — ان هناك سببا للاعتقاد أن الشروط يمكن قبولها في الجمهورية العربية المتحدة ، والأردن واسرائيل ، ويمكن العمل بها ، فقد كان الأردن هو الدولة التالية لقبول خطة روجرز ، وكذلك اسرائيل بعد ذلك بأسبوعين ، لقد بدأ وقف اطلاق النار ، ومن الواضح أن الحكومات المعنية كان في ذهنها أيضا وسائل للتعاون مع الفدائيين .

كان زعماء الفدائيين في حالة من الانزعاج ، لقد كبح ياسر عرفات جراح نفسه من انتقاد الملك حسين وعبد الناصر بالاسم ،

ولكنه استنكر بقوة المستسلمين ، وأعلن في حشد من الفلسطينيين
 الثائرين أنه يجب عليهم أن يعدوا فريق المقاومة لتقبل خطة التسوية
 مع إسرائيل بكل الوسائل الممكنة ، ولكن الأعضاء الأقل مرتبة من
 الفدائيين هاجموا عبد الناصر مباشرة ، وعندما بدأ « صوت
 إذاعة فلسطين » الذي يذاع من القاهرة بتسبيلات من الحكومة
 المصرية في مهاجمة سياسة عبد الناصر ، أغلق المحطة نهائيا ،
 لقد نشر هذا القرار على نطاق واسع ، وكان يعنى لكل من يتمتع
 الأمر أن شرخا رئيسيا حدث في الموقف ، تلا ذلك اشارات ، فصل
 من العمل ، وتهريب الأموال والمؤمن من مصر الى مجموعات المقاومة
 في قطاع غزة ، ونقل الاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين رئاسته من
 القاهرة الى عمان ، وإتيام السلطات المصرية بإبعاد ١٥٠ طالبا
 فلسطينيا والقبض على الآخرين .

وفي وسط هذه التوترات المتصاعدة ، ضربت الجبهة الشعبية
 لتحرير فلسطين ضربتها في مدة ثلاثة أيام بدءا من ٦ سبتمبر ،
 اختطفت الجبهة الشعبية ٤ طائرات مملكتها الغرب أجبرت ثلاث
 طائرات منها على الهبوط في الأراضي المحيرة قرب مدينة الزرقا
 في الأردن ، واضعة مئات من المسافرين كرهائن داخل الطائرات .

كان رد الفعل الخارجى غامضا ، كما تخرج بشدة موقف العديد
 من الحكومات (٤) لقد علقت غالبية المجموعات الفدائية غير الراغبة

(٤) اختطفت طائرتان الى الزرقا يوم ٦ سبتمبر ، وفي اليوم التالي
 أجبرت طائرة ثالثة (بان أميركان Pan American رقم ٧٦٧ على الهبوط
 في بيروت أولا حيث تم تزويدنا بالدقود رغم أنه السلطات اللبنانية ، ثم
 اتجهت الى القاهرة حيث أطلق سراح المسافرين ، ثم بعد ذلك تسفت الطائرة
 على ممر الطائرات أمام أعين السلطات المصرية الفاحزة أيضا ، وفي اليوم التالي
 عندما أعلن عن هبوط طائرة رابعة تم اختطافها ، رأت السلطات المصرية
 إغلاق المطار في وجهها حتى لا تورط السلطات المصرية نفسها في مثل هذا
 العمل ، وأخيرا هبطت الطائرة في الزرقا لتتضم الى الطائرات الأخرى .

فى أن تلتحق نفسها بهذا العمل عضوية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فى القباده المحددة للنورة الفلسطينية ، ولكن هذا قليل لم يلاحظه أحد .

أدرك بقية العالم أثناء خطف الطائرات أنه هو العمل الوحيد للارهابيين الفلسطينيين ، فى تلك الأثناء تسلل جورج حبش فى زيارة تم تحديدها لكوريا الشمالية لدراسة الاستراتيجيات الثورية لـ Kim II Sung فى محاربة الاستعمار .

لقد بدا الملك حسين فى موقف غير لائق ، فعلى بعد ٢٠ ميلا فقط من قصره فى عمان ، وعلى الأرض فى مدينة الزرقا ، وقتت كنيية من القوات الأردنية فى دائرة واسعة فى مواجهة الفدائيين التابعين للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والذين كانوا مكلفين بحراسة الطائرات يهددون بتدميرها بمن فيها من ركاب عند أول حركة عدائية من الجيش ، وتراجع الجنود بعد عدة أيام ، واطلقت الجماعات الفدائية معظم ركابها ، ولـكنهم خطفوا ٥٤ آخرين ، وتم وضع الألغام فى الطائرات بعد ذلك .

هل كان الملك حسين ينظر مثل هذه الإنارة ؟ ويتبادر الى الذهن سؤال : هل كان الملك حسين هو المخطط لهذه المذبحة الفلسطينية ؟ وهل كان جمال عبد الناصر يشاركه هذه المؤامرة ، على اعتبار أنها بتوقعان من الفصائل الفلسطينية معارضة مقترحات روجرز ؟

وجدير بالذكر أن عبد الناصر لفت نظر الملك حسين الى أن عرشه بات مهددا بالخطر ، ومن ثم حاول الانان اقتناع سليمان النابلسى بأن يتولى رئاسة الوزارة الأردنية فى الوقت الراهن .

ومن المعروف أن سليمان النابلسى كان من أنصار التيار الناصرى ، وسبق له أن تولى منصب رئيس الوزراء لمدة ستة أشهر

عقب حرب السويس ١٩٥٦/١٩٥٧ الى أن أمّاله الملك حسين : من منصبه امثالاً لسياسة أمريكا في المنطقة ، والآن هل بإمكان سليمان النابلسي الرادكالي ، كبير السن أن يواجه الأحداث ، ويحقق خطة روجرز ، ويكسب تأييد الفلسطينيين الى جانبه ؟ وان كان هذا يبدو بعيد المنال الآن فقد أخبر كلا من الملك حسين وعبد الناصر أن بإمكانه أن يفعل ذلك .

كان الملك حسين في موقف لا يحسد عليه ، انه لا تزال سياسته تتسم بالناوور ، ويأمل أن يكسب الى صفه فصائل الفدائيين ، وفي نفس الوقت يلتزم بتنفيذ خطة روجرز ، ولكن السؤال الآن ، هل سيقف عبد الناصر الى جانبه يشد من أزره ؟ فمزال عبد الناصر بعد هذه الأحداث المناقضة التي مضت ، متشككا في موقف وسياسة الملك حسين بغض النظر عن موقفه التكتيكي قبيل ٥ يونيو عام ١٩٦٧ ، فقد كان عبد الناصر في احتياج اليه - في هذا الوقت - ليكون بمنابة همزة وصل بينه وبين واشنطن ، ولكن من الملاحظ أن عبد الناصر لا يحتاج الى تأييد الملك حسين لسياسته بعد التوصل الى تسوية مع إسرائيل .

ولكن الملاحظ أن الملك حسين لا ينسى الموقف القراجيدي الذي حدث أثناء حرب يونيو ١٩٦٧ ، فلقد كان الملك حسين مجتمعاً مع عبد الناصر عندما وصلت اليه أنباء ثورة في ليبيا لا وأخفى عبد الناصر هذه الأخبار عن الملك حسين .

وصرح الملك حسين فيما بعد للصحفيين أنه لن ينسى هذا الموقف أبداً ، إذ أخفى عنه عبد الناصر تلك الأخبار الأولى لثورة ليبيا والاطاحة بملك عربي .

وفي ١٥ سبتمبر وقعت القيادة الموحدة للنور الفلسطينية والحكومة الأردنية ، اتفاقا جديدا بين الطرفين ، وقد اضطرت الحكومة الأردنية الى قبول هذا الاتفاق بكثير من التنازلات للفدائيين الذين بدأوا بتراجعهم عن موقفهم الى حين من الزمن ، وفي ١٩ سبتمبر أصدر الملك حسين قرارا بالاستجابة الى مطالبهم بتطهير عام للقوات المسلحة ، مما جعل الملك حسين مجرد سلطة اسمية فقط مما جعلهم ينوقعون خضوع الملك حسين لهم بدون استخدام القوة ضدهم ، ويعتقدون كذلك أنه بمثل هذه السياسة يتقوضون سياسته نحو اسرائيل ويخضع لهم تماما .

وفي الواقع كان هذا موقفا تكثفيا للملك حسين فلم يكن مستعدا لأن يسمح لسلطته أن تنزلق بعيدا دون التوصل الى تسوية مع اسرائيل بغض النظر عن رفض الفصائل الفلسطينية لهذه السياسة . ولمواجهة الموقف داخل الأردن أعلن الملك حسين تعيين حكومة جديدة برئاسة الجفرال محمود داود واختار كل أعضاء الوزارة من ضباط الجيش ، أعلن حالة الطوارئ ، وساد الشك والريبة جميع الأطراف داخل الأردن ، وتوقعوا حدوث كل شر من قبل الملك حسين ، وبدأت حالة من التأليب ، وبدأ الصدام وشبك الحدوث ، نفي صباح اليوم التالي انفجر الموقف بين الفصائل الفلسطينية بصفة عامة والفدائيين بصفة خاصة ، واستخدم الجيش الأردني الدبابات والمدافع ، والبتادق الرشاشة ، وكذلك القنابل اليدوية وبرغم هذا كان الفلسطينيون مسيطرين على الموقف وشمل القصف كل مواقع الفلسطينيين ، حتى العشش في الأحياء المحيطة بعمان وهي المزدحمة باللاجئين .

وفي مدينة الزرقا حدث إطلاق المدافع والبنادق الآلية ، حتى القنابل اليدوية ، وبرغم كل هذا كان الفلسطينيون يسيطرون على

مدن الشمال (جرش وسولت وأريد) وحاول الجيش الأردني
انقاذ هذه المدينة من سيطرة الفلسطينيين .

والمدهش أن القوات العراقية وقوامها ما بين ٢٠ ألفا إلى
٣٠ ألف جندي قد تمركزت في الأردن بهدف حملة المقاومة
الفلسطينية ، وبرغم هذا وقفت هذه القوات بشدة هذه المذبحة
غير المتكاثرة دون أن تحرك ساكنا ، ولكنها نجاحا تراجعت إلى
الخلف تاركة مواقعها دون أن تقوم بأي عمل .

والسؤال الآن : هل تراجعت هذه القوات نتيجة نصيحة من
قبل السوفيت ، أو نتيجة أوامر أصدرها الجنرال التركيتي ،
الرجل الثاني في النظام العراقي ؟ فقد أصدر أوامره لهذه القوات
بالوقوف وقفا سلبيا ، مما جعل زملاء يلتقون عليه باليوم ويعدونه
عن موقعه فيما بعد .

ومن ناحية أخرى تلقى الفدائيون مساعدة من سوريا ، وذلك
بوصول طابور مسلح عبر الحدود قرب مدينة أريد ، وحارب هذا
الجيش بشجاعة ضد الأردنيين ، وادعت سوريا أن هذه القوات
ما هي الا وحدات جيش التحرير الفلسطينية في حين أصر الأردنيون
على أن هذه القوات هي قوات سورية ، ولكن الملاحظ أن هذه
القوات انسحبت بعد عدة أيام من مواقعها سواء كان ذلك بسبب
تحذيرات اسرائيلية أو أمريكية أو بناء على نصيحة سوفيتية أو
معارضة أردنية كان لها تأثير قوى ، لكنها لقيت قبولا من الفلسطينيين
المدافعين عن مدينة أريد .

وأخبرا وصلت هذه الحرب الأهلية الى نهايتها عن طريق
المفاوضات التي جرت في القاهرة ، اذ دعا عبد الناصر الى حتمية
عقد مؤتمر قمة عربي طارئ لوقف نزف الدم الفلسطيني ، واستمر

هذا المؤتمر ثلاثة أيام لترتيب وقف إطلاق النار بين الجانبين ، ووافق كل من ياسر عرفات والملك حسين على وقف إطلاق النار فى يوم ٢٥ سبتمبر ، وتلا هذا القرار توقيع اتفاقية أكثر تفصيلا وتعت بعد يومين ، مما كان سببا فى انفاذ الفدائيين من مذبحه أكبر ، اذ كان يقدر عددهم بحوالى ٢٥ ألف جندى ، بالمقارنة بالجيش الأردنى الذى يقدر عدده ما بين ٦٠ ألفا و ٧٥ ألفا ، وكان عدد القتلى من الجيش الأردنى أكثر من قتل الفلسطينيين ، برغم التفاوت الواضح بين قوة التسليح وكذلك العدد بين الطرفين : الأردنى والفلسطينى .

وكانت تقديرات الهلال الأحمر الفلسطينى هى ٣٦٥٠ قتيل ، و ١١٥٠٠ جريح فلسطينى بمن فيهم الكثير من المدنيين ، وفى القاهرة عبر العديد من الزعماء السياسيين عن استنكارهم واشتمزازهم البالغ من تلك الأحداث التى تجرى بالأردن ضد الفلسطينيين ، والتى نفذت باسم وتحت اشراف الملك حسين نفسه ، وعلى هذا فقد أوقفت كل من ليبيا والكويت دفع اسهاماتها المالية للأردن ، السابق اقرارها فى مؤتمر الخرطوم منذ ثلاث سنوات مضت .

وقام الجنرال جعفر نميرى زعيم ثورة السودان باعتباره رئيسا للجنة المصالحة العربية التى شكلت منذ بداية الصدام بالأردن فى شهر يوتية حيث قام بزيارة الى عمان ، وعاد الى القاهرة ، وقدم تقريرا ، متها فيه السلطات الأردنية بشن حرب إبادة ضد الشعب الفلسطينى .

وتحدث — كذلك — العقيد القذافى بطريقة مبهمه غامضة عن ارسال جيشه الى الأردن لدعم الفلسطينيين ، وان كان لم يوضح كيف يمكن وصول هذا الجيش الى هناك بالأردن ، كما قطعت

ليبياً علاقتها الدبلوماسية مع عمان ، كما ندد الملك حسين من جانبه بالجزائريين السوريين وهجومهم الذى يتسم بالجنون .

حتى الرئيس عبد الناصر الذى كان يعمل جاهدا لتهدئة الأوضاع ، وحفظ للملك حسين سمعته ، وجد من الضروري أن يحتج على سياسته وموقفه ، وببعض اليه برسالة فى ٢٥ سبتمبر موضحا موقفه ، وموجها اليه عدة اتهامات لا يمكن انكارها ، هذا فى الوقت الذى لجأت فيه السلطات الأردنية الى عدم احترام قرار وقف إطلاق النار . . وعدم احترام كامل لكل العهود الصادرة من مجلس القمة العربى ، والتي كانت تتضمن خطة أردنية لتصفية المقاومة الفلسطينية . بالرغم من كل التصريحات من قبل السلطات الأردنية فان هناك سياسة أردنية يجرى تنفيذها بهدف احداث مذبحة مخيفة تتنافى مع كل المبادئ العربية والانسانية .

وبرغم مناقشة الأبعاد الحقيقية لهذه المأساة بالنسبة للشعب الفلسطينى فان من الملاحظ أن المؤتمر لم يحاول أن ينتزع موافقة رسمية لالقاء اللوم على الملك حسين ، وأنه طلب عقد اجتماع فى هيئة غير رسمية تتكون من ١٤ عضوا وكان زعماء الدول العربية يتابعون طريقا ملزما لأن يكون بطيئا فى وضع نهاية للمذبحة ، لقد أرسل المؤتمر لجنة مراقبة سلام جديدة الى الأردن ، وهذه المرة يرأس هذه اللجنة « باهى الأدغم » رئيس الوزراء التونسى ، تساعد هيئة من الضباط العسكريين للملاحظة وقف إطلاق النار ، وبرغم كل الجهود المبذولة فان العنف الحقيقى مضى حتى النهاية ، ولو أنه فى الأشهر التالية نشبت معارك عنيفة بين الطرفين .

ويتبادر الى الذهن سؤال : من الذى كسب الحرب الأهلية ؟ وماذا تعنى هذه الحرب ؟ لقد كان العنف الدموى يثير ويطلق الرأى

العربي بكل شدة لأن الأسلوب الذي تبنت به هذه المذبحة للشعب الفلسطيني ، التي تبنت بطريقة مثيرة للرأى العام العربي ضد شعب يدافع عن وطنه السليب .

لقد قام الملك حسين بقتل الفلسطينيين عام ١٩٧٠ أكثر من قتل موسى ديان منهم عام ١٩٦٧ . فإن عدد القتلى في الضفة الشرقية أكثر من القتلى في الضفة الغربية الواقعة تحت الاحتلال الاسرائيلي ، وعلى هذا ماذا يمكن أن نتنبأ لهم لو عادوا يوماً إلى السيادة الهاشمية ؟(*) .

كان كثير من الشخصيات الفلسطينية بالضفة الغربية من تلاميذ الشخصيات البارزة الذين خدموا في الدولة ودافعوا عن النظام الهاشمي ، انهم الآن يجتروا مرارة شعورهم^(٥) لدرجة أن كثيراً من الشخصيات الفلسطينية في الضفة الشرقية كانوا يفضلون أن يعيشوا في الضفة الغربية بمغضلين وطأة الاحتلال الاسرائيلي عن العيش في كنف الحكم الهاشمي معرضين حيائهم لجيش الأردن .

(*) لا وجه للمقارنة بين تفجيرات مصر من أجل قضية فلسطين منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن ، وما قدمته الأردن للقضية في نفس الفترة .

(المترجم)

(٥) احدهم كان قدري طوقان وزير خارجية أسبق ، ففي أثناء تشييع جنازته في نهاية فبراير ١٩٧١ انعكست الشكوك السياسية لهذه الأزمة . مات طوقان بينما كان في زيارة لبيروت ، وأعيدت جثته إلى مدينة نابلس وكان التابوت ملفوفاً بعلم الأردن وهو يشعب إلى مثواه الأخير ، ولكن عندما عبر المشيعون إلى الضفة العربية المحتلة وضع العلم الفلسطيني بدلاً من علم الأردن ، وإن كان الاسرائيليون لم يأملوا أن يلف التابوت بالعلم الاسرائيلي برءاء حضور الجنرال موسى ديان ليقدم واجب العزاء .

(صحيفة اللوموند في ٢ مارس ١٩٧١)

وهنا تسأل الاسرائيليون مع أنفسهم بلوعة وفزع ، اذا كان العرب يفعلون مع اخوانهم العرب مثل هذه الأفعال التي تتسم بالعنف والوحشية ، اذن فماذا هم ناعلون معنا نحن الاسرائيليين اذا كانت لهم اليد العليا؟! وعلى هذا فما الحكمة من اعادة الضفة الغربية الى الملك حسين أو الى أى زعيم عربى آخر ؟ لكل هذه الاعتبارات نقد بات واضحا أن الملك حسين قد أخطأ خطأ فظيحا ، ولطخ بمثل هذه الفعلية الشنعاء رصيده السياسى ، وصارت حياته الى نهاية مظلمة .

لقد بقى الفدائيون كثرة برغم تخطيط الملك حسين للقضاء على حركتهم ، لقد اضطر الى وقف اطلاق النار قبل أن يتمكن جيشه من أن يبيد ضحاياه . فلو بقى بعض الفدائيين على قيد الحياة ، أفلا يعنى ذلك أنهم كسبوا الموقف طبقا للمستوى المعيارى المطبق فى المعارك بين حرب العصابات وجيوش مسلحة منظمة ؟ فقد صرح أحد الضباط — قائد المدفعية — وهو ممتلىء غيظا قائلا لصحفى أجنبى : « لو أعطونا الاذن كنا سنظهر المدينه وبعدها لن يكون هناك فدائيون فى عمان » .

وأضاف قائلا : « يجب علينا أن نستأصل المشكلة من جذورها والا فستظل المشكلة قائمة فى كل أنحاء البلاد ومفروض علينا أن نواجهها مرة أخرى » (٦) . والأكثر غرابة — فى الموقف — أن الملك حسين اضطر الى قبول تحكيم الغرباء فى نزاع بينه وبين مجموعة من رعاياه ، كما أنه اضطر عن طريق هؤلاء الغرباء أن يطرد حكومته العسكرية (٧) كما أن اتفاقية ٢٧ سبتمبر طبقت بكل جدية لتضع

(٦) Associated Press اوسيتيدبرس . عمان ٢٨ سبتمبر

عام ١٩٧٠ .

(٧) الجنرال داود رؤيسى الوزراء ، وعود بمسحة بليليا ، إشارة الى نفس السلطة لپاسته .

تبدأ على حركة قواته المسلحة على أرضه ، بنفس القيود التي وضعت على حركة الفدائيين .

وفي ١٣ أكتوبر وقعت اتفاقية بين ياسر عرفات والملك حسين تحت حماية لجنة باهي الأضعف تحمل في طياتها اهانات أكثر حيث تنص على أن منظمات المقاومة الفلسطينية لها كل الحق في تمثيل الشعب الفلسطيني ، منكرة في نفس الوقت منزلة الملك حسين الحاكم الشرعي لمعظم سكان دولته ومتضمنة الاعتراف بياسر عرفات كشارك له في السيادة ، إلا أن كل هذا التعليل كان بسيطاً للغاية ، فالفلسطينيون يمثلون الأغلبية في الأردن منذ عام ١٩٤٨ ، وكانوا دائماً موضوع الضغوط الخاصة على الحكومة من كل أنحاء الوطن العربي من حين لآخر ، لقد نبذ خصومه لمخالفات أكثر اعتدالاً من إطلاق الرصاص على آلاف الفلسطينيين ، وهكذا وقف العرب من الملك حسين موقفاً لا يرقى إلى فعله الشنيع ، فقد كان كلامهم كثيراً وفعلهم قليلاً .

وبالنسبة للفدائيين الفلسطينيين ، فإن النقطة المهمة الجديرة بالتذكر ، أن من المنعز أن يكون عدوهم بالدرجة الأولى هو إسرائيل ، وليس الأردن ، وأن الدرس المستفاد من هذه الأحداث أن الملك حسين لم يستطع أن يقضى عليهم كقوة سياسية في الأردن ، بل أنهم يرومون أن تكون حياتهم هبة لتحرير بلادهم من هذا الاحتلال الإسرائيلي ، لأن حياتهم أصبحت أشبه بسمكة في البحر داخل حدود تسيطر عليها إسرائيل ، وصارت حياتهم مهددة حتى من قبل اخوانهم الأردنيين والمفترض فيهم أنهم أبناء جد واحد ، وجيران لهم .

إن ما بهم كلا من الملك حسين والفدائيين ليس قدرتهم على الحصول على التأييد السياسي والدبلوماسي ، ولكن ما بهم كل طرف

هو السيطرة على مجريات الأحداث التي تجري بالأردن وبناء على هذه الاعتراضات كانت تسيير العلاقات بين الملك حسين والفدائيين .

ان صيغة التصالح التي بدت في صالح الفدائيين ، سرعان ما أسئ تطبيقها بعد أشهر ، ورغم أن هناك اتفاقا بالعفو العام عن جميع السجناء فإنه بقي عدد كبير منهم رهن السجن ، وأيضاً رغم الوعود بعدم الرقابة على مطبوعات المقاومة ، فإن السلطات الأردنية كانت تصدر مقالات صحيفة فتح بصفة متكررة ، أضف الى هذا أنه حسب صيغة التحالف فإن حركة الزعماء الفلسطينيين يجب أن تتم بدون أية قيود ، ولكن ما كان يحدث هو العكس تماماً لدرجة أن جورج حبش وبعض الزعماء الآخرين رأوا أن من الحكمة أن يبقوا بعيداً عن الأردن باعتبارهم القوى السياسية المحركة لكيان الدولة الفلسطينية ، والرأي العام بها ، ولكن زعماء المقاومة تلقوا ضربة قاصمة سببت لأعضائها أن يتحملوا ممارسة نقد الذات مقارنة بتلك التي حدثت لعبد الناصر بعد حرب يونيو .

ان مبادئ وطموحات الحركة تدعو الى التشكك ، اذ لا يوجد شخص يمكن أن تنبأ - بنهاية عام ١٩٧٠ - بتطور المستقبل بالنسبة لمستقبل السياسة الفلسطينية ، وان كانت امكانية واحدة ساخرة طرحت نفسها على الأقل ، هي فقدان الثقة في الملك حسين لدرجة أن بعض الفلسطينيين أصبحوا أكثر ميلاً في قبول تسوية مع اسرائيل بشرط أن يتخلصوا من الملك حسين نفسه .

٦ - وفاة عبد الناصر وميراثه :

ان من سخریات القدر ان جمال عبد الناصر مات وهو يعمل لحماية الملك حسين عدوه القديم ، وذلك على حساب الفلسطينيين أصدقائه الإقليميين .

لقد واجه عبد الناصر ازمت كثيرة ، ونجا منها منذ قيامه بالثورة فى عام ١٩٥٢ ، ورغم الكوارث كان عبد الناصر يعلو نجمه فى افق العالم العربى باستمرار ، ففى الماضى كان دائما ينتهج سياسة « الالتزام » التى لا يحيد عنها ، ولكن من الملاحظ الآن أن موقفه من أحداث الأردن غير ملتزم بسياسته القديمة ، لقد رحل جمال عبد الناصر وهو يحيط نفسه بغموض أسود ، بينما كان غموضه فى الماضى هو الذى يبلور سياسته طوال السنوات الماضية . لقد كان يحرك الأحداث باستمرار ، ولكن حياته انتهت بمؤازرة أعدائه على حساب أصدقائه وبذلك تناقض عبد الناصر مع نفسه فى آخر المطاف .

كان عبد الناصر بالنسبة للبعض ، الأمل المنشود لتحرير فلسطين من المقتصبين اليهود ، كما كان أمل العالم العربى بتخلصه من هؤلاء الحكام الرجعيين ، وسادتهم المستعمرين لهم (*) .

بينما كان بالنسبة للبعض الآخر ، هو الزعيم العربى الوحيد القادر على تثبيت المجتمع العربى ضد الثورات والتقلبات المستمرة خاصة فى الأردن ، لقد اضطر الى صنع الاختيار المستحيل .

ان العالم العربى تمكن من مشاهدة عبد الناصر ، وهو غير قادر أو كاره على أن يوقفها ، وتمكن أيضا من مشاهدة الملك حسين الذى كان حليفه المعترف به فى أتون الدبلوماسية العالمية يعمل عملا لا يؤدى فى نهاية الأمر الا لخدمة اسرائيل .

(*) خطب وتبريرات عبد الناصر ، ج ٥ عام ١٩٦٤ - ١٩٦٦ ، ص ٤٣ - ٤٥ ، المناقشات التى دارت مع الثنائى بطوان فى ١٨ نوفمبر عام ١٩٦٥ .
الترجم

وعندما قبل خطة « روجرز » فمن المؤكد انه أدرك أن ذلك يتناقض مع سياسته ازاء الفلسطينيين في وقت لم يتمكن فيه من إسقاط الملك حسين ، بالقياس الى الفرضيات التي تتضمنها سياسته لاستبعاد الأرض المحتلة بفلسطين .

ومع ذلك فبعد خمسة عشر عاما من مناصرة الآمال الفلسطينية كان من السخف أن يجد نفسه مجبرا في الوقوف ضدهم ، حتى لو كان موقفه هذا مشوبا بالعطف عليهم ، لقد وضعت أزمة الأردن عبد الناصر عند مفارق الطرق ، وتحت ضغط هذا الموقف المتأزم مات عبد الناصر بنوبة قلبية في اليوم التالي لانتهاؤ مؤتمر القاهرة الطارئ .

وفي خلال سنوات الماضي عاش المنافسون لعبد الناصر من الزعماء العرب تحت ظلاله ، وهما كانت العواقب لذلك ، فكانت لديه دائما مميزات معنوية تفوقهم باعتراف الجميع ، وكان عبد الناصر عاجزا في تحويل هذه الميزة الى نصر حاسم ، او حتى زعامة بصرية متزايدة .

واذا تجاوزنا عن ذكر الوحدة العربية الرسمية ، فقد كان عبد الناصر ولا يزال دائما يبدو محتفظا بالمبادرة بسيطرة على العدو ، وهذا أمر يحتل المقام الاول في اتجاهاته السياسية ولكن في نزاعه مع الفلسطينيين بعد عام ١٩٦٧ لم يعد لهذه السياسة أى وجود .

وربما كان الانقلاب في الرأي الى تقيضه أقل خطورة مما ظهر ، اذ ربما كانت هيمنته الظاهرة في الماضي تبدو شيئا وهما ، وعلى هذا فما الذى أنجزه عبد الناصر في احتكاكاته اللانهائية مع الدول العربية ؟ فقد انهارت الوحدة مع سوريا ، وتحداه حزب

البعث ، وحرب اليمن كلفته الكثير من الأموال والأرواح ، ولم يكسب منها شيئا يذكر ، وكذلك العراقيون لم ينل منهم شيئا سوى المتاعب تلو المتاعب ، أما الملك حسين والملك فيصل فلا يزالان في السلطة برغم جهوده المضيئة ضدهما .

ان كل ما تمتع به عبد الناصر من نجاحات أتى بالوعود ، والتهديد ، والتظاهر ، والنصب ، والافتراض على المصادر التي منحها له كل من الروس والأمريكان ، لقد نصب نفسه كتوة عظمى ، ولكن بدون أن يمتلك وسائل هذه القوة .

ان النجاحات والانتصارات التي انجزها عبد الناصر بصفة أساسية في الخمسينات ، جعلته سائرا فوق العادة لمدة طويلة ، حتى بعد حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ ، ولكن بعد ذلك تركته يحمل عبء مشاكل كانت في نهاية الأمر مهلكة .

يقال ان عبد الناصر كان يأمل لمصر أن تلعب دور بروسيا في توحيد ألمانيا ، ولكنه لم يكن هو بسمارك ، فهناك فارق شاسع بين إمكانات الشخصيتين(*) .

بعد ذلك ورغم كل شيء فإنه لا يمكن إنكار أن عبد الناصر رجل ذو قوى شخصية ملحوظة ، ومهارات سياسية واضحة أيضا فضلا عن توأمة كل مقومات الزعامة فيه ، ولم تكن غلظته أنه ظهر

(*) استطاع بسمارك أن يوحد ألمانيا البالغ عدد ولاياتها أكثر من ٣٠٠ ولاية تحت شعار « لبدء من توحيد ألمانيا بسياسة الحديد والنار » سنة ١٨٧٠ وبذلك وضع حدا للحلافات التي كانت بين هذه الولايات والتي استغرقت عدة سنوات من الجدل حول كيفية اتحاد الولايات الألمانية هذه ، ثم مضى بسمارك بعد ذلك في بناء ألمانيا كدولة عظمى في شتى المجالات ، قبل أن يحوز معترك التنافس الدولي ضد الإمبراطوريتين الفرنسية والبريطانية .

(لا المترجم)

فى زمن سابق لأوانه ، وأنه امتلك جيشا أقل من الجيش البروسى ، ورغم ذلك فإن المقارنة بين الشخصيتين صحيحة ، ماذا كان يقول التاريخ عن بسمارك لو أن جيشه انتصر على النمسا عام ١٨٦٦ ؛ ثم تقدم بطريقة ما ، لى يخوض الحرب بتيور ضد فرنسا ؟ ما كان الا أن يبادئ موقعة سيدان عام ١٨٧٠ ، وأن ما فعله عبد الناصر ما بين حرب اليمن عام ١٩٦٢ وحرب سيناء عام ١٩٦٧ كان شيئا رائعا(*) .

ربما كان رائد عبد الناصر الحقيقى فى واقع الأمر هو نابليون الثالث ، رجل ذو طموحات لنفسه ولبلده ، وعبد الناصر حاول بكل الامكانيات أن يكون كل شىء بالنسبة لكل الناس ، فقد أضعف رصيده الدولى من جراء كونه رجلا ذا حيل ، وذا مواهب وذا مؤامرات ، وأخيرا يتججج فى اختبار القوة ، متظاهرا بالشجاعة العسكرية ، وهنا كانت الطامة الكبرى بالنسبة له لأنه لم يكن لديه تقديرات حقيقية لقوته العسكرية .

وعلى النقيض من نابليون الثالث ، بقى عبد الناصر حيا بعد هزيمته ، ولكنه استنفد رصيده من الناحية السياسية والشخصية

(*) لا يختلف اثنان على وطنية عبد الناصر المبرطة ، ولكن سيئته الشمولية اتاحت لمسئثاريه والمقربين اليه ، أن يجعلوه بحيد من جادة الصواب فى بعض السياسات والمواقف ، وكان من المفروض كما فعل بسمارك عقب وحدة ألمانيا ١٨٧٠ أن يبنى محر أولا فى كل المجالات ، ثم بعد ذلك يتطرق للمد الثورى فى الوطن العربى عن قوة حقيقية وليس عن ضعف ، وقد اجتمعت فيه سمتان باعترافه ذا طابع صعيدية بالاصح الى السلوك السبرى ، فعادت سياسته مختثرة الى المرونة فى بعض المواقف التى تتطلب ذلك ، كما أن المحيطين به الذين وفق بهم ثمة مطلقة كانوا يدونه معلومات غير حقيقية ويبرزون له كل أعماله نفاقا ورياء .

(الترجمة)

لقد احتزت صورته كثيرا في أعين الرأي العربي العام ، خاصة في أزمة سبتمبر عام ١٩٧٠ ، ووجه اليه لوم شديد نظرا لحجم الدماء التي سالت ، ومن ثم ارتفعت أصوات موجهة اليه النقد اللاذع فقال واحد منها :

« لقد استخدم عبد الناصر مهارته السياسية التي لا جدال فيها في ادانة نفسه والقاء المسؤولية على شخصه عام ١٩٦٧ ، وقادته مهارته عام ١٩٧٠ لأن يلبس نفسه رداء الخزي والعار ، ومهما كان نتاج هذا الأمر غانه يتحمل مسؤولية قتل عدة آلاف من الفلسطينيين » .

وفي مدة ثلاث سنوات قاد الشعب الذي يدعى أنه رئيس عليه أولا الى حرب هو غير مستعد لها ، ثم الى السلام وهم مخدوعون فيه ، وماتزال على أعينهم غشاوة ، اليس من الأفضل كبرا بالنسبة له أن يختفى وينرك موقعه لغبره ؟ كان عليه أن يعي تماما ما قاله شارل ديغول : « ان الخداع لا يفيد » تلك كانت الكلمات التي يجب أن توجه لعبد الناصر عند النهاية الفعلية لحياته .

لقد كانت الصدمة القاسية والمشاعر الحزينة ، والدموع المنهارة التي تلقت بها الشعوب العربية في جميع أنحاء العالم العربي نبأ وفاة عبد الناصر ، فقد محت هذه المشاعر الجياشة كل الانتقادات التي كانت تلقى على كاهل عبد الناصر ، حتى الفلسطينيون ، غلبهم الحزن ، لقد شوهد عبد الناصر في يومه الأخير كصانع سلام ، وهو الذي رفض أن يستريح في الأيام القليلة الأخيرة له ، لأن الصحافة اقتبست قوله : كيف أستريح ، والنساء والأطفال والرجال يموتون في الأردن ؟ نحن في سباق مع الموت » (٨) .

(٨). محمد حسنين هيكل : الأهرام في ٢٩ سبتمبر عام ١٩٧٠ .

وهكذا رحل شهيد القومية العربية .. لقد رحل عبد الناصر يحظه الذى لا يمكن تصديقه .. داخل المقبرة ، بالسخرية القدر !

ان عبد الناصر - قبيل وفاته كان يخطط لتقديم خدمة حقيقية للشعوب العربية أفضل بكثير من اطار القومية العربية ، نلو ان عبد الناصر عاش لفعل هذا ، كان سيعطى دليلا آخر على عظمته ، كان سيرسخ فى ذهن الجماهير العربية .. الوحدة العربية الشاملة والمرتبطة بقوة ايمانهم للزعامة .. حتى لم تعد الناصرية مثلا يحتذى به ، بل أصبحت ممارسة حقيقية للزعامة المصرية ... لأن عبد الناصر لم يتخل عنها فى أحلك الظروف ولآخر مشوار حياته .. وربما تسابير الأسطورة نفسها شكل ايمان شعبى فى بقاء دورة الحياة ، وذلك وفاء للعهد ، ولذكرى الزعيم الذى قاد مسيرة الأمة العربية ردحا من الزمن غير قصير ، ولكن برغم هذا من الآن فصاعدا على الأمة العربية أن تبحث لها عن بطل جديد .

الفهرس

صفحة

٧ تقديم	●
٩ مقدمة المترجم	●
١٥ مقدمة المؤلف	●
	الفصل الأول : التجربة والخطأ — الجمهورية العربية المتحدة ١٩٥٨/١٩٧٠	●
١٩	
٢٢ ١ — مناهضة الاستعمار	
٢٩ ٢ — التحول الاجتماعي	
٣٢ ٣ — حزب البعث السوري والشيوعية	
٣٧ ٤ — اتحاد مصر وسوريا	
٤٦ ٥ — مصر والعالم العربي	
٤٩ ٦ — تغيير نفي الخطط	
٥٣ ٧ — الانفصال السوري	
٥٧ ٨ — الأسباب الضمنية	

صفحة

١٨٣ الفصل الخامس : الردة . قمة القاهرة ، يناير ١٩٦٤

١ — عقد أول قمة عربية بين الملوك والرؤساء ... ١٨٧

٢ — أسباب أخرى لانعقاد المؤتمر العربى بالقاهرة ١٩٢

٣ — الدكتاتورية العسكرية ١٩٥

الفصل السادس : تحطيم القمة ٢٠١

١ — مصر والسعودية والمشكلة اليمنية ٢٠٤

٢ — مصر والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ... ٢١٦

٣ — التحالف السوري — المصرى ٢٢٢

٤ — العراق ٢٢٩

٥ — حرب الأيام الستة ٢٣٤

٦ الفصل السابع : محور عبد الناصر — حسين والمقاومة

الفلسطينية ٢٣٩

١ — النقطة الفاصلة ٢٤٤

٢ — حركة المقاومة الفلسطينية ٢٤٨

٣ — مؤتمر الخرطوم ٢٥٤

٤ — الأردن والفدائيون ٢٥٨

٥ — حرب سبتمبر الأهلية ٢٦٥

٦ — وفاة عبد الناصر وميراثه ٢٧٧

صدر في هذه السلسلة :

- ١ - مصطفى كامل في محكمة التاريخ ،
د . عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٢ - علي ماهر ،
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة ،
عبد السلام عبد الحليم ، ١٩٨٧
- ٤ - التيارات الفكرية في مصر المعاصرة ،
د . محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧
- ٥ - غارات أوروبا على الشواطئ المصرية في العصور الوسطى ،
عليه عبد السميع الجنزوري ، ١٩٨٧
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ١ ،
لمعى المطيعي ، ١٩٨٧
- ٧ - صلاح الدين الأيوبي ،
د . عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧
- ٨ - رؤية الجبرتي للأزمة الحياة الفكرية :
د . علي بركات ، ١٩٨٧
- ٩ - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ،
د . محمد أنيس ، ١٩٨٧
- ١٠ - توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية ،
محمود فوزي ، ١٩٨٧
- ١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية ،
شكري القاضي ، ١٩٨٧

- ١٢ - هدى شعراوي وعصر التنوير ،
د. نبيل راغب ، ١٩٨٨
- ١٣ - أكتوبية الاستعمار المصرى للسودان : رؤية تاريخية ،
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ١٤ - مصر في عصر الولاة ، من الفتح العربى الى قيام الدولة
الطولونية ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الاسلامى ،
د. على حسنى الخربوطلى ، ١٩٨٨
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر : دراسة
عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٣ - ١٩٥٢) ،
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٨
- ١٧ - القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى ،
د. محمد نور فرحات ، ١٩٨٨
- ١٨ - الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكة ،
د. على السيد محمود ، ١٩٨٨
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين ،
د. أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨
- ٢٠ - دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد
زغلول وعبد الرحمن فهمى :
د. محمد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨
- ٢١ - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، ج ١ ،
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨
- ٢٢ - نظرات فى تاريخ مصر ،
جمال بدوى ، ١٩٨٨

- ٢٣ - التصوف في مصر ابان العصر العثماني ، ج ٢ ، امام التصوف
في مصر : الشعراي ،
د . توفيق الطويل ، ١٩٨٨
- ٢٤ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦) ،
د . نجوى كامل ، ١٩٨٩
- ٢٥ - المجتمع الاسلامي والغرب
تأليف : هاملتون جب وهارولد بووين ، ترجمة : د . أحمد
عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩ .
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوي في مصر الحديثة ،
د . سعد اسماعيل علي ، ١٩٨٩
- ٢٧ - فتح العرب لمصر ، ج ١ ،
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ،
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ، ج ٢
تأليف ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ،
١٩٨٩
- ٢٩ - مصر في عصر الاخشيديين ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩
- ٣٠ - الموظفون في مصر في عصر محمد علي ،
د . حلمي أحمد شلبي ، ١٩٨٠
- ٣١ - خمسون شخصية مصرية وشخصية ،
شكري القاضي ، ١٩٨٩
- ٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٢ ،
لمعي المطيعي ، ١٩٨٩

- ٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الأفريقي : نظرة على الأوضاع
الراهنة ورؤية مستقبلية ،
د. خالد محمود الكومي ، ١٩٨٩
- ٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصور الحديثة
حتى عام ١٩١٢ ،
د. يونان لبيب رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠
- ٣٥ - أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،
عبد الحميد توفيق زكي ، ١٩٩٠
- ٣٦ - المجتمع الاسلامي والغرب ، ج ٢ ،
تأليف : هاملتون بووين ، ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم
مصطفى ، ١٩٩٠
- ٣٧ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية
في ربع قرن ،
د. سليمان صالح ، ١٩٩٠
- ٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادية والاجتماعي في العصر
العثماني ،
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠
- ٣٩ - قصة احتلال محمد علي لليونان (١٨٣٤ - ١٨٢٧) ،
د. جميل عبيد ، ١٩٩٠
- ٤٠ - الأسلحة الفاسدة ودورها في حرب فلسطين ١٩٤٨ ،
د. عبد المنعم الدسوقي الجميبي ، ١٩٩٠
- ٤١ - محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية ،
د. رفعت السعيد ، ١٩٩١
- ٤٢ - تكوين مصر عبر العصور ،
محمد شفيق غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠

- ٤٣ - رحلة في عقول مصرية ،
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠
- ٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني
د. محمد عفيفي ، ١٩٩١
- ٤٥ - الحروب الصليبية ، ج ١ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتقديم : د. حسن
حبشى ، ١٩٩١
- ٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ - ١٩٥٧) ،
ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١
- ٤٧ - تاريخ القضاء المصرى الحديث ،
د. لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١
- ٤٨ - الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الاسلامى ،
د. زبيدة عطا ، ١٩٩١
- ٤٩ - العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ - ١٩٧٩) ،
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢
- ٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤) ،
د. سهير اسكندر ، ١٩٩٣
- ٥١ - تاريخ المدارس في مصر الاسلامية ،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالجلس
الأعلى للثقافة ، فى ابريل ١٩٩١) أعدها للنشر :
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢
- ٥٢ - مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، فى القرن
الثامن عشر ،
د. الهام محمد على ذهنى ، ١٩٩٢

- ٥٣ - أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ،
د . محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢
- ٥٤ - الأقباط في مصر في العصر العثماني ،
د . محمد عفيفي ، ١٩٩٢
- ٥٥ - الحروب الصليبية ج ٢ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتعليق : د . حسن
جبتي ، ١٩٩٢
- ٥٦ - المجتمع الريفي في عصر محمد علي : دراسة عن اقليم
المنوفية ،
د . حلمي أحمد شلبي ، ١٩٩٢
- ٥٧ - مصر الاسلامية وأهل الذمة ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢
- ٥٨ - أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة ،
د . ابراهيم عبد الله المسلمي ، ١٩٩٣
- ٥٩ - الرأسمالية الصناعية في مصر ، من التمهيد الى التاميم
(١٩٥٧ - ١٩٦١) ،
د . عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣
- ٦٠ - المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،
عبد الحميد توفيق زكي ١٩٩٣
- ٦١ - تاريخ الاسكندرية في العصر الحديث ،
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٣ ،
لمى المطيعي ، ١٩٩٣

- ٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية ،
تأليف : د. سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور ،
وسعيد عبد الفتاح عاشور ، أعدها للنشر : د. عبد العظيم
رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٤ - مصر وحقوق الانسان ، بين الحقيقة والافتراء : دراسة
وثائقية ،
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣
- ٦٥ - موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ - ١٩١٧) ،
د. سهام نصار ، ١٩٩٣
- ٦٦ - المرأة في مصر في العصر الفاطمي ،
د. نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٣
- ٦٧ - مساعي السلام العربية الاسرائيلية : الأصول التاريخية ،
(أبحاث الندوة التي اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس
الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات
جامعة عين شمس ، في ابريل ١٩٩٣) ، أعدها للنشر :
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٨ - الحروب الصليبية ، ج ٣ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتعليق : د. حسن
حبشى ، ١٩٩٣
- ٦٩ - نبوة موسى ودورها في الحياة المصرية (١٨٨٦ - ١٩٥١) ،
د. محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤
- ٧٠ - أهل الائمة في الاسلام ،
تأليف : أ.س. تورتون ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشى ،
ط ٢ ، ١٩٩٤

- ٧١ - مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد
عمرو ، ١٩٩٤
- ٧٢ - رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في
العصر الفاطمي (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ) ،
امينة أحمد امام ، ١٩٩٤
- ٧٣ - تاريخ جامعة القاهرة ،
د. رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤
- ٧٤ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، ج ١ ، في العصر الفرعوني ،
د. سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤
- ٧٥ - أهل الذمة في مصر ، في العصر الفاطمي الأول ،
د. سلام شافعي محمود ، ١٩٩٥
- ٧٦ - دور التعليم المصري في النضال الوطني (زمن الاحتلال
البريطاني) ،
د. سعيد اسماعيل علي ، ١٩٩٥
- ٧٧ - الحروب الصليبية ، ج ٤ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتعليق : د. حسن
حبشى ، ١٩٩٤
- ٧٨ - تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ - ١٨٩٩) ،
نعمات أحمد عثمان ، ١٩٩٥
- ٧٩ - تاريخ الطرق الصوفية في مصر ، في القرن التاسع عشر ،
تأليف : فريد دي يونج ، ترجمة : عبد الحميد فهمي
الجمال ، ١٩٩٥

- ٨٠ - قناة السويس والتنافس الاستعماري الأوروبي
(١٨٨٣ - ١٩٠٤) ،
د. السيد حسين جلال ، ١٩٩٥
- ٨١ - تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو الى
نصر أكتوبر ،
د. رمزي ميخائيل ، ١٩٩٥
- ٨٢ - مصر في فجر الاسلام ، من الفتح العربي الى قيام الدولة
الطولونية ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٨٣ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ١ ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٨٤ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ٢ ، القسم الأول ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥
- ٨٥ - تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ - ١٩٥٢) ،
د. حلمي أحمد شلبي ، ١٩٩٥
- ٨٦ - تاريخ التجارة المصرية في مصر الحرة الاقتصادية
(١٨٤٠ - ١٩١٤) ،
د. أحمد الشرييني ، ١٩٩٥
- ٨٧ - مذكرات اللورد كليرن ، ج ١ (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د. عبد الرؤوف
أحمد عمرو ، ١٩٩٥
- ٨٨ - التذوق الموسيقي وتاريخ الموسيقى المصرية ،
عبد الحميد توفيق زكي ، ١٩٩٥
- ٨٩ - تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني ،
د. عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥

- ٩٠ - **معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية ،**
د . نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦
- ٩١ - **تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،**
تأليف : بيتر مانسفيلد ، ترجمة : عبد الحميد
الجمال ، ١٩٩٦
- ٩٢ - **الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦**
ج ٢ ،
د . نجوى كامل ، ١٩٩٦
- ٩٣ - **قضايا عربية في البرلمان المصري (١٩٢٤ - ١٩٥٨)**
د . نبیه بیومی عبد الله ، ١٩٩٦
- ٩٤ - **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية ١٩٤٦ - ١٩٥٤**
د . سهير اسكندر ، ١٩٩٦ .
- ٩٥ - **مصر وأفريقيا .. الجذور التاريخية الأفريقية المعاصرة**
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالبحر
الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات
الأفريقية بجامعة القاهرة)
أعدّها للنشر : د . عبد العظيم رمضان

رقم الايداع ١١٠٨١ / ١٩٩٦

الترقيم الدولي 0 — 5001 — 01 — 977 I.S.B.N.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
مركز الصحافة

الكتاب يعرض علاقات مصر العربية في عصر عبدالناصر منذ قيام الوحدة المصرية السورية في عام ١٩٥٨ حتى وفاة عبدالناصر عام ١٩٧٠، ويتبع أحداث تلك الفترة الخطيرة بدقة وتحليل، وقد اختار عام ١٩٥٨ ليس فقط لأنه عام الوحدة المصرية السورية، وإنما لأنه شهد أحداثاً هائلة تمثلت في الثورة العراقية، والحرب الأهلية في لبنان، ثم شهدت السنوات التالية أحداثاً لا تقل أهمية، تتمثل في الانفصال السوري عن مصر، والحرب الأهلية في اليمن، وهي التي تورطت فيها مصر، ومباحثات الوحدة العربية بين مصر وسوريا والعراق في عام ١٩٦٣، وهي التي انتهت بالفشل، ومؤتمرات القمة العربية الثلاثة التي انعقدت في عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥، ومحاولات الانقلاب العديدة في سوريا والعراق، والصراع العربي الإسرائيلي الذي قاد إلى حرب يونيو ١٩٦٧، وميلاد المقاومة الفلسطينية، وصدامها مع السلطة الأردنية، ثم وفاة عبدالناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب